سلسلة الظاهر والباطن

(٢)

ظاهر الدين وباطنه

(السلف - الباطنية - الشيعة - الصوفية)



تأليف

محمـــود المراكبي

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

سلسلة الظاهر والباطن

(٢)

ظاهر الدين وباطنه

(السلف- الباطنية- الشيعة- الصوفية)

تأليف

محمـــود المراكبى

مرفق في نهاية الكتاب صورة من موافقة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف على طبع سلسلة كتب الظاهر والباطن، والذي يأتي كتابنا هذا الثاني من هذه السلسلة، علما بأن الكتاب الثالث والرابع من هذه السلسلة تحت الطبع.

ولا يسعنا إلا أن نسأل الله الكريم أن يكافئ المغفور له فضيلة شيخ الجامع الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق على تدخله شخصيا حتى رأت هذه الكتب طريقها إلى الناس، فشكر الله له، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. وكذلك كل من ساهم في إخراج هذه الكتب والله يتولى الصالحين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وأنزل على عبده الكتاب والفرقان، وخص رسوله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بعلم البيان، وآتاه جوامع الكلم، وأنطقه بالحق والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، بعثه ربه رحمة للعالمين، فقام بأمر ربه خير قيام، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ودلها على أبواب الخير، ونهاها وحذرها من الزيغ والشطط، وصلى الله عليه وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد. فقد تحدثنا في الكتاب الأول من هذه السلسلة عن قصة موسى والخضر عليهما السلام، ولم نهدف بذاك الحديث أن نناقش فكرة نظرية مجردة، وإنما أردنا أن نتدارس الأساس الذي بنت عليه الفرق الباطنية معتقداتها، فإذا أظهرنا أن لقصة موسى والخضر عليهما السلام أبعادا أخرى، ولا تتضمن الأسس التي قامت عليها أفكار هؤلاء، أصبحت معتقداتهم كقصور بناها صبية على الرمال. وقد توصلنا في دراستنا - بتوفيق الله تعالى - إلى نتائج واضحة منها:

* أن حياة الخضر عليه السلام لا تغاير حياة البشر، وأنه توفي كما يموت الناس، ولا أصل لما يروجه الصوفية والباطنية عن حياته إلى اليوم.

* ثم تعرضنا للفرق بين المعجزة والكرامة، حتى نستطيع تفهم مهمة الخضر عليه السلام، أهو نبي أم ولي كما يحلو للبعض أن يصورها، وقد أظهرنا بتوفيق الله تعالى حقيقة مهمته وبرهنا على نبوته وأنه نبي من أنبياء الله تعالى، وهذا ما يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة وسلفها الصالح.

* كما تعرضنا إلى ما ينبغي للسالك إلى الله تعالى أن يفهمه من حكمة لقاء موسى والخضر عليهما السلام، وأن هناك عظات عظيمة ينالها من يحسن التدبر في هذا اللقاء الهام.

* وقد ذيلنا الكتاب الأول من هذه السلسلة بمناقشة العلم اللدني حسب المصطلح الباطني، وتتبعنا الرأي القائل بوجود العلم اللدني، وقلنا أن القائلين بالعلم اللدني هل يقولون أن هناك علم عندي، وعلم لدني، وأثبتنا من آيات الله تعالى أنه ليس هناك ما يسمى بعلم الأسرار اللدني حسب المفهوم الباطني.

وقلنا آنذاك أن الباطنية يرون في إقامة الجدار وقتل الغلام وخرق السفينة علما لدنيا، هو في حقيقته أسمى من الشريعة - كما يزعمون - وإلا ما تكبد موسى مشقة السفر لينال

علما هو يملك مثله أو أفضل منه، وفات هؤلاء عقد المقارنة بين خرق سفينة المساكين الذين يعملون في البحر، حتى تنجو من بطش الملك الظالم الذي يؤمم (حسب المفهوم الاشتراكي) سفن الفقراء غصبا، وبين أي من الآيات التسع التي مَنَّ الله تبارك وتعالى بها على موسى عليه السلام، وبالتحديد خرق البحر الأحمر، ليس لتنجو بذلك سفينة واحدة، وإنما لتنجو به أمة كاملة، فنجاة بني إسرائيل، ليس فقط أشدائهم بل شيوخهم ونسائهم وصبيانهم ورضعهم ودوابهم ومتاعهم، ليس هذا فقط، بل وَيَهْلِك في نفس موضع النجاة الملك الظالم فرعون، فيغرق هو وخيله وخُيلائه، وصلفه وغروره.

ويتلخص حديثنا في الكتاب الأول عن العلم اللدني في أن دعاته الذين يظنون مخالفة الشريعة علما لدنيا على خطر عظيم، وفي ظلمات الظن يتخبطون، وقد أوضحنا خطأ القائلين باختلاف الشريعة عن العلم اللدني، وضربنا أمثلة كثيرة عن علمهم الشيطاني الظلماني.

كما حذرنا السالكين إلى الله من الإنضمام إلى أي جماعة من الجماعات سواء تلك:

* التي تكفر الحاكم والمحكوم، ويسير أتباعها على نهج الخوارج والمارقين من الدين، فيعاهد أميره على السمع والطاعة، فيُحل له ما حرم الله فيسمع له ويطيع، ويحرم عليه ما أحل الله فيتبعه، وهو في الحقيقة يعبد أميره هذا، حيث أخذ عنه شرعا من تأليفه وفهمه، وهو بذلك يُعرِض عن شرع ربه، وقد أخبر نبينا ﷺ أن اتباع الأحبار والرهبان في غير ما شرع الله هو في الحقيقة عبادة لهم وذلك في تفسير قوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا﴾ حيث قال: "بل تلك عبادتهم".

* أو ذلك المنضم إلى فرقة من الفرق التي تختار لها اسما براقا، وتضع لها منهجا مخالفا لما عليه جمهور المسلمين فيدخل في طاعة الإمام أو الباب، ويغلو في حقهم حتى يُخرجهم عن مستوى البشرية ويظن فيهم مقامات الألوهية، فيخرجونه من الدين بالكلية.

* أو ذلك المريد الذي يندرج مع الدراويش في أي طريقة من الطرق الصوفية، فيُسلم قياد فكره وعقله ويسير وراء قطب من الأقطاب، بل ويراه وهو يخالف الشريعة وأحكامها، فلا يتمعر وجهه غضبا لله، ولا يجرؤ على الاعتراض.

فالأمر في حقيقته أنه لا اختلاف بين من يأمر باستحلال الأموال، وانتهاك الأعراض، وترويع الآمنين، وقتل الأبرياء، وإزهاق النفس التي حرم الله، وبين أولئك الذين يُكلمون المريدين عن الغيبيات، ويدعون الكشف الذي يهتك أستار العباد ويطلعهم على عورات الناس، فما أَطْلَع من ادعى من مشايخ الطرق على عورات المسلمين إلا الشيطان وأعوانه.

وقد دعونا الصوفية والباطنية إلى العودة إلى مصادر العلم اللدني الحقيقي، وهي الكتاب والسنة، بنفس الأسلوب والحماس الذي يتبعونه الآن للدفاع عن المخالفات الشرعية على أنها فتوحات عالية، وأسرار من العلم اللدني.

وننوه عن نقطة هامة تعين القارئ على تتبع أجزاء هذه السلسلة من الكتب التي تتناول موضوع الظاهر والباطن ألا وهي، مرادنا من لفظ الباطنية؟

إذا وردت "الباطنية" في نصوص مجملة، فالمراد بها دعاة الفكر الباطني الذين يقسمون العلم والدين ومراحل السلوك إلى مراحل يبثون من خلالها فكرهم الباطني، ويخرجون النصوص الشرعية عن مرادها، ويتشيعون فيها إلى فهم غريب عن المحجة البيضاء التي تلقاها وفهمها أصحاب رسول الله ﷺ وعمل بها التابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبالتالي يكون المراد منها الشيعة وغلاتهم من الفرق الباطنية، ونعني بهم أيضا الصوفية.

وقد لا يوافقني كثير من العلماء ورجال التصوف على إقحام الصوفية مع الفرق الباطنية، ولكني أطالب من ينكر علينا ذلك أن يتتبع الأفكار الصوفية التي نعرضها، ويقارن بينها وبين أقوال الباطنية ليرى هل تجنينا على التصوف ورجاله؟ أم وضعنا أفكارهم في مكانها الطبيعي بين أفكار الفرق الإسلامية؟

أما إذا وردت "الباطنية" في مواضع التخصيص، فالمراد بها فرق الباطنية التي ظهرت من تحت عباءة الشيعة، وغاصت في الفكر الباطني حتى أصبحت تُعرف بوصفهم "غلاة الشيعة"، وأهم هذه الفرق وأخطرها الدروز والإسماعيلية والنصيرية، وقد يظن كثير من الناس أن أثر هذه الأفكار ضئيل وأن أتباعها قلة، بعيدون عن مصر، وما سنثبته في هذا الكتاب أن الباطنية يكررون اليوم محاولات أسلافهم في احتلال مصر وإقامة دولتهم الباطنية الكبرى.

وسنحاول في كتابنا هذا عن ظاهر الدين وباطنه - بتوفيق الله تعالى - استكمال دراسة محاولات تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وتبعات هذا التقسيم وما أدى إليه، سواء قَسَّمَ الباطنية العلم إلى ظاهر وباطن، أو قسموا مراحل السلوك إلى الله أو قسموا الدين إلى ظاهر وباطن، وسنوضح أفكار التقسيم هذه في الأبواب التالية، ونستعرض أقوال الباطنية دعاة هذا التقسيم، ثم نناقش هذه الأفكار على هدي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإذا قال القوم بالعلم الظاهر والعلم الباطن، فإننا ننتصر بإذن الله تعالى إلى جانب الحق في هذه الأقوال، ونوضح جوانب الشطط والزيغ والغلو في الأقوال، التي حادت عن جادة الطريق.

وإذا زعم الباطنية أن الإسلام دين له مراحل وتقسيمات وضعوها من عند أنفسهم، كأن يقول بعضهم: الدين مقسم إلى: "شريعة، وطريقة، وحقيقة"، ويقول الآخرون: إن الدين ظاهر

وباطن، فدورنا حينئذ - بتوفيق الله تعالى - تذكير هؤلاء بالتقسيم الصحيح الذي ارتضاه الحق جل جلاله لهذا الدين، وجاء به أمين الوحي جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وأصحابه يعرفهم أمور دينهم، فالدين: "إسلام، وإيمان، وإحسان" كما ورد في الحديث المشهور، ثم نناقش جوهر الإختلاف بين تقسيم الله لمراحل الإسلام، وبين تقسيم أهل الانحراف والابتداع لهذا الدين، ثم نسرد نتائج هذا التقسيم، وضرره البالغ الذي أحاط بالأمة.

وكتابنا هذا هو الحلقة الثانية من سلسلة الظاهر والباطن، وسيعقبه بمشيئة الله تعالى الكتاب الثالث الذي يتتبع "تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية" وكيف نشأ ومراحل ظهوره وتطوره، ثم نعرض مجملا وافيا لمعتقداتهم ومدى حيودها عن الصراط المستقيم، وانحرافها عن جادة الطريق، ودورها في هدم هذا الدين، وسنربط بين أقوالهم وأقوال من سبقهم من الفلاسفة الأوائل، وسنرى كيف أصبحت علاقة هذه الفرق الباطنية بالإسلام، أوهن من بيت العنكبوت، بل إنها في حقيقتها تمثل خِنجرا ضربه أعداء الإسلام في ظهر المسلمين، ولولا حماية الله لأمة الإسلام، ما بقي لنا أثر اليوم، والحمد لله العزيز الحميد، القائل في كتابه المجيد: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾.[1]

ثم يأتي الكتاب الرابع من هذه السلسلة - إن كان في العمر بقية - والذي أسميه "عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة"، ليفصل عقائد الصوفية، ومدى مطابقتها لهدي الإسلام. وأين هي بالنسبة لأفكار الباطنية ومعتقداتهم، وهل يمكن أن نضع الصوفية مع الباطنية أعداء الدين، أم هم مع الإسلام وجماعة المؤمنين، ولا أريد أن أسبق الحوادث، وليس هذا أسلوبا من أساليب التشويق، ولكن الأمر خطير يحتاج من المسلم الصادق مع ربه أن يفهم الأمور بتفصيلاتها، ونترك للقارئ الكريم أن يصوغ النتائج كما يحلو له، بعد أن يعلم ما خفي عنه. وإذا وجدت يا أخي الكريم في هذه السلسلة خيرا، فالفضل لله وحده، وله المنة في الأولى والآخرة، وإذا وجدت فيها نقصا أو قصورا فمني ومن نفسي الأمارة بالسوء، فسبحان من لا ينبغي الكمال إلا له، وأوصيك ألا تقبل من كلامي إلا ما قام لك عليه الدليل فوافق الكتاب والسنة، ولنا في قول نبي الله شعيب عليه السلام القدوة الحسنة حيث يقول: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.[2]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

١ سورة الأنبياء آية ١٨

٢ سورة هود آية ٨٨

الباب الأول

العلم الباطني

١- الشيعة وعلم الباطن

٢- الباطنية وعلم الباطن

٣- الصوفية وعلم الباطن



الباب الأول: العلم الباطني

يقول رسول الله ﷺ: ﴿لتتبعن سَنَن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضَبٍّ لسلكتموه، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟[1]

فالمسلمون إذن لم يخترعوا انحرافا، وإنما استوردوه وقلدوا فيه اليهود والنصارى الذين يسيرون على أفكار المِلَلِ السابقة، فهم يقلدون اليهود والنصارى في كل شيء ولا يزالون، ولم يتوقف تقليدهم عند مظاهر انحراف العقائد، بل تراه يمتد اليوم ليشمل كل مناحي الحياة، فالمسلم اليوم لا يرتدي ثوبا إلا بعد أن يتعرف على آخر صيحات الموضة التي يضعها اليهود والنصارى، وأصبحت صور الجمال في عين الرجل المسلم والمرأة المسلمة هي ما رسمه خبراء الجمال في الغرب، ووضعوا قواعد المكياج والأصباغ والدهون التي تضعها المرأة اليوم على جميع أجزاء رأسها ووجهها وكفيها وأصابعها وقدميها،... ولا ينتبه المسلمون إلى ذكاء الصناعة الغربية وقدرتها على تسويقها بكافة السبل، وهم حين يروجون لبضاعتهم يحققون الأهداف التالية:

* ازدهار اقتصاد بلادهم، وتشغيل مَصانعهم وعمالهم.
* اغراق أسواق المسلمين بما لا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة.
* الهاء المسلم عن رسالة ربه، ونشر دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
* استنزاف ثروات المسلمين فيما لا طائل من ورائه.

كما يدلنا هذا الحديث على حقيقة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وهي أنه لم ينشأ أي انحراف في الأمة الإسلامية إلا وله أصل في الأمم السابقة، بل إن جذور بعض صور الإنحراف تمتد إلى ما قبل اليهود والنصارى، ودليلنا على ذلك قول الله: ﷻ ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون﴾.[2]

تقرر هذه الآية القرآنية حقيقة تاريخية هامة تربط بين انحراف اليهودية والنصرانية وبين انحراف الفرق الباطلة التي ظهرت قبل كليم الله موسى، وكلمة الله عيسى عليهما

---

١ حديث أبي سعيد الخدري متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ٣١٩٧، ٦٧٧٥، ومسلم في صحيحه ٤٨٢٢، والإمام أحمد في مسنده ٨٤:٣ / ٨٩ / ٩٤

٢ سورة التوبة آية ٣٠

السلام، وحين يخبرنا القرآن أن اليهود والنصارى بقولهم: إن لله ولدا، ﴿يضاهئون قول الذين من قبل﴾.[1] فإن هذه الآية القرآنية تعد معجزة تاريخية لا يدركها إلا من يتعمق في فهم أفكار الفلاسفة ومعتقداتهم القديمة.

وسيكون لنا وقفة تفصيلية - بإذن الله تعالى - مع هذه الحقيقة في الكتاب الثالث من هذه السلسلة عند الحديث عن ارتباط الباطل بعضه ببعض، وكيف استقت فرق الباطل من نفس الكأس، فأسلوب الباطل واحد وإن تعددت أشكاله ومظاهره، ولكن ما يعنينا في هذا المقام هو الفرق الباطنية في الإسلام، والتي سنتعرض لأفكارها عن الظاهر والباطن، وسنختار أشهر الفرق الباطنية ونعرض بضاعتها المزجاة وأوجه الإنحراف فيها.

---

١ سورة التوبة آية ٣٠

الفصل الأول

الشيعة
وعلم الباطن

١- علم الأئمة مطابق لعلم الله
٢- الأئمة أصل علم الباطن
٣- جهات علوم الأئمة
٤- الأئمة والاسم الأعظم



الفصل الأول: الشيعة وعلم الباطن

تعد الشيعة من أوائل الفرق التي ظهرت في الإسلام، وقد مر التشيع بمراحل متعددة حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من الغلو والتطرف في الفكر الباطني، وليس هذا هو مقام تتبع تاريخ هذا الفكر، حيث سنفرد له بمشيئة الله تعالى الكتاب الثالث من هذه السلسلة، أما ما يخص بحثنا الآن هو ما يتعلق بتقسيم العلم إلى ظاهر وباطن.

أولا: علم الأئمة مطابق لعلم الله

تقوم عقيدة الشيعة على فكرة وصاية أهل البيت على الدين الإسلامي، وقد تستروا بمحبة آل البيت، وراحوا يغالون في شأنهم ويضفون عليهم الكثير من الصفات والخصائص التي تخرجهم من حيز البشرية، وتدخلهم دائرة الربوبية وتكسوهم صفات الألوهية، فانحرفت أفكارهم وحادت عن الوسطية التي قامت عليها عقيدة الإسلام، وإذا تصفحنا فهرس كتاب "الأصول من الكافي" للكليني، والذي تعده الشيعة (كصحيح البخاري عندنا) أصح كتبهم لوجدنا في عناوين أبواب هذا الكتاب ما يكفينا مشقة سرد أحاديثهم الباطلة، وسنذكر أسماء بعض الأبواب التي تتعلق بموضوعنا وتبين أنواعا من علوم الباطن يعلمها أئمتهم مثل:

* باب الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه.
* باب الأئمة معدن العلم وشجرة الأنبياء ومختلف الملائكة.
* باب الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل.
* باب الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا.
* باب الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.
* باب الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء.
* باب جهات علوم الأئمة...
* باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة

لاشك أن من يحظى بكل هذه العلوم فقد خرج من حيز البشر، وارتقى إلى مستوى الآلهة، وكيف لا وقد أصبح موصوفا بأنه: خزنة علم الله، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة، كما أن مشيئة العلم عنده وإذا أراد أن يعلم فإن مشيئته هذه كافية لتحصيل العلم، ثم هو يعلم ما كان وما سيكون، ولا يخفى عليه شيء

ثانيا: الأئمة أصل علم الباطن

أشاعت الشيعة بين أتباعها مجموعة من المفاهيم التي تؤكد أن أئمتهم هم أصل العلم الباطن، وأن القرآن الكريم يشير إلى اختصاصهم بهذه العلوم وأنهم هم الراسخون في العلم ومن هذه المفاهيم ما يروونه:

* عن أبي عبدالله قال: "نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله".[1]
* وعن أبي عبدالله (ع) قال: "الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده".[2]
* وعن بريد بن معاوية في قول الله ﷻ "﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾[3] فرسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله: ﴿يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾.[4] فالقرآن خاص وعام، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه".[5]

ولهذا يفتح الشيعة أبواب العلم ولا يَحْصرونه في الكتاب والسنة، وإنما يَمْزِجونهما بالخيال والكشف والوهم والإلهام، ويزعمون أنها علوم الخاصة منهم، وهم بذلك يسيرون وراء من سبقنا من الأمم في دعواهم بتقسيم العلم إلى: ظاهر وباطن، وإلى: شريعة وحقيقة، ومن مروياتهم أن كميل بن النخعي سأل عليا بن أبي طالب عن الحقيقة، فأجابه قائلا: "مالك والحقيقة، قال: أو لست صاحب سرك؟ قال: بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني"،[6] ولعل هذا التصريح هو بداية ظهور كلمة: الحقيقة، ومدلولها عند القائلين بها أنها علم باطني لا يُنال إلا بالرشح أي التلقي الباطني من طول الصحبة.

وتزيد هذه الرواية الأمر تعقيدا فعن جعفر الصادق أنه قال: "إن أمرنا سر مستور، في

---

١ الأصول من الكافي للكليني ٢١٣:١

٢ الأصول من الكافي للكليني ٢١٣:١

٣ سورة آل عمران آية ٧

٤ سورة آل عمران آية ٧

٥ الأصول من الكافي للكليني ٢١٣:١

٦ الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني ١١

سر مقنع بالميثاق، من هتكه أذله الله، وقال: إن أمرنا سر مستور في سر، وسر مستسر، وسر لا يفيده إلا سر، وسر مقنع بسر، وقال: هو الحق، وحق الحق، وهو الظاهر، وباطن الظاهر، وباطن الباطن، وهو السر وسر السر المستسر، وسر مقنع بالسر"، وقال: مشيرا إلى وجوب كتمان هذا الكم المعقد من الأسرار بقوله: "التقية ديني، ودين آبائي، فمن لا تقية له لا دين له". ولهذا احتلت التقية ركنا من أركان العقيدة الشيعية، والتقية هي الاصطلاح الدبلوماسي الشيعي للنفاق، ويراد بها عندهم أن يظهر الشيعي للآخرين ما يوافق عقائدهم، برغم أنه يوقن في سريرته بخلاف ما يظهره للناس.

وتسير الشيعة على درب من سبقهم من الباطنية وتضع أسس الاختلاف بين علمي الشريعة والحقيقة برواياتهم عن علي رضي الله عنه يقول فيها: "اندمجت عليَّ مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيد،[1] وقال: تعلمت من رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، ففتح لي من كل باب ألف باب".[2] وقد نجحت الشيعة في دس هذا المفهوم في كتب السنة، لذا نجد كثير من الخطباء والوعاظ والصوفية يرددون هذا الحديث الموضوع أن رسول الله ﷺ قال: "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب".[3]

لذلك ينصح العلماء بعدم قبول كثير من أخبار المناقب إلا بعد التأكد من صحة نسبتها للنبي ﷺ فمن المعلوم أن كل فرقة من الفرق قد وضعت أحاديثا تؤيد اعتقادها، ونسبتها

---

١ الأرشية : أي الريشة، والجمع أرياش ورياش، والطوى أي المكان أو الوادي البعيد

٢ الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني ١١

٣ قال البخاري: إنه كذب لا أصل له، وكذا قال: أبو حاتم ويحي بن سعيد، ورواه الترمذي ٣٢٩:٤، وعلق عليه بقوله: إنه حديث منكر، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى، وقال: إن له عشرة طرق، وتعقبها كلها وأثبت وضعها ٣٥٠:١ – ٣٥٥، وذكر حديث "أنا دار الحكمة وعلي بابها، وقال: إن له خمسة طرق تتبعها جميعا وأثبت أنه لا يصح منها شيء ٣٤٩:١ – ٣٥٠، ورواه ابن عراق الكتاني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ٣٧٧:١ حديث ١٠٣، وأورده الشيباني في كتابه تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، وقال: كذب وباطل ولا أصل له راجع حديث رقم ٢٣٥ ص ٤١، وأورده العلامة الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، والإمام الذهبي في الميزان ٢٥١:٢، وأورده السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة حديث رقم ١٨٩، وقال ابن دقيق العيد: هذا الحديث لم يثبتوه راجع حديث ٢٥١ ص ٧١-٧٢، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، باب مناقب الخلفاء الأربعة، ٣٢٩:١- ٣٣٠، وبهذا قال: الخطيب إنه كذب لا أصل له، وابن عساكر وقال: منكر جدا إسنادا ومتنا، وكشف الخفاء ٦١٨، والفوائد للكرمي ٧١، وأحاديث القصاص ٧٨، وأسنى المطالب ٣٩٠، وتذكرة الموضوعات ٩٥، والأسرار ١١٨، والفتاوى الحديثية ١٢٦، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة حديث ٥١، ٥٢ ص ٣٤٨ وأفرد له تعليقا مستوفيا، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٣:٢ حديث ١٤١٦، وقال: حديث موضوع.

للنبي ﷺ منها ما جاء في مناقب العباسيين والأمويين ومثالبهم، أو مناقب أئمة المذاهب الأربعة وفقهائهم، أو ما ورد في مناقب أئمة الشيعة، لذا نجد "ابن القيم" رحمه الله يقول: "قال الحافظ أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد: "وضعت الروافض في فضائل علي رضي الله عنه، وأهل البيت نحو ثلاث مائة ألف حديث". ويعلق "ابن القيم" بقوله: ولا تستبعد هذا، فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال".[1] ولا شك أن قول "ابن القيم" هذا يعد تقديرا دقيقا لما دسه الباطنيون من أحاديث على سنة رسول الله ﷺ: ويكفيك للاقتناع بدقة هذا الرقم من الأحاديث الإطلاع على كتاب الشيعة الأكبر الذي يسمونه : "بحار الأنوار" الذي يتكون من ١١٠ مجلدا، كلها بإسناد الشيعة إلى الأئمة، وأكثرها روايات ما أنزل الله بها من سلطان، يطفح معظمها بالكذب والافتراء على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ.

وتزيد الهوة بين علم الظاهر الذي يخصصونه لأهل السنة، وعلم الباطن الذي يناله الشيعة وأتباعهم، وهم يشيرون في كتاباتهم إلى أشياعهم بالعلماء، ومن هذا ما يزعمون أن عليا زين العابدين قال: "والله لو عَلِم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله ﷺ بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، وإن عِلْم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا آل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء".

وينسبون إلى علي زين العابدين قوله شعرا:

إني لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
يارب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا[2]

ويرى الباطنية والشيعة والصوفية في هذه الأبيات دليلا على صحة فهمهم.

---

١ المنار المنيف في الصحيح والضعيف من الحديث لابن القيم ١٧١، التعليق علي حديث ٢٤٧ فصل ٣٠

٢ الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني ١٢، وقد استدل بهذه الأبيات محي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية ١:٣٢

ثالثا: جهات علوم الأئمة

لا تنتهي الروايات التي ترويها كتب الشيعة حول علم الأئمة واختصاصهم بكل شيء، ونأخذ مثالا من باب جهات علوم الأئمة يرويه الكليني عن جعفر الصادق يقول فيه: يقسم فيه علومهم إلى أربعة أنواع هي: "إن علمنا: غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهام، وأما النقر في الأسماع فأمر الملك".[1]

ويؤكد الشيعة أن العلم لا يرفع بل يتوارث بين العلماء، وبالتالي كل عالم جديد قد يجتمع عنده علوم الأولين، ولذلك ترى أتباع كل شيخ يرون في متبوعهم أنه يغنيهم عمن قبله، ومن ذلك ما قاله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء عن زعيم الطائفة الشيعية المعروف الإمام السيد/ أبو الحسن الموسوي: "انسى من قبله، وأتعب من بعده".[2]

وإن كان هذا ما يقال في شيخ معاصر، فما بالك بما يقوله أسلافهم في الإمام الأول عندهم، وهو علي بن أبي طالب، فتراهم يرون عن أبي عبدالله عليه السلام حيث يقول: إن في علي عليه السلام سُنَّةُ ألف نبي من الأنبياء، وإن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يُرفع، وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث"، ويقول أبو جعفر عليه السلام: "إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه".[3]

ويروى عن أبي جعفر قال: "إن الله ﷻ جمع لمحمد ﷺ سنن النبيين من آدم وهلم جرا إلى محمد ﷺ. قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله ﷺ صير ذلك كله إلى أمير المؤمنين. قال له رجل: يا ابن رسول الله: فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول! إن الله فتح مسامع من يشاء، إني أحدثه أن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهو يسألني أهو أعلم أم النبيين؟".[4]

---

١ الأصول من الكافي للكليني ١:٢٦٤

٢ تقديم كتاب الشيعة والتصحيح للعلامة الدكتور موسى الموسوي

٣ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٢٢

٤ الأصول من الكافي للكليني ١: ٢٢٢ - ٢٢٣

رابعا: الأئمة والاسم الأعظم

يؤكد الشيعة أن الاسم الأعظم أحد معارف الأئمة التي لا تنتهي، وهذا ما يرويه الكليني في كافيه حيث يقول: عن أبي جعفر الصادق أنه قال: "إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعون حرفا، وإنما كان عند آصف منها حرف فتكلم به فخُسف بالأرض، ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنين وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله تعالى، استأثر به في علم الغيب عنده.[1]

وعن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا اثنان وسبعون حرفا، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب".[2]

ويروي هارون بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي عبدالله لم أحفظ اسمه قال: سمعت أبا عبدالله يقول: "إن عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفا، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفا، وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمحمد ﷺ وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا، أعطي محمدا ﷺ اثنين وسبعين حرفا، وحجب عنه حرفا واحدا".[3]

لا يجب النظر لهذه المزاعم على أن الأئمة لديهم اسم الله الأعظم فقط، بل الغرض الحقيقي من ترويج مثل هذه الحكايات هو التأكيد على أن علوم الأئمة الباطنية تشمل علوم جميع الأنبياء والأولياء، بل هي تزيد عن علومهم جميعا، فآصف بن برخيا ينقل عرش بلقيس بحرف واحد يعرفه من حروف اسم الله الأعظم، فما ظنك بمن يعلم ثلاثة وسبعين حرفا!.

---

١ الأصول من الكافي للكليني ١:٢٣٠

٢ الأصول من الكافي للكليني ١:٢٣٠

٣ الأصول من الكافي للكليني ١:٢٣٠

الفصل الثاني

الباطنية
وعلم الباطن

١- إعادة بعث الباطنية في مصر
٢- القرآن تفسير أم تأويل؟
٣- الباطنية والحديث الشريف
٤- تأويلات باطنية
٥- التفسير والتأويل عند السلف



الفصل الثاني: الباطنية وعلم الباطن

أولا: إعادة بعث الباطنية في مصر

احتل الفاطميون مصر ما يزيد على مئتي عام، بنوا خلالها دولة الشيعة، وأنشأوا المدارس لنشر مذهبهم منها الجامع الأزهر، وأقاموا في مصر أضرحة لآل البيت بعد وفاتهم بقرون عديدة، كمسجد رأس الحسين رضي الله عنه، وضريح علي زين العابدين رضي الله عنه، حتى يجذبوا العامة إلى عقيدتهم من خلال حب أهل مصر الفطري لآل البيت، وراحوا يلعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما على منابر الجامع الأزهر لأكثر من قرنين من الزمان، إلى أن قيض الله لهم صلاح الدين الأيوبي فهدم دولتهم، ومحا شيعتهم من مصر، وأعاد الناس إلى عقيدة أهل السنة، وصحح ما فسد من عقائد الناس، ومع هذا نراهم لم ييأسوا بعد هذه القرون السبع التي مرت على زوال دولتهم، بل هم يحاولون ويخططون بأقصى جهد لاختراق الإسلام وضرب عقيدة أهل السنة، وذلك بإعادة بعث الباطنية في مصر، وكلما هلك فريق من الباطنيين، ظن المؤمنون أن أفكارهم قُبرت معهم، إلا أن الواقع غير ذلك، فالأفكار تُبعث من جديد وقد يتغير فقط الاسم والشكل، ويثبت المضمون وربما يتلون أحيانا، ولكنه لا يتغير، وأتباع الباطنية اليوم أيضا تتبدل ثيابهم ووظائفهم، وتسير عقولهم على درب زعمائهم الأقدمين، وأوضح دليل على هذا ظهور جماعة من المثقفين في مصر - منذ وقت قريب - يطلقون على أنفسهم اسم "الوارثين"، يظن أغلب الناس أنهم جماعة صوفية، فهم يسمون شيخهم "يحيى كامل أحمد قنديل" المربي الفاضل، وحضرة العارف بالله، والشيخ، إلى آخر هذه المسميات، ومقر هذه الجماعة مسجد النور الأحمدي التابع لجمعية رسالة الإسلام بحدائق القبة، حيث يعقدون اجتماعاتهم في قلب القاهرة جهارا نهارا، ولا يدرك أحد من الناس أنهم دعاة باطنيون يعملون ببطء شديد وحذر بالغ، وبنفس أسلوب سلفهم الذين فتحوا على الإسلام والمسلمين ويلات الفتنة والفرقة.

وسنعرض فيما يلي ما يبثه "الوارثون" من أفكار هدامة سواء فيما يخص القرآن أو الحديث، مع أمثلة من ضلالاتهم وتأويلاتهم الباطنية حتى نحذر الناس من شرهم، ونلفت أنظار العلماء لخطورة ترك هؤلاء المفسدين دون التصدي لأفكارهم، وكشف معتقداتهم، وبيان حقيقة ما يرمون إليه من هدم الدين بالكلية.

ثانيا: القرآن تأويل أم تفسير؟

أصدرت جماعة "الوارثين" كتابا يمهد لأفكارهم سموه: "القرآن تفسير أم تأويل" كتبه شيخ الجماعة، ثم بدأت الجماعة تسترسل في إصدار سلسلة من الكتب تحت عنوان: "الإسلام دين العقل"، وكتابهم الأول بعنوان: "مواجهة الفكر المتطرف في الإسلام"، والثاني بعنوان: "حقيقة الحكم بما أنزل الله"، ولا تهدف هذه الكتب إلى مناقشة الفكر المتطرف في الإسلام بقدر ما تهدف إلى بث أفكارهم الباطنية، كما توزع الجماعة على أتباعها خطب الشيخ، وأبحاث بعض تلاميذه منها بحث عن جماعة التكفير والهجرة،[1] ومجموعة من الخطب عن الخلافة، واليهود وسليمان، وعصمة موسى، كلها تطفح بأفكار الإسماعيلية الباطنية، وتهاجم كتب تفسير القرآن، وصحاح الحديث كالبخاري، وكتب مذاهب الفقه، والمؤلفات الفقهية القديمة والحديثة. وسنعرض في هذا الفصل أبرز أفكار هذه الجماعة ننقلها من كتاب شيخهم، ونبين كيف انساقوا وراء فكر أسلافهم حين صرفوا آيات القرآن الكريم عن أهدافها؟ وكَذَّبُوا سنة رسول الله ﷺ وهاجموا السلف الصالح وعلماء الأمة، كي يدسوا علومهم الباطنية، وبضاعتهم الفاسدة.

يقول "يحيى كامل" تحت عنوان القرآن بين التفسير والتأويل: "أنزل الله القرآن على قلب سيدنا رسول الله ﷺ قسمين:-

القسم الأول: "منه آيات محكمات هن أم الكتاب"، أي أن منه آيات فاصلة لا تحتمل الخروج عن مرمى ألفاظها في المعاني التي تشتملها تتحكم في تفكير الإنسان حتى لا يشتط في تفسيرها"، ويستطرد شارحا كيف يناسب هذا النوع من الآيات التفسير وليس التأويل فيقول: "وعلى هذا فإن التفسير يكون قاصرا على آيات كتاب الله المحكمات، التي تتناول العبادات والمعاملات فقط.

ثم يتحدث عن القسم الثاني والذي يقصد به "وأخر متشابهات" بأن هذا القسم لا يحتمل إلا التأويل، وأما التأويل فيشمل باقي آيات القرآن الكريم المتشابهات.[2]

ثم يُعَرِّف التأويل بقوله: ومعنى التأويل هو: "العدول عن ظاهر اللفظ إلى حقيقة المعنى

---

١ كتبه د. حامد حسان، د. محمد عبدالعظيم علي، د. علاءالدين زيدان، ومحاسب/ محمد زغلف، ومهندس زراعي/ عبدالسلام عبدالفتاح، وكثير من أبحاث هذه الجماعة مكتوب على الآلة الكاتبة أو بخط اليد

٢ رسالة الإسلام القرآن تفسير أم تأويل الجزء الأول ليحي كامل قنديل ٥١

المراد، ولا يشترط أن يكون ظاهر اللفظ مرتبطا بالمعنى المقصود".

ويتصف أسلوب هذه الجماعة بالجرأة ومجاوزة الحد، عكس الطرق الصوفية التي لا تكشف عن معتقداتها بسهولة. والشيخ يحيى كامل بهذا المنطق يخصص تفسير القرآن للآيات الخاصة بالعبادات والمعاملات فقط، أما باقي آيات القرآن الكريم فلا يناسبها إلا العدول عن ظاهر اللفظ إلى حقيقة المعنى، ثم يتحرر من اللفظ القرآني بالكلية ليفتح باب الباطنية على مصراعيه، فيقول ما وسعه القول، ولا حد يمنعه، ولا نص يقيم عليه الحجة ويعبر الرجل عن عقيدته صراحة فيقول: "ولا يشترط أن يكون ظاهر اللفظ مرتبطا بالمعنى المقصود".

وتؤول جماعة الوارثين الآيات القرآنية تأويلا باطنيا ويخرجونها عن مرادها، ويعلقون على كتب التفسير المعتمدة وأقوال مصنفيها وما ينقلونه عن علماء الأمة وسلفها الصالح بوقاحة شديدة ومن أمثلة ذلك:

* "من هذا المنطلق نجد علماءنا الأقدمين، وقد تبعهم المحدثون جريا على منهاجهم دون روية وتدبر"[١].

* "المفسرين قديمهم وحديثهم يفسرون لنا القصص القرآني مجردا من واقعه ويضعونه في قالب الروايات التاريخية، ويخلقون لنا الأبطال الوهميين، ويخترعون لهم أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ويصطنعون لها من الأحداث الباطلة الملفقة ما يبعدها عن الحق".

* "كيف فسر الأقدمون آيات الله وجردوها من واقعها، وعلى آثارهم يهرع المحدثون، وأن تفسير الأقدمين هو مؤامرة لإبعاد القرآن عنا، وحرماننا من النور الذي جاء به".

* ويصف الوارثون تفسير مجاهد بقولهم: "إلى آخر هذه الترهات التى تطمس واقع الآيات القرآنية".

* ويهاجم الوارثون ابن كثير بقولهم: "ولا يمكن أن نعلق على تفسير ابن كثير بأكثر مما ينم عليه لفظه من سطحية وسذاجة وجهاله وتطاول".

أرأيت جهلا وعدوانا بهذا القدر من الجرأة والتهور، فالمفسرون للقرآن الكريم عندهم يتآمرون لإبعادنا عنه، ومن العجيب أن تصل علاقات هؤلاء الوارثين بوسائل الإعلام المرئية، إلى حد عقدهم ندوة في التليفزيون لمناقشة الجماعات الإرهابية، وهم يهددون الإسلام بنفس القدر من الخطورة التي أحدثتها جماعات التكفير أصحاب فكر الخوارج.

---

١ خطبة عنوانها إن الدين لواقع وتوزع بخط اليد على الأتباع صفحة ١

ثالثا: الباطنية والحديث الشريف

يوضح الوارثون في العديد من كتبهم ومنها: كتاب "مواجهة الفكر المتطرف في الإسلام" منهجهم في الحكم على الحديث فيقولون "إذا أردنا أن نحدد الأسلوب الأمثل في الحكم على أي حديث يصل إلينا بأنه صحيح أو مدسوس، فإن المقياس الحاسم في ذلك إنما يكون بإرجاع الحديث إلى القرآن فإن اتفق معه يكون صحيحا، وإن تعارض معه يكون مدسوسا". والوارثون بذلك يقلدون الباطنية ويروجون حديثا موضوعا يفترونه على النبي ﷺ يقولون فيه: إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه"، وقد وضع الزنادقة هذا الحديث ليعطلوا سنة النبي ﷺ. "وقد عارض هذا الحديث بعض أئمة العلم فقالوا: "عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفا له، والقرآن يكذبه ويرده، فقد وجدنا في القرآن الكريم: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.[1] ووجدنا فيه ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.[2] ووجدنا فيه ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾".[3]

١- حديث قتال الكفار

إن من عِظَم البلوى أن يطبق الوارثون أسلوب شيخهم هذا على الأحاديث المتواترة وهم لا يدركون قيمة التواتر ولا معناه، فالتواتر لغة: التتابع، والحديث المتواتر في الاصطلاح: هو ما رواه جمع من الصحابة ثم التابعين يحيل العقل تواطؤهم على الكذب عادة من أمر حسي أو حصول الكذب منهم اتفاقا. ويقرر العلماء أهمية الحديث المتواتر فيقولون: "الحديث المتواتر يفيد العلم الضروري (اليقيني)، ومنكره كافر".[4] فهذا حديث متواتر رواه جماعة من الصحابة تزيد على عشرة كلهم يرفعه إلى النبي ﷺ حيث يقول: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى

---

١ سورة الحشر آية ٧

٢ سورة آل عمران آية ٣١

٣ سورة النساء آية ٨٠

كتاب إرشاد الفحول ٢٩، نقلا عن دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين للدكتور أحمد محمد أبو شهبة ١٨

٤ المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف لمحمد بن علوي المالكي ١٠١

يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها﴾.[1] يرفض الوارثون هذا الحديث ويبررون ذلك بقولهم: "ومن البديهي أن الدعوة إلى مقاتلة الناس لإكراههم على الدخول في الإسلام هي دعوة باطلة". ويرد الدكتور البوطي على هذه الشبهة بقوله: "هناك فرق بين: أمرت أن أقتل الناس، وبين أمرت أن أقاتل الناس، فلو ورد الحديث بلفظ أقتل الناس لكان مناقضا للآيات القرآنية والأحاديث الكثيرة الأخرى الدالة على النهي عن القسر والإكراه"،..ويستطرد الدكتور البوطي شرحه بقوله: "كلمة أقاتل على وزن أُفاعل تدل على المشاركة، فهي لا تصدق إلا تعبيرا عن مقاومة من طرفين، بل هي لا تصدق إلا تعبيرا عن مقاومة لبادئ سبق إلى قصد القتل، فالمقاوم للبادئ هو الذي يسمى مقاتلا، .. والبادئ في الحقيقة يسمى قاتلا بالتوجه والهجوم أو بالفعل والتنفيذ".[2]

٢- حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام

وهو حديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة[3]، يزعم الوارثون أنه حديث مدسوس ويقولون: "إن هذا الحديث موضوع وأن نسبته إلى رسول الله ﷺ محض افتراء وكذب".

٣- حديث الشفاعة

يؤمن أهل السنة والجماعة بالشفاعة، ويقرون بشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة

---

١ حديث أبو بكر أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة حديث ٦٧٤١، ومسلم حديث ٢٠، وأحمد صفحة ١١:١ / ١٩، والنسائي ٣٩٧١، ٣٩٧٢، ٣٩٧٦؛ حديث عمر بن الخطاب أخرجه البخاري في استتابة المرتدين حديث ٦٤١٣، والنسائي في الزهد حديث ٢٤٤٣، وأحمد صفحة ١٩:١، حديث عبدالله ابن عمر أخرجه البخاري في الإيمان حديث ٢٤، ومسلم حديث ٢٢، وأحمد حديث ٣٤٥:٢، حديث أبو. هريرة أخرجه البخاري في الجهاد والسير حديث ٢٧٢٧، ومسلم حديث ٢١، وأحمد حديث ٥٢٨:٢، والنسائي ٣٩٧٧، وابن ماجة في الدعوات ٣٩٢٧، والطبراني في الأوسط ٢٨٠٢، ١٢٩٤، والترمذي في الإيمان ٢٦٠٦، حديث أنس بن مالك أخرجه البخاري في الصلاة حديث ٣٧٩، والترمذي حديث ٢٦٠٨، والنسائي في الاستئذان ٥٠٠٣، حديث أوس بن ابي أوس أخرجه الدارمي في السير حديث ٢٤٤٦، حديث معاذ بن جبل أخرجه الطبراني في الكبير ٦٣:٢٠

٢ الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٥٨ - ٥٩

٣ أخرجه البخاري أحاديث ٣١٥٧، ٤٣٦٧، ٤٣٦٩، ٦١٢٤، ٦٩٦١، ومسلم ٢٦٥٢، وأبو داود ٤٧٠١، وابن ماجة ٨٠، وأحمد في مسنده ٢٤٨:٢، ٢٦٤ ومالك في الموطأ ١٦٦٠

غيره، ولكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله ويُحد له حدا، ودليل ذلك ثابت في القرآن والحديث المتواتر الذي رواه جماعة من الصحابة منهم أبي بكر وأبي موسى وأبي سعيد الخدري وعثمان وكعب وعمران بن حصين وواثلة بن الأسقع وعبدالله بن سلام وأوس بن أوس وعوف بن مالك وابن عمر وأنس وجابر ومعاذ كلهم يرفعه إلى النبي ﷺ قال: ﴿أنا سيد الناس يوم القيامة.. وفيه فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك﴾.[1] يهاجم الوارثون هذا الحديث بقولهم: "إن حديث ابن كثير الذي ذكره البخاري عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ" إن هذا الحديث موضوع وأن نسبته إلى رسول الله ﷺ محض افتراء وكذب".

وهكذا سار الوارثون على نهج المعتزلة والخوارج حين أنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، ولا يعرف عامة الناس أن الوارثين يرفضون هذه الأحاديث لسبب خفي غير أسباب المعتزلة والخوارج، وهذا السبب هو إيمانهم بتناسخ الأرواح، وما يسمى بعلم الدورة، وأن نوح عليه السلام هو نفسه آدم، وأن إبراهيم عليه السلام إنما هو بعث آخر لنوح عليه السلام وهكذا، ولذلك فهم مضطرون حسب عقيدتهم الفاسدة إلى إنكار محاجة آدم لموسى، وأحاديث الشفاعة برغم ثبوتها في القرآن، إلا أن عقيدتهم لا تسمح بوجود الأنبياء جميعا يوم البعث، الذي ينكرونه أيضا وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في كتابنا الثالث بإذن الله تعالى.

---

١ حديث أبو سعيد الخدري أخرجه البخاري في الرقاق حديث ٦٠٧٩، ومسلم حديث ٢١٠، وأحمد صفحة ٣:٥٠ / ٥٥، وابن ماجة ٤٣٠٨ ، حديث أبو موسى الأشعري أخرجه ابن ماجة في الزهد حديث ٤٣١١، حديث عبدالله بن عمر أخرجه البخاري في تفسير القرآن حديث ٤٣٤٩، ومسلم حديث ١٠٤٠، والنسائي في الزهد ٢٥٨٥، وأحمد حديث ٢:٨٨، حديث أبو هريرة أخرجه البخاري في الرقاق حديث ٦٠٨٥، وابن ماجة في الزهد حديث ٤٠٣٧، وأحمد حديث ٢:٣٧٣، والنسائي ٣٩٧٧، وابن ماجة في الدعوات ٣٩٢٧، والطبراني في الأوسط ٢٨٠٢، ١٢٩٤، والترمذي في الإيمان ٢٦٠٦، حديث أنس بن مالك أخرجه البخاري في التوحيد حديث ٦٩٥٥، وابن ماجة حديث ٤٣١٢، حديث جابر بن عبدالله أخرجه البخاري في الرقاق حديث ٦٠٧٣، والترمذي ٢٥٩٧، وابن ماجة ٤٣١٠، وأحمد ٣:٣٢٦، وابن حبان في صحيحه ٦٤٣٣، حديث عثمان بن عفان أخرجه ابن ماجة في الزهد ٤٣١٣

رابعا: تأويلات باطنية

تفتح جماعة الوارثين باب التأويل الباطني للقرآن على مصراعيه، وقد ساروا في ذلك وراء من سبقهم من الباطنية، وللقارئ أن يرجع إلى الباب السادس من هذا الكتاب ليقارن تأويلات جماعة الوارثيين التي ترتدي مسوح التصوف، وبين التأويلات الباطنية ليتأكد أن هذه الجماعة إن هي إلا فرقة باطنية إسماعيلية تهدف إلى هدم الإسلام واختراق أهل السنة.

ونعرض فيما يلي مجموعة من الألفاظ القرآنية وتأويلها الباطني عندهم:

﴿يس ﴾ ليس هو محمد وإنما هو النذير المستمر في الأمة.

﴿الحاقة﴾ اليد الإلهية العظمى التي تحق الحق وتبطل الباطل.

﴿القارعة﴾ يد البطش الإلهي التي تبطش بالجاحدين كما بطشت بعاد وثمود دائما أبدا.

﴿النازعات غرقا﴾ النفوس التي تنزع إلى الشر دائما حتى تغرق فيه وتهلك.

﴿الناشطات نشطا﴾ النفوس التي تنشط من جهاد نفسها وهواها لتسلك طريق الله.

﴿السابحات سبحا﴾ النفوس التي تسبح في ملكوت الله بالتأويل والتدبر والذكر الدائم.

﴿السابقات سبقا﴾ النفوس التي تتسابق في طريق الله.

﴿الصافات صفا ﴾ النفوس المؤمنة التي تقف صفا واحدا في سبيل نصرة الحق.

﴿الزاجرات زجرا﴾ النفوس التي تزجر نفسها دائما وتنهاها عن الهوى والشيطان.

﴿التاليات ذكرا﴾ النفوس الذاكرة.

سليمان هو القائد الذي سينتصر على اليهود.

الهجرة ليست انتقال من مكان لآخر وإنما هجرة بالقلب إلى الله.

النمل هم: اليهود. وادي النمل أي فلسطين حيث تجمع اليهود.

الكلب هو: تارك طريق الله. والنحل هو: المؤمن الصادق. والبعوضة هي: الفاسق العاصي.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة، فالأمر واضح لا يحتاج إلى المزيد.

ونلفت النظر إلى أننا سنعرض في الباب السادس رأي الباطنية وتقسيمهم للدين وسنتناول الشريعة عند الإسماعيلية والدروز، وللقارئ أن يقارن بين فكر الوارثين الباطني، وبين عقيدة الباطنية حتى يعرف من أين يستقي الوارثون ميراثهم.

خامسا: التفسير والتأويل عند السلف

لزمنا بعد أن عرضنا منطق الباطنية في التأويل، وكيف أخرجوا النص عن مراده بالكلية، أن نوضح فهم السلف الصالح عن التفسير والتأويل والفرق بينهما، فنقول وبالله التوفيق:

تعريف التفسير في اللغة: التفسير هو الإيضاح والتبيين والكشف، وإظهار المعنى المعقول، تقول فسر الشيء وفسره أي أبانه، قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾.[1] والتفسير هنا أي البيان والتفصيل كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

والتفسير في الاصطلاح: هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها التركيب، وعرفه الزركشي: بأنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

والتأويل لغة: مأخوذ من الأول وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: آل إليه أولا ومآلا، أي رجع وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير قال تعالى: ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾.[2]

والتأويل في الاصطلاح: له معنيان عند السلف:

١- تأويل الكلام: أي ما يؤول إليه الكلام ويرجع حقيقته التي هي عين المقصود كما قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربك بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾.[3] والتأويل في هذه الآية هو مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها ووضع الموازين والجنة والنار.

٢- تأويل الكلام: أي تفسيره وبيان معناه وهذا ما يعنيه ابن جرير الطبري في تفسيره بقوله: والقول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وبقوله أيضا: اختلف أهل التأويل في هذه الآية ومراده التفسير.

التأويل عند المتأخرين: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح

---

١ سورة الفرقان آية ٢٣

٢ سورة الكهف آية ٨٢

٣ سورة الأعراف آية ٥٣

لدليل يقترن به. وينبغي الإنتباه إلى أهمية وجود دليل سمح بالحيود عن المعنى الراجح إلى معنى آخر يسمح به اللفظ، أما تأويلات الباطنية فهي صرف اللفظ عن مدلوله بلا حجة أو دليل على صحة هذا الصرف، غير الهوى والضلال.

الفرق بين التفسير والتأويل

١- إذا أريد بالتأويل هو تفسير الكلام، وبيان معناه، فالتفسير والتأويل على هذا متقاربان.

٢- إذا أريد بالتأويل هو نفس المراد بالكلام: أي العاقبة التي تؤول وتقع في ثاني حال، فالفرق كبير بينه وبين التفسير، لأن التأويل على هذا المعنى المراد به وقوع المُخْبَر به.

٣- وقيل أن التفسير ما وقع مبينا في كتاب الله أو معينا في صحيح السنة لأن معناه قد ظهر ووضح، أما التأويل فهو ما استنبطه العلماء برأيهم، ولذا قال بعضهم التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية.

٤- قيل التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومفرداتها، والتأويل أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل.[١]

---

١ نقلا عن الجداول الجامعة في العلوم النافعة لجاسم محمد مهلهل وآخرون ١٤٦



الفصل الثالث

الصوفية
وعلم الباطن

١- التعريف الصوفي لعلم الباطن
٢- كيف يُنال علم الباطن؟
٣- أسرار الصوفية
٤- اختصاص علي بالعلم الباطن
٥- الصوفية والخِرْقَة
٦- الصوفية والحسن البصري
٧- بين التصوف والتشيع



الفصل الثالث: الصوفية وعلم الباطن

أولا: التعريف الصوفي لعلم الباطن

يُعَرِّف الصوفية هذا العلم الباطن بقولهم: "ما يُلقيه الله على عبده من خاطر يكون به جواب المسائل".[1] ويضع محمد غازي عرابي تعريفا صوفيا آخر عن علم الباطن أنه:

"علم يعتمد على ما يلقي الله على عبده من خاطر يكون به جواب المسائل، وهو علم خاص بمن رضي الله عنهم من أهل الصفة،[2]، وسمي هؤلاء مُحَدّثون ومنهم عمر رضي الله عنه، الذي أفتى بقتل الأسرى وخالفه النبي، فنزل الوحي مؤيدا لعمر، ثم أفتى بحجاب أزواج الرسول فنزل مؤيدا إياه، والحق أن الوحي الذي هبط على الرسول هو الوحي الذي أوحي إلى عمر[3] مثلما أوحي إلى أم موسى أن تقذف برضيعها في التابوت، ثم تقذفه في اليم، فأنت ترى في أن القضية جدة خارجة عن نطاق المألوف، حتى أن الرسول نفسه لم يرض بفتوى عمر حتى أيده الله.. كما أنه يستحيل تصور أن تقذف أم برضيع لها في التابوت، ثم تقذفه في اليم علما أن هذا مخالف لمشاعر الأمومة، فالعلم الباطن علم خاص به سبحانه يختص به من يشاء من عباده".[4]

ويعرف إمام الصوفية الأكبر ابن عربي أنواع العلم بقوله: "العلم علمان موهوب ومكتسب، فالعلم الموهوب لا ميزان له، والعلم المكتسب هو ما حصل عن التقوى والعمل الصالح،

---

١ النصوص في مصطلحات التصوف محمد غازي عرابي ١١٩

٢ أهل الصفة هم جماعة من فقراء المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة المنورة، ولم يكن لهم بيوت يسكنونها، فأقامهم النبي ﷺ في المسجد، وكانوا يكثرون من قراءة القرآن والنوافل، وكلما اتيحت فرصة عمل لأحدهم ترك الإقامة في المسجد، وهكذا تناقص عددهم حتى استوعبهم المجتمع الإسلامي وكان منهم عبدالله بن عمر وأبي هريرة وغيرهم، ولا يُعرف في الإسلام اختصاص أهل الصفة بعلم خاص بهم، ولا نعرف من أين جاء محمد غازي عرابي بتسميتهم بالمحدثين، كما أن عمر بن الخطاب لم يكن مُن أهل الصفة، فهذه دعاوى بغير دليل ولا بينة.

٣ هذه دعوى أخرى لم يقل بها أحد من علماء المسلمين، وما نعرف أن الوحي الذي هبط على النبي ﷺ هو الذي هبط على عمر رضي الله عنه، أو على أم موسى، وإن كان مصدر الوحي واحد وإنما تختلف صورة الوحي إلى النبي ﷺ عن الوحي إلى غيره.

٤ النصوص في مصطلحات الصوفية محمد غازي عرابي ١١٩

وتدخله الموازنة والتعيين".[1]

كما يُعَرِّفُ الصوفية العلم الظاهر بقولهم: "هو علم الأعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة وهي الأعضاء، والعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث الرسول ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن، ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر. وعلم الشريعة علم واحد يجمع المعنيين: الرواية والدراية، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، لأن العلم متى كان في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجري ويظهر على اللسان، فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر".

كما يقسم ابن عجيبة مراحل السلوك الصوفي ويربطها بتقسيم العلم إلى ظاهر وباطن فيقول في كتابه الفتوحات الإلهية: "والعلم الظاهر هو علم الشريعة، والعلم الباطن هو علم الطريقة والحقيقة".[2]

ثانيا: كيف يُنال علم الباطن؟

قرر رسول الله ﷺ أسلوب التعلم وتلقي العلوم بقوله: ﴿يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين،[3] (وفي رواية البخاري) وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ﴾.[4] (وفي رواية أخرى) وإنما العلم بالتعلم".[5] ويقول سفيان الثوري رضي الله عنه: "إنما العلم بالآثار".[6] فالمرء ينال العلم بالمذاكرة والتلقي وتحصيل أسبابه، فالأسباب في سنن الله توصل إلى نتائجها، وبذلك أخبر النبي ﷺ.

---

١ الفتوحات المكية لابن عربي ٥٧٦:١

٢ الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة ٩٥

٣ حديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني وإسناده حسن، وروى البزار نحوه موقوفا من حديث عبدالله بن مسعود، وفي الباب عن أبي الدرداء وغيره أنظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣١:١

٤ متفق عليه أخرجه البخاري من حديث معاوية بن أبي سفيان رقم ٦٩، ومسلم حديث ١٠٣٧، وابن ماجة في المقدمة حديث ٢٢١، وأحمد في مسنده ٩٢:٤ / ٩٣ / ٩٦ / ٩٧، وسنن الدارمي حديث ٢٢٤

٥ أخرجه البخاري تعليقا في باب العلم قبل القول والعمل

٦ أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ٥٧:٧

إلا أن لبعض الصوفية رأيا آخر يسوقه أبو طالب المكي فيما يرويه حكاية عن مجاهيل يقول فيها: "قال بعضهم: العلم بالتعلم، والحكمة بالتجويع، والعلم من اللسان إلى الآذان، والحكمة من الغيوب إلى القلوب".[١]

وبرغم تحديد القرآن الكريم للحكمة أنها سنة رسول الله ﷺ وذلك في قول الله تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾.[٢] فآيات الله نعرفها وينزل بها أمين الوحي جبريل عليه السلام، والحكمة هي ما ينطق به النبي مبينا وموضحا بأقواله وأفعاله وتقريره، ويؤكد هذا المعنى قول الحق سبحانه ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾.[٣] وسنة رسول الله ﷺ لا تنال إلا بالتعلم، وإذا قلنا أن الحكمة لا تنال إلا بالتجويع أي بترك شهوات الدنيا، مع تحصيل أسباب العلم بالتلقي عن العلماء أهل الاختصاص، أو بالقراءة والإطلاع، وهذه السبل توصل الناس لما كان عليه السلف الصالح، فالمعنى صحيح، أما أن يقرر الصوفية أنها من الغيوب إلى القلوب، فذلك أمر آخر يشرحه الشبلي حين سُئل: "ما بال الحكمة عليها حلاوة؟ فأجاب قائلا: لأن الحديث هو ميت عن ميت، حدثني فلان وقد مات، عن فلان وقد مات، والحكمة حي عن حي، حدثني قلبي عن ربي".[٤]

فالمقصود بالحكمة عند الصوفية هي العلم الباطن الذي لا يناله إلا الخاصة من المشايخ والعارفون، لذلك ترى يحيى بن معاذ يقول: "الناس كثير، والعلماء في الناس قليل، والعلماء كثير، والفقهاء في العلماء قليل، والفقهاء كثير، والحكماء في الفقهاء قليل، وكلام العلماء يبكي العيون، وكلام الحكماء يبكي القلوب".[٥] ويقول أبو طالب المكي في موضع آخر: "قال بعضهم: العالم محتاج إلى الحكيم، والحكيم غير محتاج إلى العالم، ولهذا احتاج موسى إلى الخضر، ولم يحتج الخضر إلى موسى ففارقه"، ثم يستطرد قائلا: "والناس يتأدبون بالعالم، والعالم يتأدب بالحكيم، والحكيم يتأدب بالفقير، والفقراء متأدبون بالله".

وقد سُئل عبدالله بن المبارك: مَن الناس؟ فقال: العلماء، قيل فمن الكبراء من الناس؟

---

١ علم القلوب لأبي طالب المكي ٥٢

٢ سورة الأحزاب آية ٣٤

٣ سورة النساء آية ١١٣

٤ علم القلوب أبو طالب المكي ٤٦

٥ علم القلوب أبو طالب المكي ٣٥

فقال: الحكماء، قيل فمن الملوك؟ قال: الزهاد". ويستشهد المكي بقول الحلاج: "الحكمة سهام رب العالمين، وقلوب المريدين أهدافها، وألسنة الحكماء قسيها، والرامي الحي القيوم، والخطأ معدوم"،[1] "والعلم الظاهر من عالم الملك، وهو من أعمال اللسان، واللسان خزانة الملك، وعلم الباطن من عالم الملكوت، وهو من أعمال القلوب، والقلب من خزانة الملكوت".

فالصوفية إذن تحدثهم قلوبهم عن ربهم، الذي يرمي الحكمة من خزائن ملكوته في أفئدتهم، وهو سبحانه الذي يتولى تأديب الفقراء والصوفية!

---

١ علم القلوب أبو طالب المكي ٣٤

ثالثا: أسرار الصوفية

يرمز الصوفية بعلم الباطن إلى العلم الذي يضم سر الأسرار، الذي لا ينبغي الحديث عنه لعامة الناس، وهم في الواقع يشيرون إلى عقيدة وحدة الوجود التي أرسى قواعدها، ورسخ مفاهيمها في وجدان الفكر الصوفي ابن عربي، ولا يتسع المقام هنا لتتبع هذه الأفكار الدخيلة على الإسلام، حيث سنفرد لها كتابنا الرابع من هذه السلسلة، وسنتعرض هنا فقط للأسرار الصوفية الكامنة التي يخفونها عن خاصة المريدين، وننقل من أسرار القوم ما سطروه في كتبهم، وأقرتها كتب مصطلحات الصوفية مثل اصطلاحات الصوفية للقاشاني ومعجم مصطلحات الصوفية للحفني، وهم يعرفونها كما يلي:

السر: هو ما يخص كل شيء من الحق عند التوجه الإيجادي إليه، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ ولهذا قيل: لا يعرف الحق إلا الحق، ولا يحب الحق إلا الحق، ولا يطلب الحق إلا الحق، لأن ذلك السر هو الطالب للحق، والمحب له، والعارف به. وسر العلم: هو حقيقة العلم لأن العلم هو عين الحق في الحقيقة، وغيره بالاعتبار.

وسر الحقيقة: ما لا يُفْشى من حقيقة الحق في كل شيء.

وسر الربوبية: هو توقفها على المربوب، لكونها نسبة لها من المنتسبين، وإحدى المنتسبين هو المربوب، وليس إلا الأعيان الثابتة في العدم، والموقوف على المعدوم معدوم، ولهذا قال سهل بن عبدالله التستري: للربوبية سر لو كُشِف بطلت النبوة، وللنبوة سر لو ظهر لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو أظهره الله لبطلت الأحكام".[1]

ويستند ابن عربي على عبارة سهل بن عبدالله هذه ليفسر عقيدته في وحدة الوجود فيقول: إن للربوبية سرا (وهو أنت: يخاطب كل عين)، لو ظهر بطلت الربوبية،..[2]

وسر سر الربوبية: هو ظهور الرب بصور الأعيان فهي من حيث مظهريتها للرب القائم بذاته الظاهر بتعيناته، قائمة به موجودة بوجوده..[3]

---

١ اصطلاحات الصوفية للشيخ عبدالرزاق القاشاني ١٠٣

٢ فصوص الحكم لابن عربي ٩٠:٧

٣ اصطلاحات الصوفية للشيخ عبدالرزاق القاشاني ١٠٣

رابعا: اختصاص علي بالعلم الباطن

إن القارئ لكتب الصوفية يلمس غلوا - يصعب إخفاؤه أو إنكاره - في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما لو كنت تقرأ في كتب الشيعة، حتى المصلحين من رجال التصوف تلمس عندهم غلوا واضحا في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويظهر هذا الغلو في استدلال الطوسي بحديث موضوع يرويه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول فيه: علمني رسول الله ﷺ سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحدا غيري".[1]

وتجد هذا الغلو واضحا فيما حكاه الشعراني في طبقاته الكبرى، ويكرره عبده عثمان البرهاني في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة، وكلاهما ينسبان إلى علي بن أبي طالب خطبة، يتحدث فيها عن صفاته ومناقبه ومآثره في ثلاث صفحات من القطع الكبير، وتتكون الخطبة من عدد من الجمل القصيرة تبدأ كل منها بكلمة أنا، منها: "أنا الأول والآخر، أنا حقيقة الأسرار، أنا سخي الأنوار، أنا دليل السموات، أنا أنيس المسبحات، أنا سائق الرعد، أنا سبب الأسباب، أنا مدد الخلائق، أنا جوهر القِدَم، أنا الظاهر والباطن، أنا الفرقان، أنا الرحمن، أنا أم الكتاب، أنا شديد القوى، أنا والله وجه الله".[2] ولا يعلم أغلب الصوفية أن هذه الخطبة بنصها موجودة في كتب الشيعة، وبالتالي لا غرابة إذن أن يزعم الصوفية ومن ورائهم الباطنية أن النبي ﷺ اختص عليا دون سائر أصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعلم باطني. وهذه دعوى شيعية الأصل، تصدى لها علماء السنة وقرروا بطلانها، وأثبتوا أن أبا بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كانا أعلم الصحابة وأفقههم جميعا، وأكثرهم فهما في دين الله،[3] ولكن ذلك لم يمنع بعض الصوفية من الغلو في شأن علي رضي الله عنه، حتى جعلوا علمه أعظم من علم جبريل عليه السلام، ويكفي أن أغلب طرقهم تنتهي إليه، وهذا ما يرويه الشعراني في طبقاته عن الشيخ أبو الفضل الأحمدي حيث يقول: "كما وقع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى كان يقول: عندي من العلم الذي أسره إلي النبي ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل، فيقول له ابن عباس: كيف؟ فيقول: إن جبريل عليه السلام

---

١ لاشك أن سبعين بابا من العلم أقل كثيرا من زعم الشيعة في أخبارها أن رسول الله ﷺ علم عليا ألف باب من العلم ففتح عليه من كل باب بألف باب فأصبح العدد مليون باب.

٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة صفحة ٢٩٤ - ٢٩٩

٣ راجع كتاب منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وسنناقش هذه الدعوى في الباب الخامس

تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وقال: وما منا إلا له مقام معلوم، فلا يدري ما وقع لرسول الله ﷺ بعد ذلك". ثم يعلق بقوله: هذا هو التلقين الحقيقي، ولا يكون إلا لمن اتحد بشيخه حتى صار كأنه هو".[1]

لما أرسى القشيري تقسيمه الصوفي للإسلام وعرف مراحله الثلاث، وسماها: "شريعة، وطريقة، وحقيقة". لم يخطر على باله النتائج التي سيصل إليها أتباع هذا التقسيم الصوفي.

يزعم ابن عجيبة[2] الذي يؤمن بعقيدة وحدة الوجود في شرحه "لحكم" ابن عطاء الله السكندري زعما عجبا حين يقول: "أما واضع علم التصوف فهو النبي ﷺ علمه الله له بالوحي والإلهام، فنزل جبريل عليه السلام أولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة، فخص بها (أي النبي ﷺ) بعضا دون بعض، فأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي رضي الله عنه، وأخذه عنه الحسن البصري".[3]

وهذا القول الفاسد لا ينقصه فقط الدليل، بل إنه يهدم كثيرا من القواعد الأصلية للدين، فالدين ليس مستويين أحدهما ظاهر للعامة ينزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام مرة ثم ينزل ثانية بعلم الخاصة، ثم كيف يجرؤ ابن عجيبه على الإشارة بأن رسول الله ﷺ خص بعض أصحابه بشيء دون غيرهم، ثم لم الجنوح والتشيع لعلي رضي الله عنه، وأين الحقائق التي تكلم فيها علي ولا يعرفها أصحاب النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، ثم أخذه الحسن البصري عن علي وسنفند هذه الفرية في فصل مستقل.

ولا يستند الصوفية في مزاعمهم هذه إلا على قصة موسى والخضر عليهما السلام، وقد استقر في وجدانهم القول باختلاف علم الظاهر ومصادره عن علم الباطن ومشاربه، وأن هذا التعارض شيء لازم، وقول الخضر هذا فراق بيني وبينك دليل عندهم على عدم اجتماع العلمين بعد ذلك. ويقول ابن عجيبة أن استمداد التصوف هو: "التصوف مستمد من الكتاب

---

١ الطبقات الكبرى لعبدالوهاب الشعراني ٢:١٦٠

٢ يعد ابن عجيبة من مشايخ الشاذلية، وأشهر مؤلفاته شرحه لكتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري، وقد سماه "إيقاظ الهمم في شرح الحكم"، وكثير من الصوفية يرون هذا الكتاب من أروع ما كتب في التصوف، ويمتاز ابن عطاء الله السكندري برشاقة العبارة، وغزارة معانيها.

٣ إيقاظ الهمم بشرح حكم ابن عطاء الله السكندري صفحة ٦

والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين".[1]

وابن عجيبة بقوله هذا يلخص مشكلة التصوف ورجاله، فهم لا يكتفون بمصادر الدين الثابتة عند جمهور المسلمين من: كتاب وسنة وإجماع، بل يزيدون عليها بابا يفتح على الصوفية أبواب الشطح والإلهام والخواطر والخيالات والأوهام وأقوال المجاذيب وأحوال الدراويش، ومن وصل إلى مقامات السكر والفناء، ولابد لكل هؤلاء من إسهامات في الدين وأقوال وشطحات تفرق بين المسلمين وتبث الفرقة بينهم فهذا مؤيد لهؤلاء، وهذا متحفظ وهذا منكر، وما جنت الأمة من وراء هذا تقدما في علوم الدين أو الدنيا، وإنما أصبحت الأمة شراذم متفرقة، وحلقات متنافرة، وتراهم يجتمعون في مسجد واحد وتقام حضرتين أو ثلاث، ولا يقدرون حتى على الجلوس سويا لذكر إله واحد.

---

١ إيقاظ الهمم بشرح الحكم ٨

خامسا: الصوفية والحسن البصري

يتبوأ الحسن البصري مكانة كبرى عند الصوفية، وهو من كبار أعلام التابعين، الذين لهم دور بارز في علوم الدين، ولا خلاف بين جميع طوائف الأمة على جلالته وعلو شأنه، إلا فإن الصوفية يحتكرون الحسن البصري لأنفسهم، ويجعلوه شيخا لطرقهم، وإذا كانت الشيعة تحصر الأئمة في ذرية علي وهم: الحسن والحسين ثم نسل الحسين رضوان الله عليهم أجمعين، وفي نفس الوقت ينسب الصوفية إلى الحسن البصري، أنه تلقى أسرار الطريق الصوفي عن علي بن أبي طالب، ومن بعده مشايخ الطرق، وبذلك زعم الصوفية أن الحسن البصري كان أحق بهذه الأسرار من أصحاب النبي ﷺ؟ ولم الإصرار على انتقال هذه الأسرار إلى الصوفية فقط ووصولها إلى الآف الطرق الصوفية ومشايخها وأقطابها، ولا يعرفها العشرة المبشرون بالجنة، ولا أهل بدر وأصحاب الغزوات من أصحاب النبي ﷺ أليس المهاجرون والأنصار أولى بهذه الأسرار من مشايخ الطرق والأقطاب والأوتاد والمجاذيب وغيرهم. ثم كيف جاز أصلا لعلي بن أبي طالب أن يتكلم فيما كتمه الرسول ﷺ أيعقل أن يُسِر له النبي ﷺ شيئا فيتكلم عنه ويظهره وينقله إلى الحسن البصري ثم ينشره الحسن بدوره إلى الطرق الصوفية.

ومن أمثلة ما ترويه الصوفية عن الحسن البصري قولهم أنه سُئل عن العلم الباطن ما هو؟ فأجاب الحسن قائلا: سألت حذيفة[1] عن علم الباطن، فقال: سألت ميكائيل عن علم الباطن فقال: سألت القلم عن علم الباطن فقال: سألت الرب جل ثناؤه عن علم الباطن فقال: علم الباطن سر من سري أخفيته عن خلقي، وأودعته عند خاصة عبادي، وهو نتاج معرفتي

---

١ حذيفة بن اليمان استعمله عمر بن الخطاب على المدائن، ثم سكن الكوفة، ومات بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما بأربعين يوما. بينما ولد الحسن البصري لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ونشأ في وادي القرى، ودخل المدينة وهو غلام ومات سنة ١١٠ هجرية عن عمر يناهز ثمانية وثمانين سنة، ولا يعرف له سماع من كثير من الصحابة حتى اشتهر عنه أنه لم يروي عن أحد من أهل بدر، كما لم يروي عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة. ولا يوجد ما يثبت سماعه من حذيفة بن اليمان.

وموارثة خدمتي".[1]

سادسا: الصوفية والخرقة

توارث مشايخ الصوفية أسلوبا معينا في تلقين المريد طريق التصوف وأخذ العهد عليه بالإلتزام بتعاليم مسلكهم، ومن هذه الأمور أن يُلبس الشيخ مريده خرقة من الصوف، ويظن أولئك أن لبس خرقة من الصوف ضروري لتهذيب نفس المريد، وتعلم التواضع، وهذه الخرقة كما هو واضح من اسمها، وكما يريدون أن يصوروها للمريدين هي أقرب ما يكون إلى جوال من الصوف نسميه في مصر الشوال أو الزكيبة من الصوف، وما زال كثير من المجاذيب يرتدونها إلى اليوم، ويشترط كثير من الصوفية - في القرون السابقة - لبس الخرقة، ويضعون لها شروط معينة، منها أن يكون الشيخ نفسه قد وصل إلى مرتبة يحددها الشعراني بقوله: "وأما لباس الخرقة فشرطه عندي أيضا أن يعطي الله ذلك الشيخ من القوة ما ينزع به عن المريد، حال قوله له اخلع قميصك أو قلنسوتك مثلا جميع الأخلاق المذمومة فيتعطل عن استعمال شيء منها إلى أن يموت ذلك المريد، ثم يخلع على المريد مع إلباسه تلك الخرقة، جميع الأخلاق المحمودة التي هي غاية درجة المريد في علم الله ﷺ فلا يحتاج ذلك المريد بعد إلباس شيخه له الخرقة إلى علاج خُلق من الأخلاق، فمن لم يعطه الله تعالى ذلك (أي من المشايخ) ففعله كالاستهزاء بطريق العارفين".[2]

* علي يُلبِس الحسن الخرقة

لا غرابة أن يجد الباحث خبرا في أحد كتب الصوفية يجعل للخرقة صلة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه أول من سن لبس الخرقة في الإسلام، وحتى لا يكون هذا الفعل من عند علي فقد زعموا أن الذي ألبسها لعلي هو الخضر أو النبي ﷺ.

والذي يعنينا هنا كيف انتقلت هذه الخرافة إلى صوفية اليوم، ولا يستحيي الصوفية أن يزعموا أن عليا رضي الله عنه هو الذي ابتكر هذا الزي العجيب، وأنه ألبسه بنفسه للحسن

---

١ علم القلوب لأبي طالب المكي ٥٢ - ٥٣، ولا شك أن هذا كذب مفترى فما كان لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن يسأل ميكائيل، ثم يسأل ميكائيل القلم، ومثل هذه الإفتراءات واضح عليها أمارات الوضع، ولا يقبل مثل هذا الكلام إلا من ختم الله على قلبه وسمعه حتى آمن بالعلم الباطن وأنه إلقاء في قلب العبد، ولو أنصف لأدرك أنه إلقاء الجن والشياطين في ظن العبد.

٢ الطبقات الكبرى لعبدالوهاب الشعراني ٢:١٦٠

البصري، الذي يُعَدُّ المريد الصوفي الأول، الذي تلقت عنه أغلب الأقطاب والمشايخ الأسرار الباطنة والفتوحات العالية التى لا ينالها إلا من ارتدى الخرقة، هذا زعم ينكره علماء الحديث والرجال والتاريخ، فلم يثبت للحسن سماعا من علي رضي الله عنه ناهيك عن زعمهم أنه ألبسه خرقة الصوفية،[1] يقول الملا علي القاري: "ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن سماعا من علي فضلا عن أن يلبسه الخرقة، وهو قول ابن حجر والسخاوي والذهبي وابن حبان والعلائي والعراقي وابن الملقن، ومن الصوفية كالدمياطي وغيره".

ونفى اللقاء بينهما ولبس الخرقة أيضا الإمام الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة،[2] وحتى الشيعة ينكرون سماع الحسن من علي فقد تتبع هاشم معروف الحسيني - في كتابه بين التصوف والتشيع - حياة الحسن وتنقلاته ونفى لقاءه عليا رضي الله عنهما،[3] وفي سير أعلام النبلاء يقول الذهبي: وروى الحسن بالإرسال عن طائفة كعلي وأم سلمة ولم يسمع منهما،[4] ويقول قتادة: ما شافه الحسن (أي لم يلق أو يسمع من) بدريا بحديث.[5]

١راجع إن شئت: تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث للشيباني حديث ١٠٦١ صفحة ١٤٥ ، وفي الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري صفحة ١١٨

٢الإمام الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة حديث ١٠٦ صفحة ٢٥٢

٣التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسيني صفحة ٤٨٦

٤ سير أعلام النبلاء للذهبي ٤:٥٦٦

٥٥ سير أعلام النبلاء للذهبي ٤:٥٦٧

* الخضر يُلبس ابن عربي الخرقة

وكثيرا ما يلجأ الصوفية إلى الخضر عليه السلام لوضع تشريع جديد، أو لإدخال صفة الأسرار لأي بدعة يروجون لها، لذا يستكمل الشعراني حديثه فيقول:

وَلَبِسَ (الخرقة) على هذا الشرط سيدي الشيخ محيي الدين بن عربي من الخضر عليه السلام عند الحجر الأسود، وأخذ عليه العهد بالتسليم لمقامات المشايخ".[1]

ويهدف الشعراني بهذه الحكاية إلى إثبات أمور عديدة منها:

* شرعية لبس الخرقة
* حياة الخضر إلى زمان ابن عربي
* علو مقام ابن عربي

والأهم من هذا في تصورنا هو تحذير العامة من الاعتراض على المشايخ، لأنهم عازمون بطبيعة الحال على مخالفة الشرع في أغلب أمورهم، وينبغي إرهاب الناس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأسلوب ما زال هو الأسلوب المحبب عند المشايخ، فإذا خالفت بدعهم، وسقت لهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنهم يحذرون أتباعهم منك ويتهمونك بالقراءة بدون إذن المشايخ وبالتالى وقعت في الفتنة!

* الخرقة والزي الخاص للصوفية

يشرح الشيخ زكريا الأنصاري في كتابه الفتوحات الإلهية كيف يلقن الشيخ المريد فيقول:

إذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد فليتطهر، ويأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليصلح لقبول ما يلقيه عليه من الشروط في الطريق، ثم يستطرد الشيخ قائلا: ثم يضع الخرقة للمريد بيده، ويقرأ الفاتحة عليها ويدعو الله تعالى، ويُلبسها الشيخ بيده للمريد قاصدا بذلك النيابة عن الله ورسوله، ثم يذكر له سبب لبسها، بخلاف التوبة والتلقين، فإن سببها يذكر قبلها".[2] ومن المعلوم أن ارتباط الصوفية بالخرقة راجع إلى ما سبق أن أشرنا إليه من فعل علي بن أبي طالب مع الحسن البصري - بزعمهم - وبرغم أن مسألة الخرقة قد اختفت الآن من الطرق الصوفية إلا أن مكانتها كبيرة عندهم، لذا يقول السيد/ محمد توفيق البكري تحت عنوان فضيلة الخرقة السمراء: "مما يدل على فضل الخرقة السمراء والعَلَم الأسمر أنها

---

١ الطبقات الكبرى لعبدالوهاب الشعراني ٢:١٦٠

٢ الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية لزكريا الأنصاري ٢٥

شعار النبي ﷺ وصحابته ... حدث جابر رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء". ثم يذكر الشيخ عددا من الأحاديث عن لون عمامة النبي ﷺ ورايته. ثم يذكر فضيلة الزي الأخضر ويقول: ومما يدل على فضيلة هذا الزي ما رواه الحافظ الترمذي عن أبي رمثة قال: " رأيت النبي ﷺ وعليه بردان أخضران"، ولا ينسى الشيخ أن يذكر فضيلة الزي الأحمر فيقول: "ومما يدل على فضل الزي الأحمر والخرقة الحمراء ما روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان له حمراء (أي حلة) يلبسها في الأعياد والجمع. وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ".. ذا لمة سوداء في حلة حمراء، لا أجمل من رسول الله ﷺ.[1]

---

١ رسالة في الكلام على نشأة التصوف والصوفية وأعمالهم لمحمد توفيق البكري ٣٩

سابعا: بين التصوف والتشيع

كثير من العلماء والباحثين يثبتون تأثر الصوفية بالشيعة، بل ومنهم من يؤكد أُبوة الشيعة للصوفية، وأن الصوفية تمثل الطابور الخامس للفكر الشيعي بين أهل السنة، ونعرض هنا مقارنة سريعة يعقدها ابن خلدون في مقدمة التاريخ المعروف بتاريخ ابن خلدون، في فصل في علم التصوف حيث يقول: (إن الصوفية) ".. ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء، حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم ونحلتهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه، وهو من هذا المعنى أيضا، وإلا فعلي رضي الله عنه لم يُختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال. بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة، ولم يُخْتَصَّ أحد منهم في الدين بشيء يُؤْثَرُ عنه في الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، تشهد بذلك سيرهم وأخبارهم، نعم إن الشيعة يُخَيِّلُونَ بما يَنْعُلُونَ[1] من ذلك اختصاص علي رضي الله عنه بالفضائل دون سواه من الصحابة ذهابا مع عقائد التشيع المعروفة لهم، والذي يظهر أن المتصوفة بالعراق، لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة، وظهر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها ما هو معروف، فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن، وجعلوا الإمامة لسياسة الخلق في الإنقياد إلى الشرع، وأفردوه بذلك أن لا يقع اختلاف كما تقرر في الشرع، ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين. وأفردوه بذلك تشبيها بالإمام في الظاهر، وأن يكون على وَزَانِهِ[2] في الباطن، وسموه قطبا، لمدار المعرفة عليه، وجعلو الأبدال كالنقباء مبالغة في التشبيه فتأمل ذلك".[3]

وكثير من العلماء وصل إلى هذه النتيجة، ولكننا نطالب القارئ الكريم أن يصل بنفسه إلى النتيجة بعد مطالعة كتابنا الثالث، ثم الرابع من هذه السلسلة، والله وحده الموفق.

---

١ ينعلون أي يحتذون والمراد يقتدون

٢ وزانه من الموازنة بين الشيئين، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محازيه

٣ مقدمة ابن خلدون ١:٦٢٠ - ٦٢١

ملخص الباب الأول

١- غلو الشيعة في أئمتهم، وزعمهم أنهم أصل العلم الباطن، وأن علمهم مطابق لعلم الله تعالى، وأن علمهم يحتوي على علوم كل من سبقهم من الأنبياء وغير الأنبياء.

٢- أن علم الباطن عند الفرق الباطنية والصوفية يخالف العلم الظاهر، وأن البوح بمكنون العلم الباطن أمر خطير قد يعرض قائله للقتل، حتى لا يظنه الناس كافرا فيستحلون دمه.

٣- أن أفكار الباطنية لم تُقبر بَعد، بل هي ما تزال تحيا بيننا، ودعاتها يتلونون حسب الظروف المحيطة بهم، وأنهم قد بدأوا في التحرك، لنشر أفكارهم بشكل علني، تحت مسميات جديدة مثل جماعة الوارثين، ولا أحد يعرف من أين جاءوا بميراثهم هذا، وأن أسلوبهم يبدأ بإقناع الناس بأهمية التأويل، ثم إنكار كتب التفسير، وأنها مليئة بالإسرائيليات حتى ينفروا العامة من قراءتها، ثم يهاجمون السنة بطريقة غير مباشرة حتى لا يثيروا الأزهر وعموم المسلمين ضدهم، وبدلا من إنكار الحديث تراهم يهاجمون ابن كثير في تفسيره لأنه روى حديثا في صحيح البخاري، وأن أفكارهم الحقيقية ما زالوا يتناولونها فيما بينهم من خلال مجموعة محاضرات يكتبها رؤساء الدعوة وزعماؤها، وبالتالى لا يشعر بهم كثير من الناس.

٤- أن الصوفية يقسمون العلم إلى ظاهر وباطن بنفس منطق الفرق الباطنية، وأن من الصوفية من يرى أن علم الباطن قد نزل به جبريل عليه السلام، بعد أن نزل بالشريعة، وهم بذلك يوافقون الباطنية في مصدر العلم الباطن، والاختلاف هنا أن الباطنية يرون علم الباطن قد نزل على علي بن أبي طالب، الذي يسميه الشيعة الأمام، ويسمية الباطنية الناطق.

في الوقت الذي يوافق فيه الصوفية على الغلو في علي بن أبي طالب هم يقولون أن العلم الباطن نزل على سيدنا محمد الذي اختص به علي من بين أصحابه.

٥- أن للصوفية أسرارا لا يجوز الخوض فيها، فرب متحدث في سر الربوبية يبطل النبوة، ومن أفشى سر النبوة فقد أبطل العلم، ومن أظهر سر العلماء فقد يبطل الأحكام وتتوقف التكليفات الشرعية.

٦- أن عليا اختص الحسن البصري بالعلم الباطني وألبسه الخرقة وأصبح البصري قطب معظم الطرق الصوفية، بينما لا يرى العلماء للحسن سماعا من علي رضي الله عنهما.

٧- أن هناك علاقة لا تخفى بين التصوف والتشيع، وتوارث في الأفكار بينهما.



الباب الثاني

بعض
علوم الباطنية

١- علم الجفر
٢- الأسماء السريانية
٣- السريانية فتوحات أم إلحاد؟



الفصل الأول

علم الجفر

١- علم الجفر عند اليهود

٢- الشيعة على آثار اليهود

٣- الصوفية على آثار الشيعة



الفصل الأول: علم الجفر

أولا: علم الجفر عند اليهود

إن المرء ليزداد حيرة حين يبحث عن التوافق الغريب بين الشيعة واليهود، فأكثر انحرافهم عن ملة الإسلام تجده إلى ناحية اليهود وبني اسرائيل، فالسريانية يحاكي فيها أحد أئمتهم نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهذا أيضا علم الجفر وقد أصبح الشيعة باتباع قواعده التي وضعها اليهود شر خلف لشر سلف، وهذا ما يؤكده الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله ﷺ وهو يتلو سورة البقرة ﴿ألم ذلك الكتاب﴾. ثم أتى أخوه حُيَي بن أخطب وكعب بن الأشراف فسألوه عن ألم، وقالوا ننشدك الله الذي لا إله إلا هو أحق أنها أتتك من السماء؟ فقال النبي ﷺ: نعم كذلك نزلت، فقال حيي: إن كنت صادقا إني لأعلم أجل هذه الأمة من السنين، ثم قال: كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على أن منتهى أجل أمته إحدى وسبعون سنة، فضحك النبي ﷺ. فقال حيي: فهل غير هذا؟

فقال: نعم، ﴿ألمص﴾. فقال حيي: هذا أكثر من الأول هذا مائة وإحدى وستون سنة، فقال: فهل غير هذا؟

فقال: نعم، ﴿ألر﴾. فقال حيي: هذا أكثر من الأولى والثانية، فنحن نشهد إن كنت صادقا ما ملكت أمتك إلا مائتين وإحدى وثلاثين سنة،

فقال: فهل غير هذا؟

فقال: نعم، ﴿ألمر﴾. فقال حيي: فنحن نشهد أنا من الذين لا يؤمنون، ولا ندري بأي أقوالك نأخذ؟. فقال أبو ياسر: أما أنا فأشهد على أن أنبياءنا قد أخبرونا عن ملك هذه الأمة، ولم يبينوا أنها كم تكون؟، فإن كان محمد صادقا فيما يقول إني لأراه يستجمع له هذا كله، فقام اليهود، وقالوا: اشتبه علينا أمرك كله، فلا ندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير؟.[1]

تثبت لنا هذه الرواية عناية اليهود بهذا العلم وكيف حجزهم عن الدخول في الإسلام، وكيفراحوا يطبقوا قواعد هذا العلم على فواتح السور، ولما رأوا الأمر أعظم مما يظنون تركوا الدين واتبعوا أهوائهم.

---

١ التفسير الكبير للفخر الرازي ٢:٧

ثانيا: الشيعة على آثار اليهود

إن من أشهر علوم الباطنية أيضا علم الجفر، وهو علم يرجع في الأصل إلى سحرة بني إسرائيل وكهنتهم، وقد استخدمه اليهود المعاصرون لظهور الإسلام وذلك ليحسبوا مدة مُلك الإسلام ومتى سيزول، ويقوم هذا العلم على أن لكل حرف عربي يقابله رقما حسابيا، بطريقة أبجد هوز حطي كلمن.. فالألف يعادلها واحد، والباء اثنين، والجيم ثلاثة... وهكذا، وبالتالي يمكن تحديد رقم حسابي لكل كلمة من الكلمات، ويزعم الباطنية أن هذا الرقم له دلالات يعرفها من يستطيع تطبيق قواعد هذا العلم، ويظن الباطنية أن هذا الرقم يرمز إلى تواريخ الأحداث المستقبلية والسنة التي ستقع فيها هذه الغيبيات التي يتحدث عنها النص مثلا أو غير ذلك من الأمور الغيبية.

ويزعم الكليني أن علم الجفر من علوم الأئمة، ويؤكد الصلة والتداخل بين علوم الشيعة وعلوم بني إسرائيل، فيروى عن أحد الأئمة الإثنى عشر قوله: "وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟، قال: قلت وما الجفر؟، قال: من آدم فيه علوم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل".[١]

ويشرح أحد علماء الشيعة المحدثين، كيف انتقل علم الجفر من آدم إلى الأئمة فيقول ما نوجزه فيما يلي: "أنزل الله على آدم عشر صحائف، وهو أول من تكلم في علم الحروف، وله كتاب "سفر الخفايا"، وهو أول كتاب في علم الحروف، وذكر فيه أسرارا غريبة، وأمورا عجيبة، وله كتاب "الملكوت"، وهو ثاني كتاب كان في الدنيا، وقد أخذ صاحب الهيكل الأحمر عن شيث كتاب "الملكوت"، وكتاب "السفر المستقيم"، وهو ثالث كتاب، ثم ورث هذه الكتب أنوش، ثم ابنه قينا، ثم ابنه مهائيل، ثم ابنه يارد، ثم ابنه هرمس وهو نبي الله إدريس، وإليه انتهت الرئاسة في العلوم الحرفية، والأسرار الحكمية، واللطائف العددية، والإشارات الفلكية، فوضع كنز الأسرار، وذخائر الأبرار، كما علمه جبريل علم

---

١ الأصول من الكافي للكليني ١:٢٢٨

وعلم الجفر من العلوم التي يتلقاها مشايخ الطرق ويبرعون فيها ويستعملونها ويفكون بها الأسحار ويطردون بها الجن، ومرجعهم في ذلك كتب وضعها البوني مثل شمس المعارف الكبرى، ومنبع أصول الحكمة، وكتاب الرحمة في الطب والحكمة المنسوب للسيوطي، فترى في هذه الكتب أسرار الحروف والأوفاق، ودروب من السحر والتعامل مع الجن،...

الرمل، وبه أظهر الله نبوته، ولما وصل الأمر إلى نوح، وضع سفر جليل القدر في علم الحروف، ويذكر كيف ورثه أبناؤه واحدا تلو الآخر، إلى أن وصل إلى إبراهيم عليه السلام، وهو أول من تكلم في علم الوفق،[1] وقيل أنه وقف القاف في أساس الكعبة المشرفة، ثم كان موسى من بعده أعلم الناس في عصره بأسرار الأوفاق، وبالوفق المسدس استخرج تابوت يوسف من النيل، كما كان عالما بالكيمياء، ثم أخذه عنه وصيه يوشع بن نون، ثم إلياس، ثم أخذه جاماسب الحكيم، وهو أكبر أصحابه، ثم داود وابنه سليمان، ثم آصف بن برخيا، ثم أشعيا، ثم أرميا، ثم عيسى ورث علم الحروف، ثم محمد ﷺ ورث علم الحروف، ثم قال الإمام الحسين بن علي (ع): العلم الذي دعي إليه المصطفى علم الحروف، وعلم الحروف في لام الألف، وعلم لام الألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية، ثم ورث الإمام عليٌّ أسرار الحروف، وهو أول من وضع وفق مائة في مائة في الإسلام (أي ١٠٠ * ١٠٠) ثم الأئمة من بعده حتى جعفر الصادق، وهو الذي حل معاقد رموزه. وفك طلاسم كنوزة، حتى أنه (أي جعفر الصادق) قال: علمنا غابر ومزبور وكتاب مسطور في رق منشور، ونكت في القلوب، ومفاتيح أسرار الغيوب، ونقر في الأسماع، ولا تنفر منه الطباع، وعندنا الجفر الأبيض، والجفر الأحمر، والجفر الأكبر، والجفر الأصغر، والجامعة، والصحيفة".[2]

أرادت الشيعة الغلو في شأن أئمتهم، فأساءوا إلى مقام الأنبياء، وجعلوا من ضرب الرمل نبوة ونسبوها لإدريس عليه السلام، وعمل الأوفاق سنة الأنبياء وأنهم استخدموها كآية من الآيات، وأن إبراهيم الخليل عليه السلام قد بني الكعبة ووضع قواعدها على وفق من الأوفاق!!، وأن محمدا ﷺ ورث علم الحروف من الأنبياء قبله، سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

١ علم الوفق هو أحد العلوم السبعة التي يتفرع عنها علم السيمياء كما عرف قديما، وباقي العلوم هي: الأوفاق، والحروف، والطبائع، والتنجيم، والأبراج والمنازل، والأعداد، والأسماء والرقي

٢ إلزام الناصب لشيخ فقهاء ومحدثي الشيعة علي اليزدي الحائري هلك سنة١٣٣٣، نقلا عن الينابيع ٢٣٤:٢٣٢، نقلناه مختصرا خشية الإطالة

ثالثا: الصوفية على آثار الشيعة

إن أفكار الصوفية الغريبة التي افتروها في دين الله ليست من عند أنفسهم، وإنما هي منتقليد الشيعة، والشيعة على آثار اليهود يقتدون ويتنافسون، والرابطة بين هذه الفرق الثلاث لا يمكن تجاهلها، فالأمر واضح كالشمس في وضح النهار، لا ينكرها إلا من كان فاقدا لنعمة البصر، وإن زعم أن له عينين، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها﴾.[1]

يقسم الحكيم الترمذي علم الباطن فيقول: "علم البدء، وعلم الميثاق وعلم المقادير، وعلم الحروف، فهذه هي أصول الحكمة، وهي الحكمة العليا، وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء ويقبله عنهم من له حظ من الولاية".[2] ويعلق الدكتور بركة بقوله: "والترمذي الحكيم يضع علم الأسماء والحروف على قمة العلوم، مع تمييزه بين علم الأسماء وعلم الحروف، وجعله علم الحروف في منزلة أعلى من علم الأسماء، كما يضع علماء هذا العلم في قمة الخاصة من الأولياء".[3]

واقرأ معي يا أخي الكريم ما يقوله الشيخ عبدالمقصود سالم في كتابه في ملكوت الله مع أسماء الله: قرأت في كتاب الفتوحات المكية (لسيده) محيي الدين بن عربي ما معناه: "من أراد الفتوح وسعادة الدارين، فليستخرج عدد اسمه بالجُمَّل، وليأخذ من أسماء الله تعالى ما يوافق عدده هذا العدد، وليذكرها جميعا بعدد اسمه على حساب طاقته، ففي ذلك الفتوح، وسعادة الدارين، والأعمال بالنيات، رزقنا الله وإياك حسن النية، وسلامة الاعتقاد".

ثم يستطرد الشيخ عبدالمقصود سالم في بيان كيف يطبق الصوفية هذه القواعد العامة التي سنها ابن عربي فيقول: وإني أيسر لك الطريق إلى ذلك، فأقول مستعينا بالله: "أعلم ياسيدي أن لكل اسم من أسماء الله تعالى عددا خاصا به، ولكل عدد مراتب ينبغي ألا يتعدى الذاكر نهايتها، لأن ذكر الأسماء بعددها الواقع عليها، كما قيل: إنه مفتاح باب الوصول، فإن مجاوزته قد تكون خطرا على من لا شيخ له، إذ لابد من مرشد يهديك السبيل، وعارف يعلمك معالم التنزيل، ولكي تعرف عدد الاسم الذي تذكر به يجب أن تعرف أن لكل حرف

---

١ سورة الأعراف آية ١٧٩

٢ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبدالفتاح بركة ٢:٣١٤

٣ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبدالفتاح بركة ٢:٣٢١

من الحروف عددا، وبيانه في الجدول التالي: ثم يعرض الشيخ جدول أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، ويحدد الرقم المقابل لكل حرف: فالألف يقابها (١)، والباء يقابلها (٢)، والجيم يقابلها (٣)، وهكذا حتى الياء التي يقابلها (١٠)، ثم تبدأ الأرقام في الزيادة بمعدل (١٠) مع كل حرف، حتى القاف التي يقابلها (١٠٠)، ثم يرتفع معدل الزيادة ليصبح (١٠٠) لكل حرف بدلا من (١٠)، وهكذا حتى آخر الحروف وهو الغين التي يقابلها ألف.

كما يذكر الشيخ ملحوظة بعد الجدول يقول فيها: ملحوظة: هذه الجداول مبنية على قواعد ثابتة في علم الحرف، مشهورة بين المشتغلين بحساب الأوفاق، أخذ بها العلماء في بحوثهم، والشعراء في تأريخهم.

ثم يحسب الشيخ جُمَّل كل اسم من أسماء الله تعالى في جدول: الله يقابله (٦٦)، الرحمن يقابله (٢٩٨)، والرحيم يقابله (٢٥٨) وهكذا، ثم يقول الشيخ والآن قد عرفت عدد كل اسم من أسماء الله الحسنى المباركة، فإذا أردت أن تعرف عدد اسمك، فخذ من الجدول الأبجدي عدد كل حرف من اسمك، ومجموع أعداد هذه الحروف هو عدد اسمك، فإذا كان عدد اسمك يقل عن عدد أقل عدد من الأسماء فأضف إلى اسمك اسم الأم، ويضرب الشيخ مثالا عمليا فيقول لو أن اسمك محمد، فجمله (٩٢)، يوافق هذا العدد من أسماء الله تعالى: باسط وعدده (٧٢)، واسمه تعالى: ودود وعدده (٢٠) فتكون الجملة (٩٢) وهو عدد اسم محمد وهكذا، ويكون عدد تلاوتك الأسماء مجتمعة مطابقا لعدد جُمَّل اسمك، ثم يفشي الشيخ سر الصوفية في عدد مرات ذكر أسماء الله فيقول: وأهل الذكر حسب ما جاء في أورادهم وأحزابهم وأدعيتهم يذكرون الله (٦٦) مرة، واسمه تعالى اللطيف (١٢٩) مرة. ثم يضرب مثالا آخر على اسمه تعالى: اللطيف يشرح به مراتب الذكر الثلاث فيقول:

المرتبة الأولى: عدد مرات الذكر (١٢٩)

المرتبة الثانية: تضرب جُمَّل الاسم * عدد حروف الاسم أي ١٢٩ * ٤ = ٥١٦

المرتبة الثالثة: تضرب الجُمَّل في نفسه أي ١٢٩ * ١٢٩ = ١٦٦٤١

وتعد المرتبة الثالثة نهاية هذا الاسم يجب ألا يتعداها الذاكر".[١]

وهكذا وصل ذكر الله إلى عملية حسابية وضع أساسها اليهود، واتبعتها الشيعة، وروج لها مشايخ الصوفية، ولذلك ترى كثيرا من المؤلفات الصوفية تتناول الحروف وأسرارها، وربط هذه الحروف بمنازل القمر وأحكام البروج، ثم خاضوا في أسرار فواتح السور وخواص

---

١ في ملكوت الله مع أسماء الله لعبدالمقصود سالم صفحات ٢٢ - ٢٨

أوائل القرآن مثل ﴿ألر﴾ ﴿ألمر﴾ .. ثم انشغلوا بالاسم الأعظم، والحروف التي استخدمها آصف بن برخيا في نقل عرش بلقيس، والأسماء التي كان عيسى عليه ا سلام يحيي بها الموتى، ثم في حروف سواقط الفاتحة وأسرارها، وتأثيرها على العالم العلوي والسفلي، وما لها من الأوفاق والطلاسم، وما تحدثه على عناصر الماء والهواء والتراب والنار، كل هذا بحثا عن قدرات التصريف في الكون، ولهذا يقول البوني في كتابه منبع أصول الحكمة: "لابد لطالب هذا العلم الجليل: وهو العلم بالاسم الأعظم الجامع لما في الموجودات، وأسباب الكائنات، فقد اتفق العلماء على أن الأسرار الرفيعة المكنونة لا سبيل لنيلها إلا به، وأنه الأصل في إدراك الفتوحات الإلهية والعلوم اللدنية، واجتمعت آراء أكثر الحكماء على أنه خفي في الأسماء الحسنى التي أمر الله عباده بها، بل قال كثير منهم: كل اسم منها اسم عظيم في حق من وافقه وتقرب أو دعا به، وجعلوا لذلك سبعة وسائل: هي علم الأعداد، وعلم الأوفاق، وعلم الحروف، وعلم الطبائع الأربع، وعلم الكواكب والأفلاك والبروج والمنازل، علم الاختيارات النجومية وسعدها ونحسها وشرفها واتصالها، علم الأسماء والرقي والدعوات، وعلى هذه العلوم مدار التصريف بسر الخالق في المخلوقات، وقد أطلقوا عليها اسم السيميا، وهو لفظ معرب من أصل شيم يه عبراني، معناه اسم الله تعالى".[1]

وكما نسبت الشيعة السريانية لنبي الله إلياس، فإن الصوفية لا يستحيون من نسبة علم الأوفاق إلى أفلاطون الذي نقله عن هرمس الذي يعتقدون نبوته فيقول البوني: "واعلم أن أول وضع وُضِع في المربعات هو ما نقله أفلاطون عن هرمس عليه السلام».. واعلم أن هذا المربع الثاني الذي تكلم عنه أفلاطون».. وأعلم أن هذا المربع اكتفت به الحكماء الأقدمون في أفعال الخير والشر".[2] ثم يبدأ البوني في تلقين المريدين طرق السحر على أنها فتوحات وأسرار لدنية فتراه يعلمهم كيف يستنزلون السيد/ رقيائيل، والسيد/ ميكيائيل، بل يعرض البوني كيف يُستنزل السيد/ جبريل عليه السلام حيث يقول: "وأما السيد جبرائيل فينزل في قبة من نور وعلى رأس القبة لواء أصفر، ولا يخرج من القبة إلا إذا وجه الطالب خطابه إليه وله عشرة أعوان"،[3] ولا شك أن من استطاع أن يستدعي جبريل عليه السلام لا يعجز أن يستدعي غيره من الملائكة أو الجن والأرواح العلوية والسفلية، وإذا أراد أن يدلهم

---

١ تعريف بكتاب منبع أصول الحكمة لأحمد بن علي البوني صاحب كتاب شمس المعارف الكبرى ٣

٢ منبع أصول الحكمة لأحمد بن علي البوني صاحب كتاب شمس المعارف الكبرى صفحة ٣٣

٣ منبع أصول الحكمة لأحمد بن علي البوني صاحب كتاب شمس المعارف الكبرى ٩٣

على اسم من الأسماء السريانية يقول لهم على سبيل المثال: "برهيولا" هذا تسبيح إبراهيم الخليل، و"كظهير" تسبيح يونس، ومن أسراره أنه من أراد تعذيب الجن فليكثر من ذكره".[1]

كما يسير الشيخ محمد الشافعي الخلوتي على طريق البوني فتراه يعلم أهل طريقته كيف يستخدمون الطلاسم والأوفاق في فعل ما يريدون فتراه يقول: فإذا أردت الوفق بين اثنين مثلا أو فرقة أو غير ذلك فابدأ بعون الله باسم ملك أرضي ثم المطلوب ثم الطالب أحرفا متفرقة،[2] ويستمر الشيخ في شرحه لطرق السحرة وأعوانهم.

ولعل هذا السرد المتتالي يوضح كيف بدأت الصوفية بانحراف بسيط عن الكتاب والسنة، فالذكر في كتاب الله تعالى يراد به القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ ومجالس العلم، بينما خصص الصوفية المراد من الذكر بأنه ذكر الله بالأسم المفرد: كأن يقول: الله الله، أو حي حي وهكذا، فانصرفوا عن كتاب الله وبحثوا في أسرار الحروف، وتركوا مقام العبودية لله وحده، وانصرفوا إلى البحث عن قدرات التصريف في الكون، وفعل ما لم يأذن به الله،

وبذلك تتابع مخالفات الصوفية حتى وصل القوم إلى دروب السحر وأعمال الكهانة ومدارك الشعوذة، وفاتهم أن رسول الله قد حذر أمته من الإنشغال بالنجوم ومعرفة الغيب حيث يقول: ﴿من اقتبس علما من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، ما زاد زاد، وما زاد﴾.[3] وسبحان من يمد الظالمين في جهالتهم يعمهون، وضلالا على ضلالهم، يقول تعالى:﴿ فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾.[4] فما زادتهم الأرواح العلوية والسفلية التي يستغيثون بها إلا بعدا عن ربهم، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾.[5]

---

١ منبع أصول الحكمة لأحمد بن علي البوني صاحب كتاب شمس المعارف الكبرى صفحة ٧١

٢ السر المظروف في علم بسط الحروف للشيخ محمد الشافعي الخلوتي ٣

٣ حديث ابن عباس أخرجه أحمد في مسنده ٢٨٣٦

٤ سورة الأعراف آية ٣٠

٥ سورة الزخرف آية ٣٦ - ٣٧



الفصل الثاني

الأسماء السريانية

١- السريانية ابتكار شيعي

٢- الصوفية المعاصرة والسريانية

* الطريقة الجيلانية
* الطريقة الدسوقية
* الطريقة البرهانية
* الطريقة الشاذلية
* الطريقة الفاسية
* الطريقة النقشبندية
* الطريقة الخلوتية العيونية



الفصل الثاني: الأسماء السريانية

أولا: السريانية ابتكار شيعي

إذا سألت أي صوفي عن الأسماء السريانية المنتشرة في ورده الذي تلقاه عن شيخه، قال لك هي لغة الملائكة، وهو لا يعرف كغيره من الباطنية والصوفية أن اللغة السريانية هي إحدى أهم اللهجات الآرامية التي تعد فرعا من اللغات السامية، وهي لغة الآراميون الذين سموا أنفسهم بالسريان بعد اعتناقهم الدين المسيحي، وتنقسم السريانية تبعا لانقسام الكنيسة المسيحية، إلى سريانية شرقية، وهي سريانية المسيحيين التابعيين لتعاليم "نسطوريس"، ويسمون بالنسطوريين، والفرع الآخر هو الخاص بالسريانية الغربية، وهي سريانية المسيحيين التابعيين لتعاليم "يعقوب البردعي" ويسمون باليعاقبة".[1] وما زالت بعض البقاع في الشام يتحدث أهلها إلى اليوم باللغة السريانية.

واللغة السريانية كانت معروفة في جزيرة العرب في عهد النبوة، بل لقد تلقى رسول الله ﷺ بعض الرسائل باللغة السريانية، حتى أنه حث زيد بن ثابت على تعلمها واتقانها، كما ورد في الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده حيث يقول: قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ : تُحْسِنُ السريانية؟، إنها تأتيني كتب، قال: قلت: لا، قال: فتعلمها. يقول زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يوما.[2]

ولا نعرف كيف اعتقد الباطنيون أن لغة القرآن ليس فيها ما ينشدون من الأسرار حتى يبحثوا عنها في لغة النصارى، ومن ثم أضافوا إليها خصائص باطنية ولم يكتفوا بإدخال المفردات العربية في قوالب لغوية آرامية التركيب في أورادهم مثل: "ناسوت، رحموت، رهبوت، لاهوت، جبروت، روحاني، نفساني، جسماني، شعشعاني، وحدانية، فردانية".[3]

بل جعلوا ذكر الله باللغة السريانية من علوم الباطن، وينسب الشيعة اختصاص أئمتهم بهذه الفتوحات، بينما ينسبها الصوفية إلى المشايخ الكبار والأقطاب الكُمل: والأسماء السريانية في زعمهم أسماء لله ﷻ وتشتمل في اعتقادهم على أسرار عجيبة وخصائص باطنية، وهذه الأسماء لم يُسم الله بها نفسه، ولم يُنزلها في كتابه، ولم يُعْلمنا بها أحد من أنبياء الله ورسله،

---

١. فصول من فقه العربية للدكتور رمضان عبدالتواب ٣٣

٢ حديث زيد بن ثابت أخرجه أحمد في مسنده ٢١٠٧٧

٣. تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتي نهاية القرن الثاني للدكتور عبدالرحمن بدوي ٣٣

وبالتالي لم ينقلها أحد عن الله نقلا صحيحا متواترا، وليس في سنة رسول الله ﷺ أنه ذكر الله بأسماء غير عربية، فمن أين أتوا بها، ومن الذي دلهم عليها، وهذا ما يوضحه أثر يرويه الكليني - ثقة الشيعة الأكبر - عن مفضل بن عمر الذي يقول: "أتيت باب أبي عبدالله (ع) ونحن نريد الإذن عليه، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام، فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك، فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكيت فبكينا لبكائك، فقال: نعم، ذكرت إلياس النبي، وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا قسا ولا جاثليقا (أي كبير القساوسة) أفصح لهجة منه به، ثم فسره لنا بالعربية".[1]

فالذكر بالسريانية ميراث تزعمه الشيعة عن إلياس النبي، وقد تقدم بيان فساد القول بحياة الخضر وإلياس في الكتاب الأول من هذه السلسلة، فكيف تلقت الشيعة هذه الأسماء، أمن كتب بني إسرائيل، أم من مشاهدات واجتماعات روحية بين أئمتهم ونبي الله إلياس؟، ثم كيف قبل الناس أن يعبدوا الله بما لم يثبت عن المبعوث رحمة للعالمين، ثم ما سر تعلق الشيعة بأنبياء بني إسرائيل!

---

١ الأصول من الكافي للكليني ١:٢٢٧

ثانيا: الصوفية المعاصرة والسريانية

يشرح الدباغ كيف ظهرت حضرات الذكر في الإسلام وذلك في كتابه الإبريز الذي يعده المشايخ من كُتب الفتح الأكبر فيقول: "إن الحضرة لم تكن في القرن الأول يعني قرن الصحابة، ولا القرن الثاني يعني قرن التابعين، ولا القرن الثالث يعني قرن تابع التابعين، وهذه القرون الثلاثة هي خير القرون، كما شهد به الحديث الشريف، وإنما ظهرت في القرن الرابع وسبب ظهورها أن أربعة أو خمسة من أولياء الله تعالى ومن المفتوح عليهم، كان لهم أتباع وأصحاب وكانوا رضي الله عنهم في بعض الأحيان ربما شاهدوا عباد الله من الملائكة وغيرهم يذكرون الله تعالى، والملائكة منهم من يذكر الله بلسانه وبذاته كلها، فترى ذاته تتحرك يمينا وشمالا أماما وخلفا، فكان الولي من هؤلاء الخمسة إذا شاهد ملكا على هذه الحالة تُعْجِبه حالته، فتتأثر ذاته بالحالة التي يشاهدها من الملك، ثم تتكيف ذاته بحركة الملك، فتتحرك ذاته كما تتحرك ذات الملك، وتحاكي (أي تقلد) ذاته ذات الملك، وهو لا شعور له بما يصدر منه لغيبته في مشاهدة الحق سبحانه، فإذا رآه أتباعه يتحرك تبعوه، ثم هلك الأشياخ الخمسة أهل الباطن والصدق، فاشتغل أهل الزي الظاهر بالحضرة، وزادوا في حركتها وجعلوا لها آلة (موسيقية)، وتكلفوا لها، وتوارثتها الأجيال جيلا بعد جيل".[١]

ولا تخلو حكاية الشيخ من إقرار الشيخ بحقيقة خلو القرون الثلاثة الأولى من الحضرات، وفي نفس الوقت لا تخلو من سذاجة، فالحضرات منقولة عن ذكر الملائكة، وهذا جهل لا يباريه إلا رواية الشيعة عن جفعر الصادق التي تلقى السريانية عن إلياس نبي بني إسرائيل كي يدعوا بلسانه السرياني، ويترك دعاء النبي الخاتم سيد ولد آدم ﷺ.

ولما كان جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ فمن المرجح أن يرجع ظهور دعوى معرفة السريانية إلى منتصف القرن الثاني الهجري، وقد فتح هذا الزعم على الأمة بابا من الإلحاد في أسماء الله الحسنى لم يغلق حتى اليوم، ليس فقط في أوساط الشيعة ولكن عند الصوفية أيضا. ثم جاءت الصوفية فاختارت كل طريقة من طرقها عددا من الألفاظ لا يعلم أحد من أين أتوا بها، وزعموا أنها أسماء لله تبارك وتعالى، وصدق الله العظيم حيث يقول:﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى

---

١ الإبريز لعبد العزيز الدباغ ٢٦١

الأنفس، وقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾.[1]

ومن أشهر الألفاظ السريانية تداولا بين الصوفية هي:

"طَهُورٌ بَدْعَقٌ مَحْبَبَهٌ صُورَةٌ مَحْبَبَهٌ سَقْفَاطِيسٌ سَقَاطِيمٌ أَحُونٌ أَدُمٌّ حَمٌّ هَاءٌ آمين".[2]

ويزعم المتصوفة أن هذه الألفاظ تلقاها أبو الحسن الشاذلي عن الملائكة مباشرة.

ويشرح الدباغ كيف وصلت هذه الأسماء السريانية إلى أوراد الطريقة الدسوقية فيقول: "قدم علينا بعض أصحابنا من أخيار تلمسان، فأخبرني أنه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول: أنه زار قبر إبراهيم الدسوقي فوقف عليه الشيخ الدسوقي (أي خرج من قبره وكلمه في هيئة روحانية)، وعلمه هذا الدعاء: "باسم الإله الخالق الأكبر، وهو حرز مانع مما أخاف منه وأحذر، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق، يلجمه بلجام قدرته، أحمى حميثا، أطمى طميثا، وكان الله قويا عزيزا..حم عسق حمايتنا، كهيعص كفايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال له الدسوقي: ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شيء، ثم سأل شيخه عن معنى "أحمى حميثا، أطمى طميثا"، فأجابه بكونها سريانيتين، وأن معنى "أحمى: يا مالك"، "وحميثا إشارة إلى مملكته"، أما قوله: أطمى فهو بمنزلة من يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء، والقهر والغلبة والعز والانفراد في ذلك كله، وطميثا إشارة إلى الأشياء التي يتصرف فيها وإلى الممكنات التي يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد، سبحانه لا إله إلا هو، وفي كل من العبارتين سر عجيب لا يطيق القلم تبليغه أبدا".[3]

ألا ترى أيها القارئ الكريم أن تفسير الشيخ لهذه الألفاظ باللغة العربية، لا يضيف جديدا، ولذلك ترى الرجل يحيلك في آخر كلامه إلى الأسرار التي لا تقال فيقول: وتحت هذه العبارتين سر عجيب لا يطيقه القلم. وتركز الطرق الصوفية على هذه الألفاظ بدعوى أنها من فتح الله على شيخ الطريقة، وتعاهدوها فيما بينهم وتوارثوها شيخا عن شيخ على أنها أسماء حسنى لله ﷻ وإذا سألتهم عنها قالوا هذه تلقيناها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم لا يعرفون أن هذه الأسماء من افتراء الشيعة.

ومن المشايخ من يرى هذه الأسماء بشكل آخر فيقول أحمد بن عياد الشاذلي: "واعلم أن

---

١ سورة النجم آية ٢٣

٢ ورد الجلالة لعبد القادر الجيلاني من كتاب الفيوضات الربانية في المآثر القادرية ١٧٣ ، مجموع أوراد البرهانية صفحة ١٨ - ٢١، مجموع الأوراد الكبير ١٦٩، ورد الاسم الثاني من أوراد الخلوتية العونية

٣ الإبريز للدباغ نقلا عن كتاب جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٣٩٨:١

الأسماء التي في (الأوراد) ليست بلسان عوالم الملك والملكوت، ولا بلغة من لغات العالمين، وإنما هي لغة جبروتية يذكر الله بها في روضة من رياض جبروته، وأنه قد جمع فيها علم الأولين والآخرين".[1]

يروي الشعراني في طبقاته حديثا عن الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري له إسناد سرياني ومتنه بالعربي فيقول: "ورأيته بعد موته بسنتين فروى لي (أي مناما) حديثا سنده بالسرياني ومتنه بالعربي أن رسول الله ﷺ قال: من أدمن النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب، وفي رواية: ابتلاه في جنبه بالبعج".[2]

وهكذا أدخلت الشيعة أسماء للجن وزعموا أنها أسماء لله ﷻ ودعت الناس إلى الذكر بهذه الأسماء، وقبلها الناس رغم أنها ألفاظ غير عربية، ولا معنى يرجى فيها، والله تبارك وتعالى لم يخاطبنا إلا بالعربية، وهي التي اختارها لتكون لغة كتابه، ولسان نبيه، ولغة خير أمة أخرجت للناس، وحتى يروجوا لبضاعتهم نسبوا الأمر إلى العلم الباطن، وأنه من أعظم الفتوحات، ومن العجب أن تسربت هذه الحماقات إلى الصوفية من أهل السنة، فلا يكاد يخلوا كتاب أوراد من أوراد الطرق الصوفية في مصر وغيرها من البلاد، إلا وهو مشحون بألفاظ غير مفهومة، مثل: "طهفلوش، برهتية، كرير، فجش، ثظخز...".

وقد ناقش كاتب هذه السطور كبار مشايخ الصوفية عن هذه الألفاظ فقالوا: هي لغة تذكر بها الملائكة يتلقاها العارفون وهي فتح خاص لكل عارف على حدة. فتعالوا بنا نتدارس أوراد أشهر الطرق الصوفية في مصر، ونتتبع الأسماء السريانية المبثوثة في ثناياها.

---

١ المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد بن عياد ٢٢٦

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ٢:١٣٢

* الطريقة الجيلانية

تتبارى معظم الطرق الصوفية في إظهار الفتوحات العالية التي نالها الشيخ من بركة إتباعه للمسلك الصوفي، إلا أن الغريب حقا في الطريقة الجيلانية تلك الأسماء الجديدة التي أطلقوها على إلههم الذي من بعض أسمائه: مهباش، وطهفلوش، وايتنوخ، وملوخ، ومخمت،..

فقد جاء في ورد الجلالة المنسوب زورا وبهتانا للشيخ عبدالقادر الجيلاني ما نصه:-

"وأسألك الوصول بالسر الذي تدهش منه العقول، فهو من قربه ذاهل، ايتنوخ، يا ملوخ، باي، وامن أي وامن، مهباش الذي له ملك السموات والأرض"، ثم يستطرد قائلا: "طهفلوش انقطع الرجاء إلا منك، وسدت الطرق إلا إليك، وخابت الآمال إلا فيك".[1]

ولا أعرف كيف يطمئن المريد إلى قوله: "مهباش الذي له ملك السموات والأرض"، وماذا يفعل المريد إذا عاش حياته يظن أنه يعبد ربه عندما ينادي مهباش، ثم يكتشف عندما يُغلق عليه باب القبر وحيل بينه وبين الدنيا، ثم تبين له أن مهباش هذا ليس إلا اسم من أسماء الشياطين أو مردة الجان، أينفعه شيخه يومئذ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كما يقرأ المريد باقي الأوراد التي تُقْحِم الأسماء السريانية بين آيات القرآن الكريم، وبالتالي يقرأ المريد سورة الواقعة متضمنة هذه الأدعية بين آيات السورة ومنها: يا باسط يا غني بمهبوب ذي لطف خفي بصعصع بسهسهوب ذي العز الشامخ، الذي له العظمة والكبرياء بطهطهوب لهوب ذي القدرة والبرهان والعظمة والسلطان"، ثم يستطرد قائلا: "بحق سورة الواقعة وبحق فقج مخمت مفتاح جبار فرد معطي خير الرازقين".[2]

* الطرق الشاذلية

تعد الطريقة الشاذلية أكثر الطرق انتشارا وتشعبا، وكلما مات شيخ من شيوخ الطريقة كلما انقسم أبناؤه إلى طريقتين أو أكثر، ونادرا ما تستمر طريقة مجتمعة عبر ثلاثة أجيال أو أربعة إلا وتنقسم إلى فروع، وتتشرذم إلى جماعات أكثر، وهذا سر كثرة أسماء الطرق حيث يتعرف المريدون على طريقتهم بمعرفة اسم شيخهم أو خليفته، ونبدأ هنا بتتبع أشهر أفرع الشاذلية وما ورد في أورادها من الأسماء السريانية.

---

١ مجموع الأوراد الكبير ورد الجلالة للجيلاني صفحة ١٠

٢ ذكر ودعاء جمع عبدالله أحمد زينه صفحة ٥٣

* الطريقة الدسوقية

يقول الدسوقي في ورده المسمى الحزب الكبير ما نصه: "اللهم آمني من كل خوف وهم وغم وكرب كدكد كردد كردد كردد كردد كرده كرده ده ده ده الله رب العزة".[1]

* الطريقة البرهانية

وشيخ هذه الطريقة هو محمد عثمان عبده البرهاني صاحب "كتاب تبرئة الذمة في نصح الأمة"، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة عند ظهوره بين أبناء الطريقة في مصر والسودان، لما فيه من غلو وضلال، ونصوص واضحة لا تحتمل التأويل تزعم أن الله هو محمد، وأن محمدا هو الله، وقد اكتفى الأزهر آنذاك ببيان ما في الكتاب من شطط، إلا أن الطريقة ما زالت موجودة إلى عهد قريب، وقد أخذ الأزهر الشريف موقفا موفقا بحظر نشاط هذه الطريقة في مصر، ولله وحده الحمد والمنة.

وما زالت توزع هذه الطريقة أورادها على المريدين في السودان وغيرها ومنها الحزب الصغير وفيه: "أحمى حميثا أطمى طميثا، ﴿وكان الله قويا عزيزا﴾.[2] وفي نفس الحزب يقول المريد: "بها بها بهيا بهيا بهيا بهيات بهيات بهيات القديم الأزلي يخضع لي كل من يراني، لمقفنجل يا أرض خذيهم، ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا﴾.[3] ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾.[4] ﴿كأنهم خشب مسندة﴾.[5] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، طَهُورٌ بَدْعَقٌ مَحْبَبَهٌ صُوَرَهُ مَحْبَبَهٌ سَقْفَاطِيسٌ سَقَاطِيمٌ أَحُونُ أَدُمَّ حَمَّ هَاءُ آمين".[6]

أرأيت يا أخي الكريم كيف يمزج الصوفية مفترياتهم مع آيات الكتاب العزيز، وكيف

---

١ ذكر ودعاء جمع عبدالله أحمد زينه صفحة ١١٧

٢ سورة الأحزاب آية ٢٥

مجموع أوراد الطريقة البرهانية صفحة ٢٣

٣ سورة الإسراء آية ٥٠

٤ سورة الصافات آية ٢٤

٥ سورة المنافقون آية ٤

٦ المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد بن عياد ٢٢٢، ونفس هذه الصيغة وردت في مجموع أوراد البرهانية صفحة ١٨ – ٢١، مجموع الأوراد الكبير ١٦٩، ورد الاسم الثاني من أوراد الخلوتية العونية

يدعون ويستغيثون بأسماء لمجاهيل لا يعرفون كنهها، ويحشرونها وسط الذكر الحكيم. كما أن هذه العبارة الأخيرة يكاد لا يخلوا منها ورد صوفي، ومن حب البرهانية فيها فقد نظموها شعرا في قصيدة توسل البرهانية، وهذه الطريقة البرهانية تعد من أكثر الطرق شططا، وأبعدهم عن اعتقاد أهل السنة والجماعة، فأورادهم تطفح بوحدة الوجود.

* الطريقة الشاذلية

يحدد بعض الشاذلية مكانة الأسماء السريانية بقوله: "أعلم أن هذه الأسماء هي من أسماء الله تعالى ليست بلسان من ألسنة عالم الملك ولا عالم الملكوت، ولا بلغة من لغات العالمين، وإنما هي أسماء جبروتية، فمن ادعى القطبية الفردية فليبين لنا عن هذه اللغة وعن أهلها..".[1]

وقد ورد في كتاب أدل الخيرات من أوراد الشاذلية للشيخ عبدالفتاح القاضي ورد بعد صلوات الشيخ الفاسي نصه ما يلي: "يالله يوه واه هو يا هو يا من هو أنت، أنت هو يوه هو يايوه هو يا جليل يا هو يا من لا هو إلا أنت هو".[2]

كما يعتقد الشاذلية فيما يسمى الدائرة والخاتم والحرز والسيف وكلها أسماء لمسمى واحد، ويعتقدون أن من وضع هذه الدائرة على رأسه لا يموت، ويرون الحكايات عن أقوام لم يموتوا إلا بعد أن خلعوا هذه الدائرة، وتضم هذه الدائرة أشهر الألفاظ السريانية والمتفق عليها بين عدد كبير من الطرق الصوفية، وقد نقل شرح هذه الأسماء أحمد بن عياد في المفاخر العلية في المآثر الشاذلية يرويه عن أبي عبدالله اليافعي، ويشرح مجالات استخدام كل اسم منها فيقول:

طَهُورٌ: الاسم الأول الكامل في ذاته المنور لصفاته: (وتستخدم) للدخول على الملوك، كَبِّر الله سبعا، ثم قل: طاء، ثم اقرأ: ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾.[3] ثم قل حكمت على أنفسهم الطاء، واذكر الاسم سبعا.

بَدْعَقٌ: الاسم الثاني، بمعنى باقي الذي كل شيء به باق، ذات الأقسام (أي القسم)

---

١ المفاخر العلية في مآثر الشاذلية لأحمد بن عياد ٢٢٩

٢ كنوز الأسرار في الصلاة والسلام على النبي المختار صفحة ٧٩

٣ سورة الشعراء آية ٤

للدخول على العلماء والقضاة هلل الله سبعا، ثم قل باء، ثم اقرأ: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾.[1] ثم قل فلقت عقولهم بالقاف، ثم اذكر الاسم سبعا.

مَحْبَبَهُ: الاسم الثالث مبين الحكم وملقن المنن، لاستجلاب الرزق، سبح لله سبعا، ثم اقرأ: ﴿سبح لله ما في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم﴾ إلى قوله ﴿والله بما تعملون بصير﴾.[2] ثم قل حاء، فتحت بها باب الاستمطار من الفتاح العليم، ثم اذكر الاسم سبعا.

صُوَرَةٌ: الاسم الرابع، الذي لهيبته كل جبار خاضع، لدفع المضار، تقول: يا سلام سبعا، ثم تقول: سلبت عن نفسي وعن فلان من كان من عباد الله المؤمنين جميع المضار، ثم اذكر الاسم سبعا. الخامس وهو اسم العزة:

مَحْبَبَهُ: نظير ما تقدم، تقول هنا: الحمد لله سبعا، ثم تقول: عين ملأت قلبي عزة ونورا، ومن شئت من إخوانك المؤمنين، ثم تذكر الاسم سبعا. الاسم السادس وهو المعروف بمفتاح الغيب:

سَقْفَاطِيسُ: للفتح على القلب، تقول: يا سلام سبعا، ثم تقول: سين، أسألك بالسناء الأعظم أن تعطيني مفتاح قلبي، وتذكر الاسم سبعا.

الاسم السابع وهو اسم الجلالة الموصل إلى مفتاح الكنوز ولرتبة الكمال:

سَقَاطِيمُ: وهو أن تقول يا الله بألف الوصل وهاء الرفع والمد سبعا، ثم تقول: ﴿رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾.[3] رب أسألك حولا من حولك، وقوة من قوتك، وتأييدا من تأييدك حتى لا أرى غيرك، ولا أشهد سواك، ثم اذكر الاسم سبعا. ثم قال (اليافعي): أدغمت الكلام في أوله صيانة له من غير أهله.

ويستطرد اليافعي في بيان أسراره فيقول: "أَحُونُ أَدُمَّ حَمَّ هَاءُ آمين".[4] هي الاسم

---

١ سورة يس آية ٥٨

٢ سورة الحديد الآيات من ١ - ٤

٣ سورة المؤمنون آية ٩٧

٤ المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد بن عياد ٢٢٢، ونفس هذه الصيغة وردت في مجموع أوراد البرهانية صفحة ١٨ - ٢١، مجموع الأوراد الكبير ١٦٩، ورد الاسم الثاني من أوراد الخلوتية العونية

الأعظم، بل ويعلم الاتباع من الصوفية كيف يذكرون بها وينسب ذلك إلى شيخه الذي يقول: واتل الاسم الأعظم "أَحُونُ أَدُمَّ حَمَّ هَاءُ آمين" سبعين مرة وسل ما تريد، وصفة السؤال أن تقول عقب تلاوتك في الوقت المخصوص: أسألك اللهم يا من هو: "أَحُونُ أَدُمَّ حَمَّ هَاءُ آمين" افعل لي كذا وكذا.

* الطريقة الفاسية

يمزج الفاسي الآيات القرآنية بعقيدة وحدة الوجود بالألفاظ السريانية فيقول: "اللهم صل على كلمتك العليا من حيث الاختراع والابتداع، وعروتك الوثقى من حيث تتابع الاتباع، وحبلك المعتصم عند الضيق والاتساع وصراطك المستقيم للهداية والاتباع، ألم، حم، أَدُمَّ، حَمَّ، ﴿ق﴾ ﴿طسم﴾ ﴿محمد رسول الله والذين آمنوا﴾ أَحُونُ ودود، ﴿طه﴾ ﴿يس﴾ ﴿ق﴾ ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ اللهم صل على المتخلق بصفاتك، المستغرق في مشاهدة ذاتك، الحق المتخلق بالحق، حقيقة الحق، ﴿أحق هو قل إي وربي إنه لحق﴾".[1]

* الطريقة النقشبندية

ورد في أوراد الطريقة النقشبندية: "وقلدنا بصمصام نصرك".[2]

* الطريقة الخلوتية العيونية

يتلقى المريد في بداية سلوكه عشر آيات قرآنية مع دعاء يسمونه دعاء سر القاف، ومع تدرج المريد في مراتب الطريق السبعة تظهر الألفاظ السريانية تباعا، فإذا وصل المريد إلى الاسم السادس والسابع تلقى جرعة كبيرة من هذه الأسماء، وتبلغ الألفاظ السريانية في ورد الاسم السابع ثمانين اسما، منها ما هو مكتوب نثرا ويسمى البرهتية، ومنها ما نظمه المشايخ في قصيدة الجلجلوتية. والبرهتية يقرأ فيها المريد واحد وأربعين اسما، كل منهم مكتوب مرتين بهذه الصورة: "برهتيه برهتيه، كرير كرير، تتليه تتليه، وهكذا..".[3]

ويشرح البوني في كتابه "منبع أصول الحكمة" أسرار البرهتية بقوله: "فاعلم أن أسماء البرهتية هي القسم المعول عليه من قديم الزمان، وكان القدماء يسمونه بالعهد القديم،

---

١ كنوز الأسرار في الصلاة والسلام على النبي المختار

٢ الإجابة الربانية لورد النقشبندية صفحة ٩

٣ ورد الاسم السابع من أوراد الطريقة الخلوتية العونية العيونية، غير مطبوع وينقله المريد عن شيخه.

والميثاق العظيم، والسر المصون والكنز المخزون، والعهد القديم، والكبريت الأحمر، وقد تكلم به الحكماء الأول، ثم السيد/ سليمان بن داود عليه السلام، ثم آصف بن برخيا، ثم الحكيم قلفطيروس، ثم تتلمذ له إلى يومنا هذا، وهو قسم عظيم لا يتخلف عنه ملك ولا يعصيه جني ولا عفريت، ولا مارد ولا شيطان، وكل طالب لم تكن عنده أو لم يكن له علم بها فعلمه أجذم، وبالجملة فهذه الأسماء قسم جليل عظيم الشأن، كثير البركة والبرهان يغني عن جميع ما عداه من العزائم والأقسام، ويتصرف في جميع الأعمال من استنزال أملاك، واستحضار أعوان، وجلب ودفع، وصرع وقهر وإخفاء وإظهار". ثم يشرح فوائد كل اسم من البرهتية وما تستخدم فيه، فيقول:

كرير: "إن من خواصه أن من واظب على قراءته كل ليلة مائة مرة فإنه يجتمع بالجن عيانا، وربما يصيرون له خداما، ومن واظب على ذكر برهتيه كرير تتليه.. خضعت له الأرواح العلوية والسفلية".[1]

ويشرح البوني مجموعة من الطلاسم والعزائم المبنية على علم الجفر، ثم يذكر الرياضات المناسبة لكل عزيمة، حتى يجعلك تستحضر الجن والملائكة المقربين بزعمه، ثم يشرح لك علامة كل ملك وتميزه عن غيره فيقول: "أما السيد جبرائيل فينزل في قبة من نور، وعلى رأس القبة لواء أصفر، ولا يخرج من القبة إلا إذا وجه الطالب خطابه إليه، وله عشرة أعوان ينزلون معه، ووقته يوم الإثنين، وخادمه الأبيض".[2]

أما الجلجلوتية فيشرحها البوني أيضا في كتابه "شمس المعارف الكبرى"، ولا يخرج الكلام فيها عما سبق بيانه عن البرهتية. وهكذا يتلقى المريد علوم السحر على أنها فتوحات وأسرار وإلهامات ربانية، وبرغم اعتراف البوني أن هذه الأسرار ينسبها تارة إلى علوم الحكماء والفلاسفة وينسبها تارة أخرى إلى علوم سليمان عليه السلام، إلا أن المشايخ والمريدين يرونها أرقى الفتوحات في الإسلام.

---

١ منبع أصول الحكمة للبوني صفحة ٦٧ - ٦٨

٢ منبع أصول الحكمة للبوني صفحة ٩٣



الفصل الثالث

السريانية
فتوحات أم إلحاد؟

١- كلام الأستاذ/ زينة

٢- كلام الشيخ العقاد

٣- مناقشة الأستاذ والشيخ

٤- آراء كبار الصوفية

٥- مناقشات للمؤلف مع المشايخ

٦- حقيقة الأسماء السريانية



الفصل الثالث: السريانية فتوحات أم إلحاد

ذكرنا في الباب الثالث بعض صور علم الباطن التي يروج لها الشيعة، وازدحمت بها أوراد الصوفية، وهي الأسماء السريانية، وقد اتفق الطرفان على أن هذه الأسماء هي أسماء لله تعالى باللغة السريانية، ويعتبر أتباع كل طريقة أن هذه الأسماء هي سر طريقتهم، وبركتهم وخصوصيتهم بين الطرق الأخرى، وربما زعم بعضهم جواز تلقي المشايخ عن الملائكة مثل هذه الأسماء، وهو لا يدري أن غاية ما وصلت إليه الصوفية في هذا الصدد أنها فَصَّلَت ما أجملته الشيعة، ومن خلال المناقشات المتعددة التي دارت بيني وبين مشايخ الطرق المختلفة كانت حجتهم واحدة لا تتغير أن هذه الأسماء السريانية هي أسماء لله تبارك وتعالى بلغات أخرى سواء لغة الملائكة أو أحد الأنبياء السابقين، وأنها تحوي أسرارا وعلوما باطنية ومذاقات سامية لا ينالها إلا المصدقون بأنوارها. ومن هنا اجتمع عندي ما سطره الصوفية في كتبهم، مع ما يعتقده المشايخ المعاصرون الآن.

أولا: كلام الأستاذ/ زينة

يحاول الأستاذ/ عبد الله أحمد زينه في كتابه ذكر ودعاء إضافة الشرعية على الذكر بالسريانية حين يقول: "إن واضعي هذه الأحزاب والأوراد إما أن: يكونوا من مؤسسي الطرق الصوفية الرئيسية، أو من مؤسسي فروع هذه الطرق، ولكل عارف منهم أسلوب خاص به في الصلاة على إمام الهداة عليه أفضل الصلاة والسلام، هي مفتاح أنوار روح ذلك العارف، وسبيل كماله وباب فتوحه الموصل إلى خزائن العلوم الإصطفائية التي لا يطلع عليها سوى صفوة الله تعالى من خلقه.

"ثم يستطرد قائلا: "والأحزاب التي أقرها أساتذة الطرق الصوفية على ثلاثة أنواع:

(١) قسم خاص بما ورد في الحديث الشريف.

(٢) وقسم سجل فيه العارف ما ألهمه الله ﷻ بعبارات واضحة.

(٣) وقسم سجل فيه العارف ما أفيض عليه من الأنوار بعبارات ممتزجة بحروف لا يدري معانيها إلا من كان في مرتبته ومقامه، ومثال ذلك الحروف الواردة في أوراد الجيلاني والشاذلي والدسوقي".[١]

ونتقل عن صوفي آخر تأييده لأفكار الأستاذ زينة، وننقل هذا النص من كتاب في ملكوت

---

١ ذكر ودعاء لعبدالله أحمد زينة ٣٩

الله مع أسماء الله حيث يقول عبدالمقصود سالم: "هناك أناس يذكرون أسماء كثيرة، مرة بالعبرية، وأخرى بالسريانية، وثالثة بالقبطية، وأحيانا بلغات أخرى غير عربية، ويزعمون أن فيها الاسم الأعظم، والذي يطمئن إليه قلبي، ألا نذكر أسماء غير عربية إلا بإذن من المشايخ الموثوق بهم، وهم أندر من الكبريت الأحمر".[1]

ولاشك أن هذا المنطق يُقِرّه الشيعة، فالإمام أولى عندهم بالإلهام وتلقي الفيض من الله عن أقطاب الصوفية، والأستاذ زينة بتقسيمه هذا لأنواع الأوراد لا يضع أي شروط على هذه الحروف، إلا أن يكون واضعها شيخا مؤسسا لطريقة، وبالتالي يخصص مراد رسول الله ﷺ ﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد﴾.[2] بحيث يفهم منه من أحدث في أمرنا هذا وهو غير مؤسس لطريقة فهو رد، أما إذا كان شيخا لجماعة ولديه مريدون فهو فتح من الله وليس رد وعودة إلى الضلاله والجاهلية، وربما لا يعلم الأستاذ زينة أن كل ناعق له أتباع يقود جماعته ويتزعمها إلى النار فيقدم قومه تحت راية زعامته فيوردهم النار بئس الورد المورود.

---

١ في ملكوت الله مع أسماء الله لعبدالمقصود سالم ١٢٢

٢ متفق عليه أخرجه البخاري ٢٤٩٩، ومسلم ٣٢٤٢، ٣٢٤٣، وأبي داود ٣٩٩٠، وأحمد ٧٣:٦، ١٤٦،١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠، وابن ماجة ١٤

ثانيا: كلام الشيخ / العقاد

يحاول أحد مشايخ التصوف هو الشيخ أحمد سعد العقاد أن يتخذ موقفا وسطا فيقول: "ومن العجيب أن الأسماء الحسنى عربية، وكلامنا عربي، والأدعية المروية عن رسول الله ﷺ عربية، فلا يصح العدول عنها إلى الأسماء السريانية أو العبرانية، لأن معانيها غير مفهومة، وربما كانت مطوية على معاني غير شرعية، فيقع العبد في البلية".[1]

وإلى هنا وقول الشيخ صحيح لا نخالفه عليه، ولا تدوم فرحتنا طويلا بكلام الشيخ، فها هو يهدمه في طرفة عين، فتأتي مخالفتنا لرأيه حين يستطرد قائلا: "ولا يجوز الذكر بها إلا بالتلقي من أستاذ عالم تقي واصل، أما من أخذها من الكتب فلا يجوز له لأن أسماء الله فيها كل الحقائق وهي الكنز لكل صادق".

والمرء يصاب بالدهشة من كلام الشيخ العقاد، فبعد أن استنكر الذكر بأسماء أعجمية لكونها غير مفهومة، واعترف أنها ربما كانت مطوية على معان غير شرعية فيقع العبد في البلية عاد الشيخ فأباحها لمن يتلقاها مشافهة من عارف واصل، أما من أخذها من الكتب فقد وقع في البليه. وكأن منطق الشيخ هو رفض الأسماء السريانية شكلا، وقبولها موضوعا، فهي حق في ذاتها، شرعية لمن يتلقاها عن المشايخ، مرفوضة لمن يأخذها من الكتب، فقد يقع في البلية، وكأن الشيخ يقرر أهلية العارفين بالطرق الصوفية على تحليل الحرام!! ولا يخفى تطابق منطق الشيخ العقاد مع الأستاذ زينة.

ودليل القوم على زعمهم هذا: فهم خاطيء لحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: ﴿ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همِّي، إلا أذهب الله عنه همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا قال: فقيل يا رسول الله: ألا نتعلمها؟ قال: بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها﴾.[2]

يفهم الباطنيون هذا الحديث على أن الله تبارك وتعالى يُعَلِّم من يشاء من خلقه أسماءه

---

١ الأنوار القدسية في شرح أسماء الله الحسنى وأسرارها الخفية للعارف الشيخ أحمد سعد العقاد ٤٠

٢ حديث عبدالله بن مسعود رواه أحمد في مسنده ٣٩١:١ (٣٧١٢)، ٤٥٢:١ (٤٣١٨)، وصححه ابن حبان وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات صفحة ٦

التي يذكرونه بها، فما الحرج أن يأتي أحد الأولياء باسم من أسماء الله تعالى بأي لغة طالما أن الله علمه إياها؟، وهذا الاسم لا يخرج عن كونه اسما من الأسماء الحسنى، ولكونه من الأسرار ويحتوي على كنوز وفتوحات فإن الله جعله من علوم الباطن التي لا ينالها إلا أهل العرفان، وهم فقط محل الاختصاص بفيوضات الله ﷻ.

ثالثا: مناقشة الأستاذ والشيخ

إذا أعدنا قراءة هذا الحديث الشريف نجده يقرر في بساطة شديدة هذه الحقائق الهامة:

* أن الله تبارك وتعالى هو الذي يسمي نفسه وليس لأحد أن يسميه بأسماء من عنده.

* أن أسماء الله عز وجل تنقسم من ناحية مصدر التعريف بها إلى:

أسماء وردت في كتاب الله ﷻ. وذلك قوله: "أنزلته في كتابك"،

أسماء عَلَّمَها أحد من الخلق، وذلك قوله: "أو علمته أحدا من خلقك"،

أسماء لايعلمها سواه جل جلاله، وذلك قوله: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك"، وبالتالي فلا سبيل لأحد أن يعلمها فهي مما استأثر الله بعلمها.

بالتالي أطلع الله تبارك وتعالى الناس على نوعين من الأسماء يتلقونها عنه سبحانه هما: أسماء أنزلها في كتابه، وأسماء يُعَلِّمها الله أحدا من الخلق، إذ يستحيل أن يزعم أحد على أسماء استأثر الله بها عنده.

وإذا علمنا أن وسيلة الإبلاغ والإنباء عن الله ﷻ هي الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقط، وأن من يقول أن الله أوحى اليه اسما من أسمائه، ينبغي أن يكون نبيا، أما إدعاء مشايخ الطرق أنهم تلقوا عن الله عز وجل تعريفا مخصوصا بإسم من أسمائه فهذا القول هو دعوى تلقي وحيا عن الله أيا كانت صورته، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: ﴿ومن أظلم ممن إفترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾[1]. ونسي أولئك أن الوحي انقطع بعد وفاة رسول الله ﷺ وتغافل القائلون بالأسماء السريانية أن أعلم الناس برب العالمين هو سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه قد بلغ الرسالة كاملة والدين الخاتم، وقد عَرَّف أمته بأسماء ربه الحسنى إجمالا وتفصيلا، ماورد منها في كتاب الله وما أخبرنا بها بنفسه في سنته ﷺ فقد ورد في البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن لله تسعة وتسعين إسما مائة غير واحد، من حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر﴾[2] وجاء في شرح الحديث لإبن حجر العسقلاني قوله: "وقال جماعة

---

١ سورة الأنعام آية ٩٣

٢ حديث أبو هريرة متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٣١، ٦٨٤٣، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ٤٨٣٥، ٤٨٣٦، والترمذي في سننه ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٣٤٣٠، وابن ماجة ٣٨٥٠، ٣٨٥١، وأحمد في مسنده ٢٥٨:٢، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٢٧، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥١٦

من العلماء: "الحكمة في قوله مائة غير واحد بعد قوله تسعة وتسعون أن يتقرر هذا العدد في نفس السامع جمعا بين جهتي الإجمال والتفصيل".[1]

وقد وردت روايات في كتب السنن تحدد الأسماء الحسنى منها ما جاء في جامع الترمذي والمستدرك وغيرهما، كما تتبع كثير من العلماء الأسماء الحسنى التي وردت في القرآن الكريم، صح عند بعضهم قرابة ثمانين إسما، وقد أثبت ابن حجر: "أن التسعة والتسعين اسما كلها في القرآن الكريم واردة بصيغة الاسم ومواضعها كلها ظاهرة في القرآن

---

١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١١:١٧٨

رابعا: آراء كبار الصوفية

أجمع علماء الأمة أن الأسماء الحسنى توقيفية أي يتوقف معرفتها على تلقيها من الكتاب والسنة ولا اختلاف على ذلك، ولن نذكر آراء السلف لأن هذه القضية لم تكن مطروحة عندهم، وإنما نعرض لآراء كبار رجال التصوف كالقشيري والغزالي والفخر الرازي".[١]

يقول الفخر الرازي: أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب أو السنة أو الإجماع ولا يدخل فيها القياس.

ويقول أبو حامد الغزالي: اتفق على أنه لايجوز لنا أن نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه ولا سمى به نفسه وكذا كل كبير من الخلق فإذا إمتنع ذلك في حق المخلوقين فإمتناعه في حق الله أولى.

ويقول أبو القاسم القشيري: الأسماء تؤخذ توقيفا من الكتاب والسنة والإجماع، فكل إسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه.

ولمزيد من البيان نقول إن أسماء الله تعالى تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أولها: صفات تدل على ذاته، وهي لازمة له سبحانه ولا تنفك عنه وتسمى أسماء كمالية: كالرحمن، والقدوس، والنور، والحي.

ثانيهما: صفات أفعال متعلقة بالمشيئة، وتنقسم إلى أسماء الجلال: كالقهار، والجبار والمنتقم والمذل.

ثالثهما: صفات الجمال: كالرحيم، الحليم، الودود، الغفور، الستار.

فالأسماء الحسنى هي ما سمى الحق تبارك وتعالى بها نفسه، وهي دالة على تغاير الصفات، بينما الموصوف واحد لاشريك له، يقول الفخر الرازي: "الأسماء هي ألفاظ دالة على المعاني، فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها، ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى إلا بذكر صفات الكمال ونعوت الجلال، وهى محصورة في نوعين عدم إفتقاره إلى غيره، وثبوت إفتقار غيره إليه".[٢]

وسلف الأمة رضوان الله عليهم يؤمنون بأن القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين ﷺ فيهما تعريف تام غير ناقص عن الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته ولاشك أن من يعتقد أن هناك

---

١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٨٢:١١

٢ التفسير الكبير للفخرالرازي ٧٠:١٥

صفات دالة على الذات أو قائمة بها، أو صفات أفعال لم ترد في الكتاب والسنة ويجب البحث عنها وطلبها سواء من الملائكة أو الأنبياء السابقين باللغة السريانية أو العبرانية، لاشك أن من يقول بهذا يكون قد افترى ظلما وإثما مبينا. ففي هذه الدعوة أمران كل منهما أخطر من الآخر:

أولهما: أن الله ارتضى لنا دينا ناقصا والقرآن الكريم يرد بجلاء هذه الفرية.

ثانيهما: أننا مأمورون بطلب وتعلم العلم الديني الذي هو فرض عين على كل مسلم، فاذا كان الدين يطالبنا بتصحيح عبادتنا، فتصبح العقيدة التي من أصولها معرفة أسماء الله تعالى أجل وأخطر وفي هذا طعن في الصحابة والتابعين إذا اكتفوا بأسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة وبالتالي معرفتهم ناقصة.

فالداعي بالأسماء السريانية أو من يتلقاها بالقبول هو في حقيقة الأمر يرى في دينه نقصا خطيرا موضوعه أسماء الله تعالى، وأن الإسلام لا يكفي لمعرفة أسماء الله لذا فهو يطلب سد هذا الخلل الذي هو مفتقر إليه. إن المريد الذي يتلقى عن المشايخ العارفين من أهل التصوف هذه الأسماء السريانية يجد نفسه في النهاية يقرأ كلاما غير مفهوم، فكيف يزيده فهما أو علما بربه، إذ اللفظ السرياني لا يقابله معنى يقع في قلب العبد أو عقله، فكيف يقربه إلى ربه ما ليس له دلالة في اللغة العربية، كمن يقول: "طهفلوش ومهباش وبرهتيه وكرير" وما إلى ذلك. والمريد يصدق أشياخه حين يقولون له: هذه الأسماء تلقاها شيخنا الأكبر عن الملائكة - وقد أوضحنا كيف وصلت هذه الأسماء إليهم - والمريد في حقيقة الأمر لا يكتفي بما ورد عن سيدنا محمد ﷺ عن ربه ﷻ.

ويحسم القرآن الكريم هذه القضية بآيات محكمات لا لبس فيها ولا غموض:

* يقول سبحانه ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ [1] وهذه الآية تقرر إجمالا أن لله عز وجل الأسماء الحسنى.

وفي سورة الحشر ورد بيان عدد من أسماء الله الحسنى ختمت بقوله: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى﴾. [2]

* وفي سورة الإسراء يقول تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله

---

١ سورة طه آية ٨

٢ سورة الحشر آية ٢٤

الأسماء الحسنى ﴾ .[1]

وفي هذه الآية أمر بالدعاء لله أو للرحمن أو بأي اسم من الأسماء الحسنى، فالموصوف واحد لا شريك له، وفي الآية تشريع إلهي بالدعاء بالأسماء الحسنى.

* ثم في سورة الأعراف قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ .[2]

وتقرر هذه الآية حصر الدعاء بالأسماء الحسنى فقط، كما أن فيها نهي عن الدعاء بغيرها، وبهذا اكتملت جوانب التكليف، وتم حصره في الدعاء بالأسماء الحسنى فقط دون غيرها، وجاء الأمر بترك الذين يُلحدون في أسمائه، ثم جاء الوعيد بالعقوبة والجزاء على فعلهم يوم القيامة، ولعل سائلا يقول: ما معنى الإلحاد في أسماء الله؟

نقول وبالله تعالى التوفيق: إن معنى الإلحاد في اللغة هو: الميل عن القصد والإنحراف عن الطريق الموصل، يقول ابن السكيت: الملحد هو العادل (أي المنحرف) عن الحق، المدخل فيه ما ليس منه، أي العدول عن الإستقامة والإنحراف عنها.

أما المعنى المقصود من الآية فقد ورد في أمهات كتب التفسير - ما يلي:

يقول الفخر الرازي: "الإلحاد في أسماء الله يقع على ثلاثة أوجه:

الأول: إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله مثل: تسمية الكفار لإصنامهم بأسماء مشتقة من أسماء الحق تبارك وتعالى، كقولهم اللات اشتقاقا من الإله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وكان مسيلمة الكذاب يلقب نفسه بالرحمن.

الثاني: أن يطلقوا على الله تعالى أسماء لاتنبغي له مثل أبا المسيح، وأبا العزير.

الثالث: أن يذكر العبد ربه بلفظ لايعرف معناه، ولا يتصور مسماه، فإنه ربما كان مسماه أمرا غير لائق بجلال الله".[3]

ويقول أبو حيان الأندلسي: "وكون الاسم الذي أمر تعالى أن يدعى به حسنا هو ماقرره الشرع ... قال الفقهاء والجمهور لايجوز الدعاء بالاسم الذي يقتضي مدحا خالصا لله تبارك وتعالى ولا تتعلق به شبهة ولا اشتراك، واختلف هل ندعوا الله بالأفعال التي في القرآن الكريم كقوله الله مستهزئ بالكافرين، وماكر بالذين يمكرون، وهل يطلق عليه منه تعالى اسم

---

١١ سورة الإسراء آية ١١٠

٢ سورة الأعراف آية ١٨٠

٣ التفسير الكبير للفخر الرازي ٧١:١٥

فاعل مقيد بمتعلقه ك (يا بنّاء السماء، ويا ماهد الأرض، ويا داحي الأرض)، والصواب على منعه، وأما إطلاق اسم الفاعل بغير قيده أن تقول: (يا بنّاء، يا ماهد، يا وافي، يا سخي) فإجماع العلماء على منعه".[١]

ويقول ابن السكيت: "معنى يُلحدون في أسمائه، أي يقولوا بجهلهم يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا سخي، وغير ذلك، من الأسماء التي لم يثبت في الشرع إطلاقها على الله تعالى".[٢]

وتدلنا هذه الأقوال على أن علماء الأمة يوجبون أخذ الأسماء الحسنى من القرآن والسنة كما هي فما جاء منها صريحا دعونا الله به، أما الألحاد في نظرهم فهو إطلاق ما لم يرد من الأسماء على الله حتى ولو كانت تقتضي مدحا خالصا لا شبهة فيه ولا إشتراك حتى وإن كانت مأخوذة من أسماء أفعال من القرآن الكريم كالبَنّاء وغيره، لأن العبد الصادق مع الله تعالى يأخذ عن مولاه، أما الزائغ عن الهدى والأدب فهو من يترك سنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، ولا يكتفي بها، ويلتمس الأنوار في هذيان المجاهيل، وقد يعتقد أنها تحتوي صفات كمال وهي في حقيقتها تنعت الله تبارك وتعالى بما لايليق بذاته العليه، فالذي يذكر مثلا بقوله: يا سخي هو يظن أن اسم يعبر عن مزيد كرم الله ﷻ وبالتالي يجوز إطلاقه على الله: نقول له: لقد أسأت مرتين:

أولا: بأن جعلت نفسك مصدرا لتسمية ربك ومولاك.

وأسأت ثانيا: حين ظننت أنك أحسنت، فقولك: يا سخي تصف الله بأنه يعطي فوق الحاجة ينافي حكمة الله في العطاء، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾.[٣]

فإذا كان إطلاق أسماء مثل البَنّاء، والوفي، والسخي، عند سلف الأمة إلحاد في أسماء الله ﷻ وينذرهم القرآن الكريم بالوعيد الشديد، فما قولك فيمن يقول: "طهفلوش ومهباش"؟، أليس ذلك أسوأ صور الإلحاد والعدول عن الإستقامة والميل عن الحق؟! وإذا كانت الأسماء السريانية ليست سوى الإلحاد في أسماء الله تعالى، فما هو الإلحاد عندكم بالله عليكم؟

---

١ البحر المحيط لإبي حيان الأندلسي ٤:٤٢٩

٢ النهر الماد من البحر لأبي حيان الأندلسي ٤:٤٢٨

٣ سورة القمر آية ٤٩

خامسا: مناقشات المؤلف مع المشايخ

بعد أن تعرضنا لقضية الأسماء السريانية من الكتب، أود أن أعرض إجمالا للمناقشات التي جرت بيني وبين عدد من مشايخ الطريقة الخلوتية العونية العيونية حول موضوع الأسماء السريانية. وبعد أن استدل الشيخ بحديث النبي ﷺ الذي يسأل الله فيه بأسمائه الحسنى، ويقرر فيه أنواع الأسماء الثلاثة، فقد قال لي أحد المشايخ: إن قولك إن مصدر تعليم الأسماء الحسنى هم الأنبياء فقط هو حجر على واسع، فلماذا حددت المقصود من قول النبي ﷺ في حديث الدعاء بأسماء الله "أو علمته أحدا من خلقك" أنهم الأنبياء؟ ولم لا يكون معهم الأولياء؟

قلت للشيخ: إذا افترضنا صحة قولكم هذا فلنا سؤال: هل الاسم الذي يأتي به الولي ويكتبه لمريديه في أوراده يعلمه النبي ﷺ أم لا يعلمه؟

لاشك أنك ستقول يعلمه، لأن قولك أن النبي ﷺ لا يعلمه جرم فظيع في حقه ﷺ. ودعوى خطيرة أن يزعم المشايخ أن علمهم يزيد على علم النبي ﷺ.

قال الشيخ: النبي ﷺ يعلمه.

قلت للشيخ: أعلمه عن طريق الوحي، أم تلقاه عن علماء بني إسرائيل؟

لو علمه عن طريق الوحي لوقعنا في أمور ثلاثة:

١- كيف يأتيه الوحي بعلم يتناقله بنو إسرائيل عن قلفطيريوس عن الحكماء الأول كما يقول البوني.

٢- الوحي نزل بلسان عربي مبين، فأين برهانكم أن بعض الوحي نزل بلغة أخرى غير العربية.

٣- هل بلغ رسول الله هذا الجزء من الوحي أم كتمه عن المسلمين؟

ألا تعلمون أن الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾.[1]

والسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها تقول في الحديث المتفق عليه: ﴿ومن زعم أن محمدا كتم شيئا من الوحي فقد أعظم على الله الفرية﴾

يقول الشيخ: هذا علم تلقاه النبي ﷺ عن طريق الوحي، ولم يكتمه وإنما خص به عليا بن

---

١ سورة المائدة آية ٦٧

أبي طالب رضي الله عنه. وقد وصل إلينا بسند مشايخ الطريق المرفوع إليه ﷺ.

قلت: هل هناك مصلحة في حجب هذا العلم عن كل المسلمين؟ أليست هي علوم تُقرب إلى الله، وفتوحات تيسر معرفة الله كما تزعمون، فما الضرر من نشرها في الأمة مصنفات السنة النبوية المطهرة مثل: البخاري ومسلم وغيرهما من المصادر التي جمعت أحديث رسول الله ﷺ ؟

كما أن قولكم هذا يقتضي أن أكابر أصحاب النبي ﷺ: أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأبا عبيدة بن الجراح وأبا الدرداء وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم لايعرفون هذا الاسم، فكيف تعرفونه أنتم اليوم ويجهله سادة الأمة وخير القرون؟

أأنتم أهدى أم أصحاب رسول الله ﷺ وكيف يخصكم بالمعارف الباطنية ويمنعها عن أصحابه من المهاجرين والأنصار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. وإذا كان الاسم يدل على صفة كمال أو صفة جلال أو جمال فكيف إستقام لكم أن تحيطوا بصفات لله عز وجل لم يدركها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أأنتم أعلم بالله منهم؟!، ثم كيف ضمنتم شرعية معاني هذه الألفاظ السريانية وليس لها مدلول في العربية؟

قال الشيخ: إن هذه الأسماء تحتوي على معان شرعية، ونحن نعرف ترجمة معانيها بالعربية، وهذه الترجمة نقلناها عن شيوخنا، وتمسكنا باللفظ السرياني لأنها من أذكار أنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ. وقد قال شيخنا العارف بالله فلان: لو كان لي أن أغير في الأوراد لاستبدلت الألفاظ السريانية بمعانيها العربية، ولكن منعني أدبي مع سيدي (يقصد شيخه) أن أغير ما تلقيته عنه.

قلت للشيخ: قولكم أن هذه الأسماء هي من أذكار أنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ يوافقكم عليه الشيعة، كما ذكر البوني في كتاب شمس المعارف الكبرى: أن هذه الأسماء ترجع إلى الحكماء الأول قبل سليمان بن داود عليهما السلام ثم وصلت بسندها إليكم.

قال الشيخ: وهل هناك ما يمنع من ذكر الله بأسماء معانيها شرعية، ذكر بها أنبياء الله تعالى قبل بعثة النبي ﷺ ؟

قلت له: بفرض صحة زعمكم هذا، وأن هذه الأسماء تناقلها الناس إلى وقت بعثة رسول الله ﷺ فهذا القول يثير العديد من التساؤلات منها:

* كيف وصلت هذه الأسماء إلى رسول الله ﷺ ؟
* أبلغته عن طريق الوحي؟ أم تلقاها عن علماء بني إسرائيل؟

إن قلتم عن طريق الوحي كذبكم القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين ﷺ.

وكيف تقبلون هذا المنطق الذي يتضمن دعوى كتم النبي شيئا من الوحي وحديث عائشة رضى الله عنها يرد زعمكم هذا حيث تقول: "ومن زعم أن محمدا كتم شيئا من الوحي فقد أعظم على الله الفرية ! وإن زعمتم أن رسول الله ﷺ تلقى هذه الأسماء عن علماء بني إسرائيل فقد كررتم ما قاله كفار مكة في بدء الإسلام.

وهذا الزعم دحضه القرآن الكريم ورده على قائليه بقوله: ﴿لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾.[1] وهذه الآية المباركة تلزمكم بتنزيه رسول الله ﷺ عن ادعائكم بأنه كان يعرف الأعجمية ويتكلم بها.

* أن الله تبارك وتعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه إذا بعث فيهم سيدنا محمد ﷺ أن يتركوا ما أنزل الله عليهم ويتبعوه، قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا: أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.[2] وأنتم بزعمكم هذا عكستم الآية ونسبتم إلى رسول الله ﷺ ما يخالف صريح الآية، فبدلا من أن يعلم أتباع الأنبياء ماأنزل إليه ويأمرهم أن يتركوا ما عندهم ويتبعوه، ادعيتم أنه ﷺ تلقى علوم أحبارهم وخص بها عليا بن أبي طالب وأنتم من بعده!!.

* لو كان تلقي أصحاب رسول الله ﷺ للأسماء السريانية عن الأمم السابقة مكرمة فلماذا غضب رسول الله ﷺ حين رأى عمر بن الخطاب يقرأ في التوراه ونهاه قائلا: ﴿لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه إلا أتباعي﴾.[3]

ولقد حسم رسول الله ﷺ هذه القضية بما لايدع مجالا للمناورة أو المراوغة، فقد روى سفيان بن عينيه عن عمرو بن دينار عن يحي بن جعده قال: أتى النبي ﷺ بكتف فيه كتاب (أي من كتب بني إسرائيل) فقال ﷺ: ﴿كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به نبي غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم، فأنزل الله تعالى ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا

---

١ سورة النحل آية ١٠٣

٢ سورة آل عمران آية ٨١ - ٨٢

٣ تفسير القرطبي ٦:٥٧٠١

عليك الكتاب يتلى عليهم، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾.[1] وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: ﴿كفى بقوم حمقا وضلالة أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم، فنزلت الآية من سورة العنكبوت﴾.[2]

* إضافة إلى ما تقدم، ونظرا لحبكم للمنهج الصوفي وآدابه، فإني أذكركم بآداب المريد مع شيخه ومنها ألا يذكر إلا بالاسم الذي تلقاه عن شيخه، ولو أنك دعوت مريدا أن يذكر الله باسم لم يتلقاه عن شيخه، فإنه يعتذر التزاما بشيخه، وما تلقاه عنه، فالذي يذكر قائلا: "سألتك بالاسم المعظم قدره بآج أهوج جلجلوت بهلهلت"[3]

إذا عرض عليه شيخ آخر أن يذكر: "يا الله يا مغني بمهبهوب ذي لطف خفي بصعصع بسهسهوب ذي العز الشامخ الذي له العظمة والكبرياء بطهطهوب لهوب لهوب ذي القدرة والبرهان والعظمة والسلطان"،[4] فإن المريد يعتذر راضيا مكتفيا بما لقنه شيخه، فلسان حال المريد إذن يقول رضيت بمعلمي شيخا، والتساؤل الذي يطرح نفسه الآن: ياقوم لم لا تعاملون رسول الله ﷺ وسنته كما تعاملون شيخكم وطريقتكم؟.

والله لو كنتم صادقين في حب رسول الله ﷺ لا كتفيتم بما جاء على لسانه، ولتركتم ما تَسَولتُموه من السريانية والعبرية.

لو أنكم حقا تفهمون معنى: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا لأعرضتم عن أذكار لا تفهمونها، ولهداكم الله إلى أنوار سنة رسول الله ﷺ حتى لو ثبت أن السريانية لغة الملائكة أو يتخاطب بها الجن لقلتم نحب أن نذكر بلغة رسول الله ﷺ وصحابته الأطهار: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، ونقول لمن يعرضها علينا: أن شيخنا الأكبر أبا القاسم محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه لم يأذن لنا بها، والله تبارك وتعالى يكره لنا أن يبعث لنا أحب خلقه إليه بسنن الهدى، ثم نذكره بلغة نظن أنها لغة الحكماء الأول قبل سليمان بن داود عليهما السلام كما يقول البوني في شمس المعارف الكبرى.

---

١ سورة العنكبوت آية ٥١

٢ أخرجه الدارمي في سننه ٤٧٨، من حديث يحي بن جعدة مرسلا، الحديث والمحدثون ١٨٨

٣ أوراد الطريقة الخلوتية العونية العيونية

٤ أوراد الطريقة القادرية الجيلانية

* أن أحاديث رسول الله ﷺ التي تدعونا إلى التمسك بالكتاب والسنة وتحذيره لمن يلتمس الهدى فيما سواهما حقيقة يقينية، يقول رسول الله ﷺ: ﴿وإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم، فعليه بسنتي وسنة الخلفاءالراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ﴾.[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد﴾.[2] وذكركم بأسماء سريانية تنسبونها للملائكة أو الجن أو الأنبياء مسألة ظنية لا دليل عليها ولا برهان فأي الأمرين أحق بالإتباع والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا، فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا. ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾.[3]

ولعل القارئ يتطلع إلى معرفة نتيجة هذه المناقشات مع مشايخ الصوفية، وقد يتوقع أن تجد هذه الردود آذانا للحق صاغية، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فما زادتهم الحقائق إلا إعراضا، وما زادهم إلا نفورا، استكبارا في الأرض وحب الجاه والسلطان أولى عندهم من اتباع الحق.

وأذكر أنني في إحدى هذه المناقشات قلت لأحد المشايخ وهو مستشار بالمعاش: أنتم تأمرون الناس أن يذكروا: "برهتيه برهتيه"، أليس من الأفضل أن يقولوا الله الله، أجابني بقوله: إنك إذا قلت "برهتيه" كانت أكثر جمعا لك على الله من قولك الله، "فبرهتيه" التي تلقاها الشيخ عن شيخه أوثق في عقيدته من الله التي تلقاها عن رسول الله ﷺ.

---

١ حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه رواه الترمذي في كتاب العلم حديث ٢٦٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة في سننه ٤٢، ٤٣، وأحمد في مسنده ٤:١٢٦، ١٢٧، والدارمي في سننه ٩٥، وابن حبان في صحيحه

٢ متفق عليه أخرجه البخاري ٢٤٩٩، ومسلم ٣٢٤٢، ٣٢٤٣، وأبي داود ٣٩٩٠، وأحمد ٦:٧٣، ١٤٦،١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠، وابن ماجة ١٤

٣ سورة النجم آية ٢٨ - ٣٠

سادسا: حقيقة الأسماء السريانية

مما سبق يتبين لنا بوضوح عقيدة الصوفية في الأسماء السريانية، وخلاصة ما ورد عنها في كتب الشيعة والصوفية ما يلي:

١- أن الأسماء السريانية تأثر في استدعاء الجن وتسخيرهم.

٢- أن لها أسرار في قضاء الحوائج، ودفع الضر وجلب النفع، من توفيق ومحبة..

٣- رغم عجز الصوفية عن إثبات أي علاقة بين هذه الأسماء وبين نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ إلا أن غاية أماني الصوفية أن يزعموا أن هذه الأسماء نوع من العلم الباطن الذي أسره وعلمه النبي ﷺ عليا بن أبي طالب.

٤- نسبتهم هذه الأسماء زورا إلى أنبياء بني إسرائيل وخاصة نبي الله سليمان ﷺ وأنه ما سخر الجن إلا بها.

ولبيان حقيقة هذه المزاعم فإننا نروي جملة من أقوال السلف الصالح ننقلها من أهم المصادر المعتمدة والتي توضح لنا حقيقة نسبة هذه العلوم إلى نبي الله سليمان، ومن هي الأيدي الخفية التي عبثت في هذا الموضوع، ونسوق أولا ما رواه الطبري في تفسيره:

* يقول سعيد بن جبير: "كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته، فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس، فقالوا لهم: أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم، قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه، فاستثارته الإنس فاستخرجوه، فعملوا به".

* يقول قتادة: "أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس، وأعلموهم إياه فلما سمع سليمان نبي الله ﷺ فتتبع تلك الكتب فأتى بها، فدفنها تحت كرسيه كراهية أن يتعلمها الناس، فلما قبض الله نبيه سليمان عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه، فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به فعذر الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك".

* وقول آخر لقتادة: كتبت الشياطين كتبا فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان، فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب، فقالوا: هذا علم كتمناه سليمان".

* ويرى مجاهد: "كانت الشياطين تستمع الوحي من السماء فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مثلها، وأن سليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه، فلما توفي وجدته الشياطين فعلمته الناس".

* ويقول شهر بن حوشب: "لما سُلب سليمان ملكه، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان، فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا، فليستقبل الشمس، وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا، فكتبته وجعلت عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر العلم، ثم دفنته تحت كرسيه، فلما مات سليمان قام إبليس خطيبا فقال: يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبيا، وإنما كان ساحرا، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته، ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه، فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرا، هذا سحره بهذا تعبدنا، وبهذا قهرنا، فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا، بعث الله النبي محمدا ﷺ جعل يذكر الأنبياء حتى ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحرا يركب الريح، فأنزل الله عذر سليمان ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ [١] الآية.

كما يؤكد القرطبي في تفسيره نفس المضمون بقوله:

* "قال الكلبي: كتبت الشياطين السحر والنرنجيات [٢] على لسان آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام، ودفنوها تحت مصلاه حين انتزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمان، فلما مات استخرجوه وقالوا للناس: إنما ملككم بهذا فتعلموه، فأما علماء بني إسرائيل فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان، وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلّمه، ورفضوا كتب أنبيائهم". [٣]

كما روى ابن كثير في تفسيره:

* قول ابن عباس: "كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا، وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها". [٤]

وقد أكد علماء السلف هذه الواقعة في العديد من الكتب والمصادر التي لا يتسع المقام لحصرها، ولعل الحقائق قد ظهرت بجلاء تام، فالأسماء السريانية الباطنية من وضع

---

١ سورة البقرة آية ١٠٢

٢ النرجينات نوع من الطلاسم وقسم من أقسام السحر

٣ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٢:١

٤ مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٩٥:١

الشياطين، ابتدعوها بعد موت سليمان ﷺ. وقالوا أن بها يتم التصريف، وتسخير الجن وغيره، وتناقلت السحرة هذه الأسرار جيلا بعد جيل، حتى تلقاها أقطاب الصوفية ولقنوها للمريدين، وأصبح ورد كل طريق يدعو بأسماء مختلفة وجوهرها واحد هو الإستعانة بغير الله، والتعبد بغير ما شرع الله، وما لم يأذن به الله، وبغير هدى رسول الله ﷺ.

والعجيب أن هذه الكتب ما زالت تتداول بين الصوفية والباطنية، وبنفس الأسلوب الذي حدث ويحدث دائما مع مراحل الإنحراف.

فالشياطين التي كتبت بين أسطر الوحي الذي أنزله الله على سليمان، ما زالت تحث أعوانها على أن يسطر الواحد منهم بين آيات سورة الواقعة مثلا مجموعة من الأسماء السريانية، ويعتقد المريد أنها أسماء لله تعالى وهي في حقيقتها، أسماء للجن ومردة الشياطين يرددها من طلب الهدى عند أئمة الضلال، ولو أنه اتبع كتاب ربه وسنة نبيه ما هلك في أودية الغي، وتاه في شعاب الباطل، ولا يدري كيف يرجع إلى ربه، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، فحبطت أعمالهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾.[1]

---

١ سورة الكهف آية ١٠٣ - ١٠٥

ملخص الباب الثاني

١- شغل الباطنيون أنفسهم بتقسيم العلم إلى ظاهر وباطن، وحين أقنعوا أنفسهم بذلك زعموا أن من أنواع العلم الباطن أسرار الحروف، وأن كل حرف له رقم يساويه، وقد كان السبق لليهود، وسارت الشيعة على دربهم، ثم تلقت الصوفية بعد الشيعة هذه الفتوحات.

٢- وبنفس الأسلوب ابتكرت الشيعة الأسماء السريانية ونسبوها إلى جعفر الصادق، ثم تلقت الصوفية نفس الفكرة، وأمروا المريدين أن يذكروا الله بأسماء غير عربية، ويفسرونها لأتباعهم بأنها ذكر لله بلغة الملائكة، وصدَّق المريدون ذلك، وتركوا ذكر الله بالأسلوب الشرعي الذي يرضى عنه الله ورسوله، كتلاوة القرآن الكريم أو حضور مجالس العلم أو الدعاء لله بما سنه النبي، بل راحوا يذكرون أسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

٣- ينسى الصوفية ما رواه المفسرون - ومنهم القرطبي وابن كثير وغيره - في كتبهم عن نشأة الأسماء السريانية، وكيف وضع الشياطين كتب السحر في خزانة نبي الله سليمان عليه السلام بعد موته ثم دلوا الناس عليها قائلين هلموا إلى كنز سليمان عليه السلام والأسرار التي كان بها يسخر الجن، فتلقاها سفلة الناس، وتناقلوها جيلا بعد جيل حتى وجدت لنفسها السبيل إلى الإسلام على يدي مشايخ الطرق الصوفية. ومن العجيب أن كتب الصوفية التي تتناول الأسماء السريانية تنسبها إلى نبي الله سليمان عليه السلام، لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- ضربنا أمثلة عديدة تؤكد اعتقاد بعض الطرق الصوفية المعاصرة في الأسماء السريانية، وقد تعرضنا لمنطق المشايخ الذين يدينون بهذا الاعتقاد سواء من كتبهم، أو في لقاءات متعددة بين المؤلف وبين بعض المشايخ الذين يتمسكون بهذه الأسماء ويعتبرونها من الفتوحات العليا على شيخهم الأكبر، وسر الطريق ومدده، فكيف يتنازلون عنها؟



الباب الثالث

أقوال الصوفية
عن علم الباطن

١- الحكيم الترمذي

٢- الطوسي طاووس الفقراء

٣- حجة الإسلام الغزالي

٤- الفيروزابادي



الباب الثالث: أقوال الصوفية عن العلم الباطن

لا يتسع المقام لتتبع أقوال الصوفية عن العلم اللدني، وكيف يقسمون علوم الدين، وسنكتفي بأقوال أبرز رجالهم وتقسيمهم للعلم، والقوم بين شاطح ومعتدل، فمنهم من يقرر اختلاف: الظاهر عن الباطن، ويفتح الباب على مصراعية للتخريف باسم العلم الباطن كالشعراني واليافعي والدباغ في كتبهم، ومنهم من يقول: بسمو الباطن على الظاهر، ومنهم من ينكر اختلاف الظاهر عن الباطن، فالصوفية في أوائل عهدهم كانوا يأمرون أتباعهم باتباع الكتاب والسنة وعدم الحيود عنهما، ويحذرون المريدين من مخالفة الشريعة والوقوع في أحوال أهل البدع والأهواء، لذا فلن نتعرض لأقوال سلف الصوفية أمثال المحاسبي والجنيد وغيرهما، من أهل الاعتدال، ولن نشير إلى أقوال أهل الشطح والانحراف مثل: الحلاج والبسطامي، أو أقوال جهلة الصوفية كالدباغ والشعراني واليافعي والخواص والمجذوب.

ولن نختار أعلام الصوفية القائلين بوحدة الوجود أتباع الفلسفات والأفكار الدخيلة عن الإسلام، مثل ابن عربي وابن الفارض وابن سينا وابن رشد وابن سبعين والجيلي وغيرهم، فهؤلاء حكم عليهم كبار علماء الأمة أنهم على شريعة أخرى غير الشريعة التى نزلت على النبي الخاتم، فهؤلاء لم يسيروا أولا على سنن أسلافهم من الصوفية، وهم في الحقيقة أتباع الباطنية. وإنما نختار من القوم: من يمثل ظهور الأفكار الباطنية مثل: الحكيم الترمذي ثم أبو النصر السراج الطوسي الذي يمثل جانب التصحيح في الفكر الصوفي، ثم ننقل عن أشهر رجالات التصوف في كل العصور مثل: أبو حامد الغزالي، صاحب أشهر المصنفات الصوفية وأوسعها انتشارا، ثم الفيروزابادي الذي يمثل أكثر أقوال القوم اعتدالا، ثم نتعرض لما يقوله القوم في كتبهم فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الفصل الأول: الحكيم الترمذي

أولا: تعريف بالترمذي الحكيم

هو أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن بشير ويلقب بالحكيم الترمذي مع تقديم أو تأخير بين اللقبين، المتوفى سنة ٣٢٠، وكثير من الناس والمشايخ يظن أنه هو الإمام المحدث أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي صاحب سنن الترمذي، وهذا خطأ شائع، والحقيقة أنهما رجلان مختلفان اسما ومضمونا، ويُنسب للحكيم الترمذي أمورا كثيرة ابتدعها من خياله وأوهامه، ثم صارت بعده قلب علوم الصوفية وأصل معارفهم ومن ذلك نرى في الحكيم الترمذي أنه:

١- واضع نظرية ختم الولاية، وألّف فيها كتابه المسمى: "ختم الأولياء"، فهو يزعم أن الأولياء لهم خاتم، كما خُتمت النبوة برسول الله ﷺ.

ويقول أبو عبدالرحمن السلمي: "أخرجوا الحكيم من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب ختم الأولياء، وكتاب علل الشريعة، وقالوا: إنه يقول: إن للأولياء خاتما كالأنبياء لهم خاتم، وأنه يفضل الولاية على النبوة، واحتج بحديث: "يغبطهم النبيون والشهداء"، وقدم بلخ فَقَبِلوه لموافقته لهم في المذهب".[١]

٢- حدد مواصفات خاتم الأولياء، وألّف مائة وخمسين سؤالا - ذكرها ابن عربي في فتوحاته المكية - وزعم أنه لا يجيب عنها إلا الخاتم.

٣- يقال أنه أول من افترى القول بحياة الخضر عليه السلام، حيث يقول عن نفسه أنه بينما كان صبيا يبكي بكاء شديدا لخشيته أن يبقى جاهلا مهملا، إذ جاءه شيخ وسأله عن سر بكائه فأفضى إليه بحاله، فقال له الشيخ: ألا أعلمك في كل يوم شيئا من العلم، فلا يمر عليك كثير وقت حتى تسبق إخوانك؟ فأجابه الفتى إلى ذلك، واستمر الشيخ على تعليمه كل يوم،

---

١ نقلا عن سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ٤٤١:١٣

اهتم كثير من الصوفية بإجابة أسئلة الحكيم الترمذي، ففي ذلك إثبات مكانتهم في الولاية، وليس بعد ختم الأولياء مكانة في التصوف، ومن هؤلاء ابن عربي، ومن المعاصرين الشيخ أبو العزايم، وقد طبع العارف بالله تعالى الشيخ محمد علي سلامة مدير أوقاف بورسعيد كتابا سماه الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي في كتابه ختم الأولياء

ومضت على ذلك أعوام، ثم عرف (الترمذي) بعد ذلك أن الشيخ هو الخضر عليه السلام".[1]

ثانيا: تقسيم الترمذي للعلم

يقسم الترمذي الحكيم العلوم تقسيما أوليا إلى ثلاثة أنواع، وقد وضع رسالة خاصة يشرح فيها هذا التقسيم أسماها: "أنواع العلوم"، يقول فيها: "فالعلم عندنا ثلاثة أنواع:

١- نوع منه: الحلال والحرام

٢- ونوع ثان: الحكمة.

٣- ونوع ثالث: المعرفة.

ما وراء ذلك محجوب عن الخلق".

كما يقول في موضع آخر من نفس الكتاب: وذلك أن العلم ثلاثة أنواع:

١- نوع منه علم الله، وعلم أسمائه.

٢- والنوع الثاني: علم التدبير.

٣- والنوع الثالث: علم أمره ونهيه.

ويقول في كتابه: "الأكياس والمغترون": فالمعرفة عندنا ثلاثة أنواع:

١- نوع منها الحلال والحرام

٢- ونوع ثان: الحكمة.

٣- ونوع ثالث: علم المعرفة، وهي الحكمة العليا، وما وراء ذلك محجوب عن الخلق".

وإذا كان علم الحلال والحرام، أو علم الأمر والنهي مما هو عام بين المسلمين، فإن العلمين الآخرين وهما: الحكمة والحكمة العليا، مما اخُتص به الأولياء، كل على حسب مقامه وطبقته.

عندما يُقسم الحكيم الترمذي العلوم فإنه يقسمها إلى هذه الأقسام الثلاثة، ليُدخل فيها علم الظاهر: علم الحلال والحرام، لكنه حين يُقَسِّم الحكمة فإنه يقسمها إلى قسمين، وذلك بإزاء قسمين من أقسام العلم، فيقول:

---

١ نقلا عن الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبدالفتاح بركة ٣٢، أما القول بأن الترمذي هو أول من افترى لقاء الصوفية بالخضر فهذه نقلناها عن كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن عبدالخالق ٢١٨، حيث يقول: ويبدو أن أول من افترى القصة الصوفية للخضر هو محمد بن علي بن الحسن المسمى بالحكيم، ويعتبر المؤلف كتاب ختم الولاية أخطر كتاب صوفي على الإطلاق

والحكمة حكمتان، كما أن العلم علمان: علم بالله وعلم بأمر الله، ولكل علم حكمة، والعلم ما ظهر منه، والحكمة ما بطن منه، وكما أن العلم علمان فكذلك الحكمة حكمتان: حكمة في العلم به، وهي الحكمة العليا، وحكمة في العلم بأموره وتدبيره وصنعته، فالحكيم حين يقسم العلم، يجعل الحكمة قسما من أقسامه، فالظاهر منه قسم، والباطن منه قسم، ثم ينقسم كل منهما حسب موضوعاته".[1]

ويفرق الحكيم الترمذي بين العلم والحكمة بعدة أمور منها:

١- العلم يُدرك بالتعلم، بينما الحكمة لا تدرك بالتعلم.

٢- العلم يُكتسب، والحكمة لا تُنال بالجهد والاكتساب بل هي مِنَّة إلهية موهوبة.

٣- العلم الظاهر مبذول للجميع، وهو ما يقع تحت الحواس والجوارح، بينما الحكمة تتجاوز ذلك إلى المغيبات التي لا تقع تحت حس ظاهر.

٤- لا يُنال العلم الباطن إلا بالمرور على العلم الظاهر، ويظل العلم الظاهر فرع من فروع الحكمة، ومكانته ومنزلته دائما منزلة الفرع من الأصل، أو منزلة الخادم من المخدوم، أو منزلة المفتاح من خزانة الكنوز، وهو (أي العلم الظاهر) أمر عظيم بمكانه، ولكنه يصغر في جنب الحكمة لأنها منطقة خاصة لا يقربها إلا الأولياء".[2]

---

١ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبدالفتاح عبدالله بركة ٢:٢٧٩ - ٢٨٠

٢ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور بركة ٢:٢٨٢

الفصل الثاني: الطوسي طاووس الفقراء

أولا: تعريف بالسراج الطوسي

هو أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي الملقب بطاووس الفقراء توفي سنة ٣٧٨ هـ، وهو من كبار دعاة الإصلاح في التصوف، حتى أنه أفرد في مصنفه "اللمع" كتابا خاصا تحدث فيه عن أغلاط الصوفية، وما وقعوا فيه من الخطأ، لذلك اخترناه لنعرض آراءه حول العلم وتقسيماته، لأنه يمثل تيار الإصلاح في التصوف، فهو ينكر على القائلين بالفناء والبقاء، والحلول والإتحاد، وغير ذلك مما انتشر بين صوفية اليوم حتى أصبح هو الفكر الصوفي المعاصر.

ثانيا: تقسيم الطوسي للعلم

وقبل أن نتعرف على تقسيم الطوسي للعلم نود أن نقدم للقارئ الكريم مكانة الطوسي وكتابه اللمع عندد الصوفية، لذا ننقل هذا التقديم الذي أعده شيخ الأزهز الأسبق فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود رحمه الله حيث يقول: يُعد "اللمع" من أعظم المؤلفات الصوفية، وأقدم مرجع صوفي، ويعتبر أوثقها، وأغزرها مادة، وأنقاها جوهرا ولفظا"[1]، ثم يستطرد قائلا: يقول أبو النصر السراج الطوسي في كتابه "اللمع": "إن أصول الدين ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، أي الظاهر والباطن والحقيقة، فالإسلام ظاهر، والإيمان ظاهر وباطن، والإحسان حقيقة الظاهر والباطن."[2]

ثم يقسم العلم إلى: حديث وفقه وتصوف، وبالتالي يكون العلماء:

* أما أصحاب الحديث: فإنهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله ﷺ وطلبوا رواة الحديث، وصححوا رواياتهم، وضبطوا سِيَر الرواة، وجرحهم وتعديلهم، وأحاط علمهم بعلل اختلاف الرواة.

* أما الفقهاء: فإنهم فُضلوا على أصحاب الحديث بقبول علومهم والاتفاق معهم، ثم خُصوا بالفهم والاستنباط في فقه الحديث، والتعمق والتدقيق في ترتيب الأحكام وحدود الدين وأصول الشرع، وميزوا الناسخ من المنسوخ، والخصوص من العموم بالكتاب والسنة

١ مقدمة كتاب اللمع تقديم د. عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور

٢ اللمع لأبي النصر السراج الطوسي ٢٢

والإجماع والقياس.

* أما الصوفية: فإنهم اتفقوا مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم، وقبلوا علومهم، ثم خُصوا بعلم الفتوح: يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات خطابه، ما شاء كيف شاء.

ويفرد الطوسي بابا في كتابه "اللمع" يثبت فيه علم الباطن ويسوق الأدلة على وجوده فيقول: "إن العلم ظاهر وباطن، وهو علم الشريعة الذي يدل ويدعو إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، والأعمال الظاهرة: كأعمال الجوارح الظاهرة، وهي العبادات والأحكام، مثل: الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك، فهذه العبادات، وأما الأحكام: فالحدود والطلاق والعتاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها، وأما الأعمال الباطنة: فأعمال القلوب وهي: المقامات والأحوال، مثل: التصديق والإيمان والصدق والإخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة، والذكر والشكر، والإنابة والخشية والتقوى والمراقبة والفكرة والاعتبار والخوف، والرجاء والصبر والقناعة والتسليم، والتفويض والقرب، والشوق والوجد والوجل والحزن والندم، والحياء والتعظيم، والإجلال والهيبة، ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد، ويدل على صحة كل عمل منها من الظاهر والباطن آيات من القرآن وأخبار الرسول ﷺ عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وجهله من جهله، فإذا قلنا: علم الباطن، أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة، وهي القلب، كما أنا إذا قلنا: علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة، وهي الأعضاء، وقد قال الله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [1] فالنعمة الظاهرة: ما أنعم الله تعالى بها على الجوارح الظاهرة من فعل الطاعات، والنعمة الباطنة: ما أنعم الله تعالى بها على القلب من هذه الحالات، ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله ﷻ: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾.[2] فالعلم المستنبط هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوف، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك، ونحن نذكر إن شاء الله طرفا من ذلك، فالعلم: ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن.[3]

---

١ سورة لقمان آية ٢٠

٢ سورة النساء آية ٨٣

٣ اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ٤٣ - ٤٤

فالطوسي إذن يمثل جانب الاعتدال في الفكر الصوفي، وبرغم أنه يميل إلى تقسيمات الصوفية التي تقسم أصول الدين إلى ظاهر وباطن، إلا أنه لا يجعل الشريعة ظاهرا فقط، بل يراها ظاهرا وباطنا، ويخصص معنى علم الباطن أنه أعمال القلوب، فكأن الرجل يجعل علم الباطن معبرا عن عبادة القلوب، وعلم الظاهر معبرا عن طاعة الجوارح، وهو بذلك يوصد أبواب علوم الفناء والبقاء والحلول ومفاهيم الوحدة.

الفصل الثالث: حجة الإسلام الغزالي

أولا: تعريف بالغزالي

يمثل الغزالي قمة الفكر الصوفي، وصفه الصوفية بأنه حجة الإسلام، ونظرا لمكانته وسعة علمه وكثرة مصنفاته، فإننا نحتاج لعرض ترجمة مختصرة عنه، ومن أراد المزيد فعليه بكتب الرجال، والغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، ولد في طوس سنة ٤٥٠ هـ، وتلقى العلوم الشرعية ورحل في طلب العلم، وصنف في كثير من العلوم الشرعية وتعمق في الفلسفة للرد على الفلاسفة وكتب العديد من الكتب منها مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة والمستظهرين فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، وكتب في المنطق كتبا منها معيار العلم في فن المنطق، ومحك النظر في المنطق، إلى آخر مصنفاته في الفلسفة، مما جعل له شهرة واسعة فسماه الناس: هادم الفلاسفة، وهذه الشهرة هي التي حدت بالخليفة المستظهر بالله أن يطلب منه بأن يتناول آراء الباطنية ويرد عليهم، فألف كتابه الرد على الباطنية، ولكن شكوك الغزالي قد بلغت ذروتها، فعزم على اعتزال التدريس، وترك الأهل والولد والمال، وخرج من بغداد سنة ٤٨٨ هـ، سالكا طريق الصوفية، وداوم على ذلك التطواف عشر سنوات تقلب فيها بين المجاورة في بيت المقدس والحج إلى بيت الله الحرام، ثم الإعتكاف في إحدى زوايا الجامع الأموي في دمشق، وهي الزاوية التي ما زالت تعرف حتى اليوم بالغزالية، وأثناء اعتزاله في الجامع الأموي ألف أشهر كتبه وهو إحياء علوم الدين، الذي يعد بمثابة موسوعة عند الصوفية، ولولا أن بضاعته في علم الحديث مزجاة لكان لهذا الكتاب نفع كبير، فقد تعقب العلماء الأحاديث التي أوردها الغزالي في الإحياء فلم يجدوا سندا لحوالي ٩٤٣ حديث، وكثير منها موضوع مكذوب على النبي ﷺ. ونظرا لأن الكتاب لا يخلو من خير فقد اجتهد العلماء في تهذيب الكتاب واختصاره، وحذف الأحاديث الموضوعة، وبرغم أن الكتاب لا يخلو من خير إلا أن بعض العلماء غالوا في ذم الكتاب حتى أطلقوا عليه "إماتة علوم الدين" لا "إحياء علوم الدين"..

وقد تأثر الغزالي بالفلاسفة، لذا ينصح العلماء بعدم أخذ أصول العقيدة من كتابه الإحياء أو غيره، ومن أعجب مآخذ العلماء على أبي حامد الغزالي وغيره من أقطاب الصوفية كعمر بن الفارض وابن عربي، أنهم لم ينشغلوا بأحوال الأمة الإسلامية التي كانت تصد هجمات الصليبيين الواحدة تلو الأخرى حتى سقط بيت المقدس بين يدي ريموند دي تولوز سنة ٤٩٢ هـ، والغزالي في عزلته يؤلف إحياء علوم الدين، تاركا دولة الدين تدافع عن

ديارها، والأعجب أن لا يكتب الغزالي سطرا واحدا عن الجهاد وأجره وفضل المجاهدين ومنزلته في الدين، فالرجل يكتب في صومعته عن دقائق النفس البشرية، ولا ينادي للجهاد ونصرة الدين، لذلك كتب العلماء يقولون:

"هذا بيت المقدس سقط في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ، والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة، فلم يحرك فيه هذا الحادث الجلل شعرة واحدة، ولقد عاش بعد ذلك ١٣ عاما، إذ مات سنة ٥٠٥ هـ، فما ذرفت عيناه دمعة واحدة ولا استنهض همم المسلمين، ليذودوا عن القبلة الأولى".[١] "ألا يعجب القارئ إذا علم أن حجة الأسلام أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في أيدي الفرنج الصليبيين، وعاش اثنتي عشرة سنة بعد ذلك، ولم يشر إلى هذا الحدث العظيم".[٢] ومع هذا فقد اشتهر شأن الغزالي عند الصوفية وأطلقوا عليه حجة الإسلام وغير ذلك من الألقاب.

ثانيا: تقسيم العلم

يناقش أبو حامد الغزالي مسألة تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن، وهل يجوز اختلاف الظاهر عن الباطن؟ فيقول: "فإن قلت: بَيّن لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن، فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع، وهو قول من قال: إن الحقيقة خلاف الشريعة، وهو كفر، لأن الشريعة عبارة عن الظاهر، والحقيقة عبارة عن الباطن، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو، فيزول به الانقسام، ولا يكون للشرع سر لا يفشى، بل يكون الخفي والجلي واحد؟.

يرى الغزالي أن الباطن لا يناقض الظاهر، ويقدم حلا لتوهم بعض الناس مناقضة الباطن للظاهر فيقول: فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، ثم يشرح الغزالي الداعي إلى وجود العلم الباطن والحاجة إليه فيقول: "بل الأسرار التي يختص بها المقربون لا يدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها، ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه، فيختص بدركه الخواص، وعليهم ألا يُفشوه إلى غير أهله، فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم

---

١ هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل

٢ التصوف في الإسلام د.عمر فروخ

عن الدرك"، ثم يضرب الغزالي مثلا فيقول: "كإخفاء سر الروح وكف رسول الله ﷺ عن بيانه لأن حقيقته مما تَكِل الأفهام عن دركه، وتقصر الأوهام عن تصور كنهه".

ثم يستطرد قائلا: "بل في صفات الله ﷻ من الخفايا التي يعلمها الأنبياء ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه".

القسم الثاني: من الخفيات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يَكِلُّ الفهم عنه، ولكن ذِكره يضر بأكثر المستمعين، وسر القدر الذي مُنِع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم.

وهكذا يَدَّعِي الغزالي أن رسول الله ﷺ كان يعلم سر الروح ولكنه تأدب بآداب الشرع، كما يعلم الأنبياء صفات الله ولا يبلغونها لأممهم، لقصور أفهام الناس عن إدراكها.

القسم الثالث: أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفُهم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز، ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه، كما لو قال القائل: رأيت فلانا يقلد الدر في أعناق الخنازير، فكُني به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها.

القسم الرابع: أن يدرك الإنسان الشيء جملة، ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق، فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر، والثاني كاللباب، والأول كالظاهر والثاني كالباطن، وذلك كما يتمثل للانسان في عينيه شخص في الظلمة أو على البعد، فيحصل له نوع علم، فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك التفرقة بينهما، ولا يكون الأخير ضد الأول، بل هو استكمال له.

القسم الخامس: أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه، وهذا كقول القائل: قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ قال: سل من يدقني... ومن هذا قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾.[1]
ويقول الغزالي ما معناه: أن الأشياء لا نراها في الظاهر تسبح بينما هي في الباطن تسبح".[2]

---

١ سورة الإسراء آية ٤٤

٢ إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي من ١٧٣:١ - ١٧٨ مختصرا

ثالثا: رأي الغزالي في التأويل

ويقرر الغزالي أن التأويل ليس من منهج سلف الأمة فيقول:

"وتشهد سيرة السلف أنهم كانوا يقولون أَمِرُّوها كما جاءت، حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء فقال: الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم ذهبت طائفة إلى فتح باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها، ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية، وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا الغيبيات، ثم زاد الفلاسفة عن هذا الحد بأن أولوا كل ما ورد عن الآخرة".

رابعا: خلاصة قول الغزالي

لا تتضمن تقسيمات الغزالي الثالث والرابع والخامس، أي نوع من أنواع العلم الباطن، ويمكن تلخيص ما يقوله الغزالي فيما يلي:

* أن العلم الباطن لا يخالف الظاهر، والقائل بالمخالفة قريب من الكفر.

* أن ما يخفيه العلماء من البواطن راجع إلى دقته أولا، وحرصا على أفهام العامة ثانيا، كسر الروح والقدر، واستخدام الرمز والاستعارة ولسان الحال للتعبير عن دقائق الأمور.

ونحن نوافق الغزالي فيما ذهب إليه أولا وثانيا، فهذا حق، ولا ينبغي للباطن أن يخالف الظاهر، وقد يخفى على البسطاء بعض دقائق الفهم في كثير من أمور الدنيا والدين، ولا خلاف في ذلك، أما أن يزعم أن الأنبياء يكتمون عن أممهم شيئا من علومهم، أو يختصون بها قوما دون قوم، فهذه دعوى بلا دليل ولا برهان، والله جل جلاله يشهد لأنبيائه بأداء الرسالة وتبليغ الأمانة، وكذلك نشهد كما شهد سلفنا الصالح لنبينا ﷺ يوم عرفة وغيره.

وسنناقش دعوى تخصيص النبي بعض أصحابه بفهم في دين الله دون غيرهم، فهذه دعوى خطيرة بني عليها الكثير من الانحراف والشطط، وسنتعرض لها بالمناقشة والتفنيد في البابين الرابع والخامس من هذا الكتاب، والله ولي التوفيق.

الفصل الرابع: الفيروزابادي

أولا: تعريف بالفيروزابادي

هو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ، وهو شافعي المذهب، صوفي السلوك، وكان محبا لابن عربي، ومعتقدا عقيدته في وحدة الوجود، وقال عن نفسه: "الذي اعتقده في حال المسئول عنه (أي ابن عربي)، وأدين الله تعالى به: أنه كان شيخ الطريقة حالا وعلما، وإمام الحقيقة حقيقة ورسما، ومحيي رسوم المعارف فعلا واسما.

وقد كتب الفيروزابادي العديد من المصنفات من أهمها: "القاموس المحيط، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، وقد صنف في التفسير والحديث والتاريخ، وما يتصل بهذه العلوم، وقد فُقد معظم مصنفاته.

ثانيا: تقسيم العلم

الذي يقول فيه في باب بصيرة في "علم" عدة تقسيمات للعلم، كل منها يعتبر تقسيما للعلم من زاوية معينة، ويتغيير التقسيم إذا نظرت إليه من زاوية أخرى فيقول:

١- العلم ضربان: (الأول) إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه.

٢- والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي:

فالنظري: ما إذا عُلِم فقد كَمُل: نحو العلم بموجودات العالم.

والعملي: ما لا يتم إلا بأن يعمل به كالعلم بالعبادات.

٣- ومن وجه آخر ضربان: عقلي وسمعي.

والعلم منزلة من منازل السالكين إن لم يصحبه السالك من أول قدم يضعه إلى آخر قدم ينتهي إليه، يكون سلوكه على غير طريق موصل، وهو مقطوع عليه ومسدود عليه سبل الهدى والفلاح، وهذا إجماعٌ من السادة العارفين، ولم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق ونواب إبليس. ويستدل الفيروزابادي على أهمية العلم في السلوك بأقوال أكابر الصوفية فيقول:

١- قال سيد الطائفة وإمامهم الجنيد: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ. وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر،

لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة".[١]

٢- وقال أبو الحسين النوري: "من رأيتموه يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربوه، والكلمات التي تروى عن بعضهم في التزهيد في العلم فمن أنفاس الشيطان، كمن قال: نحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت، وأنتم تأخذونه عن حي يموت

٣- وقال آخر: العلم حجاب بين القلب وبين ربه.

٤- وقال آخر: إذا رأيت الصوفي يشتغل بحدثنا وأخبرنا فاغسل يدك منه.

٥- وقال آخر: لنا علم الحروف، ولكم علم الورق.

٦- وقيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبدالرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبدالرزاق من يسمع من الخلاق.!

وأحسن أحوال قائل مثل هذا أن يكون جاهلا يُعْذَرُ بجهله، أو والها شاطحا مصرفا بسخطه، وإلا فلولا عبدالرزاق وأمثاله من حفاظ السنة لما وصل إلى هذا وأمثاله شيء من الإسلام، ومن فارق الدليل، ضل عن السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة إلا الكتاب والسنة.

والعلم خير من الحال، الحال محكوم عليه والعلم حاكم، والعلم هاد والحال تابع، الحال سيف، فإن لم يصحبه علم فهو مِخْراق[٢] لاعب، الحال مركوب لا يجارى، فإن لم يصحبه علم ألقى صاحبه في المتالف والمهالك، ودائرة العلم تسع الدنيا والآخرة، ودائرة الحال ربما تضيق عن صاحبه، العلم هاد والحال الصحيح مهتد به، فهو تَرِكة الأنبياء وتراثهم،... ويستطرد قائلا: وطلب العلم أفضل من صلاة النافلة، نص عليه الشافعي وأبو حنيفة، واستشهد الله ﷻ أهل العلم على أَجَلّ مشهود، وهو التوحيد، وقَرَنَ شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه لا يستشهد بمجروح، ومن ها هنا يُوجه (والله أعلم) الحديث: ﴿يرث هذا العلم (وفي رواية يحمل هذا العلم) من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين﴾.[٣] وهو حجة الله في أرضه، ونوره بين عباده،

---

١ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزأبادي ٤:٨٩

٢ المخراق: المنديل يلف ليضرب به

٣ روي عن علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وسامة بن زيد وأبي أمامة الباهلي، وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو، أخرجه الخلال في العلل، وتمام في فوائده، وابن عدي، والخطيب، وابن جرير الطبري، والدارقطني، نقلا عن مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ١٦٣

وقائدهم ودليلهم إلى جنته، ومدنيهم من كرامته، ويكفي في شرفه أَنَّ فَضْلَ أَهْلِهِ على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وكفضل سيد المرسلين على أدنى الصحابة منزلة، وأن الملائكة تضع لهم أجنحتها، وتظلهم بها، وأن العالِمَ يستغفر له مَن في السموات ومَن في الأرض حتى الحيتان في البحر، وحتى النملة في جُحرها، وأن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير، وأَمَر الله أَعْلَم العباد وأكملهم رسول الله ﷺ أن يسأل الزيادة من العلم فقال: ﴿وقل رب زدني علما﴾.[1] واعلم أن العلم على ثلاث درجات:

أحدهما: ما وقع من عيان وهو البصر.

والثاني: ما استند إلى السمع وهو الإستفاضة.

والثالث: ما استند إلى العلم وهو علم التجربة.

على أن طرق العلم لا تنحصر فيما ذكرنا، فإن سائر الحواس توجب العلم، وكذا ما يدرك بالباطن وهي الوجدانيات، وكذا ما يدرك بالمخبر الصادق، وإن كان واحدا، وكذا ما يحصل بالفكر والاستنباط، وإن لم يكن تجربة".[2]

١ سورة طه آية ١١٤

٢ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروزأبادي ٤:٨٩

ملخص الباب الثالث

١- الحكيم الترمذي يفتح باب العلوم الباطنية على مصراعيه، فالخضر يعلمه كل يوم منذ نعومة أظافره.

٢- الترمذي يبتكر نظريته في الولاية ويخترع للولاية خاتما كما للنبوة خاتما.

٣- يحدد الترمذي مواصفات خاتم الأولياء، بل ويكتب له مائة وخمسون سؤالا لا يستطيع أن يجيب عليها سواه. فيبادر كل من رأى في نفسه أنه الأحق بمرتبة الختم أن يجيب على هذه الأسئلة.

٤- يقرر الترمذي أن العلم ينال بالتعلم، وأن الحكمة مِنَّة إلهية يهبها لمن يشاء.

٥- يعد السراج الطوسي من حملة لواء الإصلاح في التصوف، وهو ينكر الكثير من انحراف الصوفية وانخراطهم في الفلسفة والقول بالفناء والوحدة، وهو في نفس الوقت يرى أن الصوفية أعلى الناس علما، وأشملهم إحاطة فهم فوق الفقهاء، وأرقى من المحدثين.

٦- يرى الطوسي في تقسيم العلم رأيا وسطا لا غبار عليه، فهو يقسم العلم إلى ظاهر وباطن، ولكنه لا يرى بينهما تباين، وأن الباطن يقابل أعمال القلوب، بينما العلم الظاهر يقابل أعمال الجوارح.

٧- يعد أبا حامد الغزالي من أعلام الصوفية المعتدلين، وتمثل كتبه مرجعا هاما عند المريدين، وإلي رأيه يميل كثير من المشايخ، ويرى الرجل أن العلم الباطن لا يخالف العلم الظاهر وأن القائل بالمخالفة بينهما قريب من الكفر.

٨- يخصص الغزالي الحالات التي يرى فيها الحاجة الماسة إلى العلم الباطن، وأنها ترجع إلى دقة العلم الباطن عن فهم العامة، ومنها حالات الكلام على الروح أو سر القدر أو الرمز.

٩- يوافق الفيروزابادي على أقوال كبار الصوفية ومنهم سيد الطائفة الجنيد في أقوالهم عن أهمية إتباع الكتاب والسنة والتمسك بهما طوال السلوك إلى الله تعالى.



الباب الرابع

الظاهر والباطن عند سلف الأمة

١- الظاهر والباطن في القرآن

٢- العلم والحكمة عند السلف

٣- فهم السلف الصالح

٤- أخص النبي ﷺ كل قوم بما يصلحهم؟

٥- السلف ومسائل الصفات



الفصل الأول

الظاهر والباطن
في القرآن الكريم

١- الفواحش والإثم

٢- النعم الظاهرة والباطنة

٣- السور بين الرحمة والعذاب

٤- الظاهر والباطن من الأسماء الحسنى



الباب الرابع: الظاهر والباطن عند سلف الأمة

الفصل الأول: الظاهر والباطن في القرآن

إذا بحثنا في القرآن الكريم عن الآيات التي ذكرت ألفاظ الظاهر والباطن نجدها ست آيات نوردها مع بيان فهم السلف الصالح لها.

أولا: الفواحش والإثم

يقول سبحانه: ﴿ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن﴾.[1]

ويقول عز من قائل: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن﴾.[2]

ويقول سبحانه: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾.[3]

وتُجْمِع كتب التفاسير - بعد أن تذكر أقوال الصحابة والتابعين في هذه الآيات - فيما بينها على أن المراد من ظاهر الإثم والفواحش وباطنها - والله أعلم بمراده - هو كل ما عُصى الله به وانتُهكت به محارمه سره وعلانيته ما ظهر منها أمام الناس، وما خفي عليهم واستتر عن أعينهم ولم يشهده إلا الملائكة الكرام الكاتبون، بل إن هناك بواطن تخفى حتى على الملائكة من أعمال القلوب: كالتصديق والطمأنينة والسكينة والصبر والشكر والرجاء والخوف، والتواضع والكبر والحسد والعجب، وسوء الاعتقاد والعزم والظن والتمني، والشاهد الوحيد المطلع على القلوب هو الملك العلام الذى يعلم السر وما هو أخفي من السر.

ثانيا: النِّعَم الظاهرة والباطنة

وكما حذرنا سبحانه وتعالى من اقتراف ظاهر الإثم وباطنه، فقد وجهنا أيضا إلى شكر نعمه الظاهرة والباطنة، فيقول عز من قائل: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه﴾.[4] وتعرض كتب التفسير فَهم خير قرون الإسلام عن هذه الآية فتقول: النعم الظاهرة: ما في الأعضاء من السلامة وما أوتي الإنسان من نعم في الحياة الدنيا على صورها المختلفة، والنعم الباطنة هي: الإيمان والتسليم والتفويض والتوكل والخوف والرجاء والحب، ويقول مجاهد: "النعم

---

١ سورة الأنعام آية ١٥١

٢ سورة الأعراف آية ٣٣

٣ سورة الأنعام آية ١٢٠

٤ سورة لقمان آية ٢٠

الظاهرة هي الإسلام والقرآن والرسول ﷺ والرزق، والنعم الباطنة: هي ما ستر من العيوب والذنوب".

ثالثا: السور بين الرحمة والعذاب

أما الآية الخامسة فهي قوله تعالى: ﴿فَضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾.[1] يقول ابن عباس رضي الله عنه: "السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار، (باطنه فيه الرحمة) هي الجنة، (وظاهره) يعني: من وراء السور، (من قبله العذاب) وهو جهنم"[2] وإلى هذا المعنى ذهب قتاده ومجاهد وابن زيد ومقاتل والكسائي وغيرهم.[3]

رابعا: من أسماء الله الحسنى

أما الآية السادسة فتعلمنا بعض أسماء الحق سبحانه حيث يقول: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم﴾.[4] وتفسير هذه الآية ما ورد عن النبي ﷺ حين يقول في دعائه: ﴿اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر﴾.[5] فهو سبحانه الظاهر القادر على كل شيء والغالب له، وأيضا الظاهر بالأدلة ونظر العقول في صفته وآثار قدرته، وهو الباطن الذى لا يدانيه شيء، فهو سبحانه أقرب إلينا من حبل الوريد، قربا بعلمه وقدرته وإحاطته ومشيئته، لا قربا بذاته كما يفهمه أصحاب وحدة الوجود، فهو سبحانه: ليس كمثله شيء، ويقول الثوري رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى : ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا

---

١ سورة الحديد آية ١٣

٢ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي ٨:١٦٦

٣ الفخرالرازي في تفسيره الكبير ٢٩:٢٢٦، والألوسي في روح المعاني ٩:١٧٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن الكريم ٧:٦٤١٦

٤ سورة الحديد آية ٣

٥ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة حديث ٤٨٨٨، وأبو داود في سننه ٤٣٩٢، والترمذي ٣٣٢٢، ٣٤٠٣، وابن ماجة في سننه ٣٨٢١، وأحمد في مسنده ٢:٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٦

هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم﴾.[1]

يقول الثوري: "علمه معكم أينما كنتم"، وقد أجمعت الأمة على تفسير المعية في هذه الآية على أنها معية العلم، وأنها لا تُحمل على معية الذات، فالآية تبدأ بالعلم ﴿ألم تر أن الله يعلم﴾ وتنتهي بالعلم أيضا ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ للإشارة إلى معية العلم والإحاطة.

ومذهب السلف هو إثبات العلو لله تبارك وتعالى، علو الذات، وعلو القدر، وعلو المكانة، وبهذا نصت الآيات القرآنية في سورة الملك حيث يقول تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾.[2] وهذه الآيات تقرر علو الحق تبارك وتعالى، وأنه فوق جميع مخلوقاته من الجن والإنس والملائكة والسموات والأرض، وقد ورد في السنة النبوية عن معاوية بن الحكم السلمي أنه أراد أن يعتق جارية فقال: ﴿فقلت يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها فأَتَيْتُه بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة﴾.[3] وَرُبَّ قائل يقول: أن رسول الله ﷺ أمر أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، وهو يطبق هذه القاعدة مع هذه الجارية،وأنه قَبِلَ إجابتها لأنها لا تدرك أكثر من ذلك، والإجابة على هذا السؤال أن رسول الله ﷺ أكد نفس المعنى في أحاديث أخرى منها ما قاله ﷺ في خطبته يوم عرفه: ﴿وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة (أي أشار) يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس:

---

١ سورة المجادلة آية ٧

٢ سورة الملك آية ١٥ – ١٦

٣ أخرجه مسلم في صحيحه حديث ٨٣٦، وأبو داود في سننه حديث ٧٩٥، ٧٩٦، ٢٨٥٦، ٣٤١٠، والنسائي في السهو ١٢٠٣، وأحمد في مسنده ٤٤٧:٥، ٤٤٨، ٤٤٩، والحافظ ابن منده في كتاب الإيمان ٢٣٠:١، ومالك في الموطأ عن عمر بن الحكم حديث ٤٨٥ وهو حديث صحيح

اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد ﴾[1]. وكذا قوله ﷺ: ﴿ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ﴾.[2]

وكذا قوله ﷺ ﴿ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء ﴾.[3] وليس معنى قول السلف الصالح: "أن الله تبارك وتعالى فوق سماواته مستو على عرشه"، أنه بعيد عن خلقه، بل إن معية الله لخلقه بعلمه وقدرته وإحاطته من الأمور التي لا ينكرها الا الجاحدون، والدليل على صحة هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير﴾.[4] فخصصت الآية صفة العلم في قوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ ثم في قوله: ﴿يعلم مايلج﴾. ثم في ختام الآية أيضا وذلك قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ فهي إذن معية علم وقدرة وإحاطة لا معية ذات فحاشا لله أن يكون ملامسا لخلقه أو ممازجا لهم أو حالا فيهم أو متحدا معهم، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. فالآيات القرآنية حين تتعرض صراحة للظاهر والباطن، لم تشر من قريب أو بعيد إلى تلك المفاهيم الصوفية والباطنية، وتقسيماتهم الوضعية.

---

١ متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج ١٤٦٦، ١٥٤١، ١٦٦٠، ورواه مسلم في صحيحه، وأبو داود في المناسك ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، والترمذي في الحج ٧٤٦، ٧٨٤، ٧٨٥، ٣٧١٨، والنسائي ٢٨٩، ٤٢٦، ٦٠٠، ٢٦٦٤، وابن ماجة في المناسك ٢٩٠٤، ٢٩١٠، وأحمد ٣٧٨:٣، وموطأ مالك في الحج ٧١٣، والدارمي في سننه ١٧٧٨

٢ متفق عليه أخرجه البخاري في المناقب ٣٣٤١، ٤٦٧٠، وأبو داود في السنة ٤١٣٦، والنسائي في الزكاة ٢٥٣١، وابن ماجة في المقدمة ١٦٥، وأحمد في سننه ٤:٣، ٦٨، ٧٣، وموطأ مالك في الزكاة ٤٢٨

٣ أخرجه أبو داود في الأدب ٤٢٩٠ من حديث عبدالله بن عمرو، والترمذي في سننه حديث ١٨٤٧ وقال: حديث حسن صحيح

٤ سورة الحديد آية ٣

الفصل الثاني

العلم والحكمة
عند السلف الصالح

١- علوم قبل الإسلام

٢- تعريف العلم

٣- مراتب العلم

٤- الحكمة



الفصل الثاني: العلم عند السلف

أولا: علوم قبل الإسلام

اشتهر قبل الإسلام مجموعة من العلوم التي ستساعدنا على فهم كلام الباطنية وغيرهم من دعاة البحث عن الحقائق في غير ما أنزل الله تعالى، ومن أبرز هذه العلوم ما يلي:

* المنطق: علم يجمع الأصول والقواعد التي يستعان بها على تصحيح النظر والتمييز، وبالتالي فهو بحث عن الحقيقة من طريق النظر المستقيم، والتمييز الصحيح.

* الجدل: علم يعرفك بالأساليب التي تعينك على محاجة الخصوم وإفحامهم في مجال المناقضة واللجاج، وقيل هو البحث عن الغلبة والإلزام بالحجة، قد يرمي إلى الكسب والدفاع عن مصلحة مطلوبه، وقد يتحرى مجرد المسابقة للفوز على الخصم، وإفحامه في مجال المناقضة واللجاج، والجدال والمراء من الأمور المكروهة شرعا فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال:

﴿أنا زعيم (أي ضامن وكفيل) ببيت في ربض (ما حول الجنة وفي أطرافها) الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خلقه﴾.[1]

وقد ظهر المنطق والجدل بين اليونان الأقدمين، فأكبروا المنطق، ونظروا إلى الجدل نظرة اشتباه وإنكار، وهو الذي سموه بعد ذلك بالسفسطة، أو ترفعوا فسموه علم البراهين الخطابية Rhetoric وحسبوه صناعة لازمة في معرض الإقناع والتأثير.

* السوفيست والفيلسوف: كان اسم السوفيست عند قدماء اليونان أعظم شأنا من اسم الفيلسوف، وقد ظهر اسم السوفيست قبل ظهور لفظ الفيلسوف، فالسوفيست: ينتمي إلى ربة الحكمة التي كانوا يسمونها "صوفيه"، وبالتالي كان معني السوفيست أنه الحكيم الذي ألهمته تلك الربة "صوفيه"، وفرغ من مؤونة المعرفة، وأنه ملك الحكمة واستوفاها.

فلما ظهر الحكيم فيثاغورس استكبر اسم السوفيست واعتبرها دعوى لا تنبغي له، فتواضع الرجل وسمى نفسه محبا للحكمة، لأنه يطلبها، ولا يزعم أنه وصل إليها، والمحب للحكمة باللغة اليونانية يسمى فيلسوفا، ومن هنا ظهر هذا الاسم في عالم المعرفة.

---

١ حديث أبو-أمامة الباهلي انفرد به أبو داود حديث ٤١٦٧ في كتاب الأدب

ثانيا: تعريف العلم

تعلم المسلمون عبر قرون الهداية أن العلوم التي تتناول الأصول الثلاثة التي يحتاجها المسلم لينال سعادة الدنيا والآخرة هي:

١- معرفة الله ﷻ

٢- معرفه دينه وأوامره ونواهيه

٣- معرفة رسوله ﷺ.

لا سبيل لإدراك هذه الأصول الثلاثة إلا من خلال كتاب الله وسنة رسوله، وبالتالي تراجعت مصطلحات الجدل والمنطق والفلسفة وغيرها وحل مكانها علوم الإسلام، وسيتبين لنا الفرق بين أدوات المسلم ووسائله التي يسلك بها إلى كمال المعرفة، وبين وسائل أرباب الفلسفة وأدعياء الباطن.

ونبدأ مع ابن القيم رحمه الله حيث يقول: "إن الناس لا يختلفون في أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد". والمعرفة الحاصلة عن دليل تأتي من الاستجابة لله ﷻ ولرسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.[١] فالأمر ينقسم إلى: هُدى وهَوى:-

فالهدى ينتج عن اتباع الحق والاستجابة لكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

والهوى هو ثمرة تقليد ما لم يأت به الرسول ﷺ.

ويؤكد نفس المعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾.[٢] فخطاب الله تبارك وتعالى لنبيه داود عليه السلام، هو في نفس الوقت، خطاب عام لكل الناس، وتحذير الله لنبيه داود من اتباع الهوى تنبيه لنا جميعا أن الحيود عن الحق، لا يكون إلا اتباعا للهوى، والهوى لا يوصل إلا إلى الضلال في الدنيا والعذاب يوم القيامة.

ويؤكد أهمية هذا التحذير الإلهي أن الله جل شأنه خاطب سيدنا محمدا ﷺ بنفس ما

---

١ سورة القصص آية ٥٠

٢ سورة ص آية ٢٦

خاطب به داود تعليما لنا وتنبيها، وتحذيرا من الانصراف عن الوحي إلى أهواء الجاهلين فقال سبحانه: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر، فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين﴾.[1] فالشريعة هي وحي الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ وهي الحق، وطريق الولاية والتقوى، والميل عنها هو في حقيقته اتباع للهوى ولأهواء الذين لا يعلمون. كما أن الهدى يقابله الهوى من الناحية الأخرى، فكذلك العلم يقابله الجهل، وبينهما مراحل عديدة، ونستطيع أن نتبين هذه المراحل إذا أمعنا النظر في تعريف السلف الصالح للعلم في كتب الأصول حيث يقولون:

"العلم: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما، كإدراك: أن الكل أكبر من الجزء، وأن النية شرط في العبادة.

فخرج بقولنا: إدراك الشيء، عدم الإدراك بالكلية، ويسمى الجهل البسيط، مثل أن يُسأل: متى كانت غزوة بدر؟ فيقول: لا أدري.

وخرج بقولنا: على ما هو عليه، إدراكه على وجه يخالف ما هو عليه ويسمى الجهل المركب، مثل أن يُسأل: متى كانت غزوة بدر؟ فيقول: في السنة الثالثة من الهجرة.

وخرج بقولنا: إدراكا جازما، إدراك الشيء إدراكا غير جازم بحيث يحتمل عنده أن يكون على غير الوجه الذي أدركه، فلا يسمى ذلك علما، ثم إن ترجح عنده أحد الإحتمالين: فالراجح ظن، والمرجوح وهم، وإن تساوى الأمران فهو شك.

وبهذا تبين أن تعلق الإدراك بالأشياء كالآتي:

١- علم: وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما.

٢- جهل بسيط: وهو عدم الإدراك بالكلية.

٣- جهل مركب: وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

٤- ظن: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

٥- وهم: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

٦- شك: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مساو".

وبالتالي يمكننا ترتيب هذه الدرجات حسب دقة الإدراك إلى:

علم يليه ظن ثم شك ثم وهم ثم جهل بسيط ثم جهل مركب.

---

١ سورة الجاثية آية ١٨، ١٩

ثالثا: مراتب العلم

يمكن تقسيم مراتب العلم من حيث الحاجة إليه إلى قسمين: ضروري ونظري:

١- العلم الضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريا، بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال، كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء، وأن النار حارة، وأن محمدا رسول الله.

٢- العلم النظري: ما يحتاج إلى نظر واستدلال: كالعلم بوجوب النية في الصلاة".[١]

والحق تبارك وتعالى عليم خبير بصير بخلقه وبما يصلحهم، لذا أنزل كتابه فيه صلاح خلقه وهدايتهم، وأعلم الخلق بالله تعالى هو النبي وهو الذي يبين لنا ما نزل علينا، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي أوحاه الله إليه، لذلك أدرك السلف أن العلم هو تلقي المعارف عن الله ﷻ من خلال كتابه العزيز، وعن رسوله الكريم ﷺ من خلال سنته الشريفة المدونة في مصادر الحديث، وهذا التلقي يجعلنا ندرك الأشياء على ما هي عليه إدراكا جازما، يقوم عليه الدليل، فمن يعلم الأشياء على حقيقتها إلا خالقها وبارئها ومصورها؟

ومن يُفصل لنا هذا الإدراك ويشرحه لنا أصدق من الصادق الأمين رسول رب العالمين، المبعوث رحمة للعالمين؟ ألم يكلفه ربه بقوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾.[٢]

فالبيان جاءنا ممن أوتي جوامع الكلم، أخشى خلق الله لله، وأعرفهم به سبحانه، لذا حظيت أمته بأعظم إدراك، حيث تلقت المعارف من منبعها، ولا شك أن خسران أتباع هذه الأمة كبير، إذا طلبوا العلم فيما سوى ذلك، فلن يصلوا إلا إلى ظن لا دليل عليه ، ولذلك وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ .[٣]

ورضي الله عن الشافعي حيث يقول:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة   إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا   وما سوى ذاك وسواس الشياطين

---

١ الأصول من علم الأصول لمحمد صالح العثيمين ١٣ - ١٤

٢ سورة النحل آية ٤٤

٣ سورة النجم آية ٢٣

رابعا: الحكمة

الحكمة في اللغة: نتعرف أولا على المعاني اللغوية للحكمة، وماذا تفهم العرب من هذه اللفظة، لذا نرجع إلى ابن منظور الذي يقول في كتابه الجامع "لسان العرب" ما يلي: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم. والحكمة: العدل، ورجل حكيم: أي رجل عدل، وأحكم الأمر: أتقنه، واحتكم الأمر واستحكم: أي وَثُقَ، وأحكمته التجارب، وأحكمت الشيء، فاستحكم صار محكما، وحكم الشيء وأحكمه كلاهما أي منعه من الفساد، وحكمت السفيه وأحكمته: إذا أخذت على يده (أي منعته من الفساد والإفساد). والحَكَمَةَ: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه.

الحكمة في الإصطلاح: يروي أبو الفرج بن الجوزي في كتابه نزهة الأعين النواظر قول بعض أهل العلم: الحكمة ضرب من العلم يمنع من ركوب الجهل، وقال آخرون: الحكمة: خروج نفس الإنسان إلى كمالها الممكن لها في حدي العلم والعمل، فحينئذ تنال الخُلُق الذي يسمى العدالة.

وذكر أهل التفسير أن الحكمة في القرآن على ستة أوجه:

١- الموعظة: ومنه قوله تعالى: ﴿حكمة بالغة فما تغن النذر﴾.[١]

٢- السُّنَّة: ومنه قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.[٢] ومنه قوله سبحانه: ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾.[٣] وقوله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾.[٤] وقوله جل شأنه: ﴿ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.[٥] وقوله سبحانه: ﴿وأذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله

---

١ سورة القمر آية ٥

٢ سورة البقرة آية ١٢٩

٣ سورة البقرة آية ٢٣١

٤ سورة النساء آية ١١٣

٥ سورة البقرة آية ١٥١، وآل عمران آية ١٦٤، وسورة الجمعة آية ٢

والحكمة﴾.[1] وكذا قوله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾.[2]

٣- الفهم: ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾.[3] وفي مريم: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾.[4] ومنه قوله سبحانه: ﴿وكلا آتيناه حكما وعلما﴾.[5] وفي سورة لقمان: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾.[6]

٤- النبوة: ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾.[7] وفي سورة ص : ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾.[8] ومنه قوله سبحانه: ﴿وكلا آتيناه حكما وعلما﴾.[9]

٥- القرآن: ومنه قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾.[10]

٦- علوم القرآن: ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾.[11]

وقيل الحكمة هي: الفقه والعلم والإصابة والعقل في الدين.

ومما سبق يتبين لنا أن العلم ما قام عليه الدليل، وأن أشرف دليل هو الكتاب والسنة، والحكمة لفظ مرادف لهما، والعلم بالتعلم كما أسلفنا، والحكمة ثمرة الإتباع، وينالها من سلك على صراط الله المستقيم، ومن اقتدى بالمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

---

١ سورة الأحزاب آية ٣٤

٢ سورة النساء آية ١١٣

٣ سورة الأنعام آية ٨٨

٤ سورة مريم آية ١٢

٥ سورة البقرة آية ٢٣١

٦ سورة النساء آية ١١٣

٧ سورة الأنعام آية ٨٨

٨ سورة ص آية ٢٠

٩ سورة البقرة آية ٢٣١

١٠ سورة النحل آية ١٢٥

١١ سورة البقرة آية ٢٦٩

الفصل الثالث: فهم السلف الصالح

صح عن الحسن البصري أنه قسم العلم إلى قسمين فقال: "العلم علمان: فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم".[1] أما الباطنية الذين يزعمون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، فتراهم يروون خبرا أن الحسن البصري قال: ويزعم آخرون أن الحسن يرويه عن النبي ﷺ مرسلا[2] أنه قال: "أن لكل آية ظهرا وبطنا، وحدا ومطلعا"، وهذا الخبر لا يوجد في شيء من كتب الحديث كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية،[3] ثم يستطرد قائلا: "وقد شاع في كلام كثير من الناس: "علم الظاهر وعلم الباطن"، وأهل الظاهر وأهل الباطن، ودخل في هذه العبارات حق وباطل"، ثم يحدد شيخ الإسلام أين الحق والباطل في هذه الأقوال؟

فيقول: قول الرجل: "الباطن" إما أن يريد علم الأمور الباطنة مثل: العلم بما في القلوب من المعارف والأحوال، والعلم بالغيوب التي أخبرت بها الرسل، وإما أن يريد به العلم الباطن، أي الذي يبطن عن فهم أكثر الناس، أو عن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك. فأما الأول فلا ريب أن العلم منه: ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح، ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب، ومنه ما هو علم بالشهادة وهو ما يشهده الناس بحواسهم، ومنه ما يتعلق بالغيب وهو ما غاب عن إحساسهم.

وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾[4]. والغيب الذي نؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته والجنة والنار، فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب، فإن وصف الرسالة هو من الغيب، وتفصيل ذلك هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما ذكر الله تعالى ذلك في قوله:

---

١ انفرد به الدارمي من بين الكتب التسعة ورواه عن الحسن مقطوعا، ومرة مرسلا عن النبي ﷺ حديث ٣٦٧

٢ الحديث المرسل: هو ما يرويه التابعي عن النبي ﷺ دون أن يذكر الصحابي الذي روى عنه، ويعد إسناد هذا الحديث غير متصل، ولا يقبله علماء الحديث إلا بشروط معينة وفي حالات مخصوصة

٣ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢٣٢:١٣

٤ سورة البقرة آية ١-٣

﴿ولكن البر: من آمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين﴾.[1] وقال: ﴿من يكفر بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فقد ضل ضلالا بعيدا﴾.[2]

والعلم بأحوال القلوب - [كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة، والإرادات الصحيحة والفاسدة، والعلم بمعرفة الله ومحبته، والإخلاص له وخشيته، والتوكل عليه والرجاء له، والحب فيه والبغض فيه، والرضا بحكمه والإنابة إليه، والعلم بما يُحمد ويُذم من أخلاق النفوس: كالسخاء والحياء، والتواضع، والكبر والعجب، والفخر والخيلاء، وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمور باطنة في القلوب ونحوه] - قد يقال: له: "علم الباطن" أي علم بالأمر الباطن، فالمعلوم هو الباطن، وأما العلم الظاهر فهو ظاهر يُتكلم به ويُكتب، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام السلف وأتباعهم، بل غالب آي القرآن هو من هذا العلم، فإن الله أنزل القرآن ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾.[3]

بل هذا العلم هو العلم بأصول الدين، فإن اعتقاد القلب أصل لقول اللسان، وعمل القلب أصل لعمل الجوارح، والقلب هو مَلِكُ البدن، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: "القلب مَلِكٌ والأعضاء جنوده، فإن طاب المَلِكُ طابت جنوده، وإن خبث المَلِكُ خبثت جنوده".

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب﴾.[4]

وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿الإسلام علانية والإيمان في القلب، قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات، قال: ثم يقول: التقوى هاهنا، التقوى هاهنا﴾.[5] وكلام الصحابة

---

١ سورة البقرة آية ١٧٧

٢ سورة النساء آية ١١٦

٣ سورة يونس آية ٥٧

٤ متفق عليه أخرجه البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه حديث ٥٠، ومسلم في صحيحه ٢٩٩٦، وأبي داود في سننه ٢٨٩٢، والترمذي في البيوع ١١٢٦، والنسائي ٤٣٧٧، ٥٦١٤، وسنن ابن ماجة في الفتن ٣٩٧٤، وأحمد في سننه ٢٦٧:٤، ٢٦٩، ٢٧٠: ٢٧١، ٢٧٥، والدارمي في سننه ٢٤١٩

٥ حديث أنس بن مالك أخرجه أحمد في مسنده ١٣٤:٣ حديث رقم ١٢٣٨٤ وقال: حديث حسن، وكذلك البزار وأبو يعلى وابن أبي شيبة

والتابعين في هذا أكثر منها في الإجارة والحيض والطهارة بكثير كثير، ولكن هذا العلم ظاهر موجود مقول باللسان، مكتوب في الكتب، ولكن من كان بأمور القلب أعلم كان أعلم به وأعلم بمعاني القرآن والحديث.

وعامة الناس يجدون هذه الأمور في أنفسهم ذوقا ووجدا فتكون محسوسة لهم بالحس الباطن، لكن الناس في حقائق الإيمان متفاضلون تفاضلا عظيما،... ويستكمل ابن تيمية حديثه قائلا: فلهذا كان في حقائق الإيمان الباطنة وحقائق أنباء الغيب التي أخبرت بها الرسل ما لا يعرفه إلا خواص الناس، فيكون هذا العلم باطنا من جهتين:

١- من جهة كون المعلوم باطنا.

٢- ومن جهة كون العلم باطنا لا يعرفه أكثر الناس.

ثم إن الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل ما لا يدخل في غيره، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وما خالف ذلك فهو الباطل، كالكلام في الأمور الظاهرة.

وأما إذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا على نوعين: أحدهما: باطن يخالف العلم الظاهر، والثاني: لا يخالفه.

أما الأول: فباطل، فمن ادعى باطنا أو علما بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئا، إما ملحدا زنديقا وإما جاهلا ضالا.

وأما الثاني: فهو بمنزلة الكلام في العلم الظاهر قد يكون حقا، وقد يكون باطلا، فإن الباطن إذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم، فإن عُلِمَ أنه حق قُبِلَ، وإن عُلِمَ أنه باطل رُدَّ، وإلا أمسك عنه، وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم، ممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة الصوفية والمتكلمين".[١]

١ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٣:٢٣٢

الفصل الرابع: أخص النبي ﷺ كل قوم بما يصلحهم؟

يناقش شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى قول الباطنية: أن النبي ﷺ خص كل قوم بما يصلحهم فيقول: هذا الكلام له وجهان:

١- إن أراد به أن الأعمال المشروعة يختلف الناس فيها بحسب اختلاف أحوالهم فهذا لا ريب فيه: فإنه ليس ما يؤمر به الفقير كما يؤمر به الغني.

ولا ما يؤمر به المريض كما يؤمر به الصحيح.

ولا ما يؤمر به عند المصائب كما يؤمر به عند النعم.

ولا ما تؤمر به الحائض كما تؤمر به الطاهرة.

ولا ما تؤمر به الأئمة كالذي تؤمر به الرعية.

فأمر الله لعباده قد يتنوع بتنوع أحوالهم، كما يشتركون في أصل الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بكتبه ورسله.

٢- وإن أراد به أن الشريعة في نفسها تختلف، وأن النبي ﷺ خاطب زيدا بخطاب يناقض ما خاطب به عمرا، أو أظهر لهذا شيئا يناقض ما أظهره لهذا،.. وأنه خاطب العامة بأمور أراد بها خلاف ما أفهمهم لأجل مصلحتهم، إذ كان لا يمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق،..

فإن قول هؤلاء من أكفر الأقوال، وجهلهم من أعظم الجهل، إذ لو كان الأمر كذلك، فلابد أن يعلمه أهل العقل والذكاء من الناس، وإذا علموه امتنع في العادة تواطؤهم على كتمان ما تتوفر الهمم والدواعي على بيانه وذكره، لا سيما مثل معرفة هذه الأمور العظيمة، التي معرفتها والتكلم بها من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي عليه،.. وإذا كانت الرسل تُبطن خلاف ما تُظهر فإما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكنا لغيرهم، وإما: أن لا يكون، فإن لم يكن ممكنا كان مدعي ذلك كذابا مفتريا، وإن كان العلم بذلك ممكنا، علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر، وليس لمن يعلم ذلك حد محدود، بل إذا علمه هذا، علمه هذا وعلمه هذا، فيشيع هذا ويظهر. وينفي الصحابة رضوان الله عليهم دعوى اختصاص بعضهم بعلم دون غيرهم، ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن قيس بن عباد قال: قلنا لعمار بن ياسر: أرأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فإن الرأي يخطئ ويصيب، أو عهدا عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟

فقال: ﴿ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة﴾.[1]

ونضيف إلى هذه المعاني أيضا: أن رسول الله ﷺ قد سُئل سؤالا واحدا من عدد من الصحابة، فتعددت إجاباته ﷺ ويعد سؤال: أي الأعمال أفضل؟ من أشهر هذه الأمثلة فقد أجاب كل من: أم فروة وهي من المبايعات أجابها ﷺ بقوله: ﴿الصلاة في أول وقتها﴾.[2]

بينما أجاب عبدالله بن حُبْشِي الخثعمي بقوله: ﴿طول القيام﴾.[3]

وفي رواية النسائي أن رسول الله أجاب عبدالله بن حُبْشِي الخثعمي بقوله: ﴿إيمان لا شك فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجة مبرورة﴾.[4]

في حين أجاب أبو هريرة قائلا: ﴿الإيمان بالله قال: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم الحج المبرور﴾.[5]

ولما سأله عبدالله بن مسعود نفس السؤال، أجابه رسول الله ﷺ بقوله: ﴿الصلاة لوقتها وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله﴾.[6]

وكما نرى أن الإجابة تعددت، وكل منها يوجه صحابيا جليلا إلى غايته أن يعبد الله

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه حديث ٤٩٨٣، ٤٩٨٤، ٤٩٨٥، وأحمد في مسنده ٥: ٣٩٠، ذكره ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٢٣٢:١٣

٢ حديث أم فروة أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة حديث ٣٦٢، والترمذي حديث ١٥٥

٣ حديث عبدالله بن حبشي الخثعمي أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة حديث ١١٢٩، والنسائي أحاديث ٢٤٣٤، ٢٤٧٩، ٤٩٠٠، وأحمد في مسنده ٤١١:٣، والدارمي في سننه ١٣٨٨

٤ حديث عبدالله بن حبشي الخثعمي أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة حديث ١١٢٩، والنسائي أحاديث ٢٤٣٤، ٢٤٧٩، ٤٩٠٠، وأحمد في مسنده ٤١١:٣، والدارمي في سننه ١٣٨٨.

٥ حديث أبو هريرة متفق عليه أخرجه البخاري في الإيمان ٢٥، ومسلم في الإيمان أيضا ١١٨، أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد حديث ١٥٨٢، والنسائي أحاديث ٢٥٧٧، ٣٠٧٩، ٤٨٩٩، وأحمد في مسنده ٢٥٨:٢، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٨٧، ٣٤٨، ٣٨٨، ٤٤٢، والدارمي في سننه كتاب الجهاد ٢٢٨٦

٦ حديث أبو هريرة متفق عليه أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ٤٩٦، ٢٥٧٤، ٥٥١٣، ٦٩٨٠، ومسلم في الإيمان أيضا ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، وأخرجه الترمذي في البر والصلة حديث ١٨٢٠، والنسائي أحاديث ٦٠٦، ٦٠٧، وأحمد في مسنده ٤٠٩:١، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٥١، والدارمي في سننه كتاب الصلاة ١١٩٧

تبارك وتعالى بأفضل الأعمال، ولا يخفي أن بر الوالدين يسبق الجهاد للصحابي الذي ما زال أبويه على قيد الحياة، أما إذا سأل نفس السؤال من مات أبويه، فإن ترتيب الأعمال يتغير بالنسبة له، وهكذا تكون كل إجابة من منظور مصلحة السائل، فليس الأمر مجردا، ومن يرى في هذا الأمر أن رسول الله خص كل قوم بما يصلحهم فلا حرج من هذا الفهم، ولكن مع وضع المحاذير الآتية:

١- أن إجابة رسول الله ﷺ لم تخرج عن حيز العلم الظاهر الذي تعرفه الأمة.

٢- لم يسر رسول الله ﷺ لأحد مما سأله باسم سرياني أو وفق من الأوفاق، أو علمه الإسم الأعظم، أو أي شيء من تلك الأمور التي يزعمها الباطنية.

الفصل الخامس: السلف ومسائل والصفات

قال أبو عثمان النيسابوري: "من أَمَّرَ السُنَّة على نفسه قولا وفعلا: نطق بالحكمة، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه قولا وفعلا: نطق بالبدعة، قال الله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾[1].

يزعم الباطنية وكثير من الصوفية أن العلم الباطني هو ما يلقيه الحق تعالى في قلب الولي، ولا يشترط أن يكون موافقا للعلم الظاهر الذي هو الشريعة، ومنهج السلف في هذه الأمور هو الإيمان بالنص على الوجه الذي يليق بالله تبارك وتعالى، وفي إطار "ليس كمثله شيء"، ويشرح ابن القيم رحمه الله ذلك بقوله: "لم يتنازع الصحابة رضي الله عنهم في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يَسُوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا.. ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا، وأجروها على سَنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبِدع حيث جعلوها عِضِينَ، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها، من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه.."، ويقول تحت عنوان: الأمر بالرد دليل على أن الكتاب والسنة يشتملان على حكم كل شيء: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾.[2] وقوله: فإن تنازعتم (في شيء) نَكِرَه في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دِقِّه وَجُلِّه، جَلِّيه وخَفِّيه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيا لم يأمر بالردِّ إليه، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالردِّ عند التنازع إلى مَنْ لا يُوجد عنده فصل النزاع، ومنها أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته.[3]

---

١ سورة النور آية ٥٤، نقلا عن مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٢:٤٨٥

٢ سورة النساء آية ٥٩

٣ إعلام الموقعين عن رب العالمين لإبن قيم الجوزية ١: ٤٧/٤٩



ملخص الباب الرابع

١- بحث الفلاسفة والمفكرون قبل الإسلام عن الحقيقة، واستحدثوا علوما منها: المنطق والجدل والحكمة، ومصطلحات منها: السوفيست أو محب الحكمة وغير ذلك من المسميات.

٢- جاء الإسلام ووضع العلم أعلى المقامات، وعَرَف المسلمون الأوائل أن الوحي هو الوسيلة التي أبلغنا بها رسول الله ﷺ مراد الله منا، وأن أصل العلوم وأشرفها هو: معرفة الله تعالى، ومعرفة دينه وأوامر الله عز وجل ونواهيه، ومعرفة رسوله ﷺ

٣- العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل، وبالتالي تتباين مراتب العلم بين: جهل مركب، وجهل بسيط، ووهم، ووشك، ووظن، ووعلم. وأن العلم ينقسم إلى علم ضروري وعلم نظري.

٤- الحكمة هي السنة النبوية المشرفة، وهي المبينة للقرآن الكريم والمذكرة التفسيرية لدستور الإسلام، وهي أيضا الموعظة والفهم والنبوة.

٥- أن رسول الله ﷺ بلغ عن ربه دينا واحدا، لم يقسمه إلى قسمين واحد ظاهر للعامة، والآخر باطن للخاصة، وإنما خاطب الناس أثناء نزول الوحي بما يناسب إيمانهم وعلى قدر ما يصلحهم وعلى مراحل، فمتى آمنوا بالله وصدقوا بوجوده، علمهم أركان الدين وخلاصة أوامره بالتدريج، فمن تعلم الصلاة وأقامها، دله على أن لله في أموال المسلمين حق معلوم للسائل والمحروم، ولهذا فقد أجاب سيدنا رسول الله ﷺ أصحابه على السؤال الواحد بعدة أجوبه، كل منها يناسب حال السائل، وكل توجيهاته من مشكاة واحدة، وليس في أحدها ما يناقض الأخرى.

٦- يوم عرفة في حجة الوداع تلى رسول الله ﷺ قول الله تعالى:﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ وليس في دين الله تعالى نص صريح لا في القرآن ولا في السنة على تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، فكيف بعد اكتمال الأمر وتمامه نزعم اليوم أن هناك تقسيم بدون دليل.



الباب الخامس

مناقشة
أدلة الباطنية

١- علي بن أبي طالب وعلم الباطن
٢- خصوصيات بعض الصحابة
٣- حذيفة وعلم النفاق
٤- النفاق مكشوف في مجتمع المدينة
٥- أبو هريرة وجرابي العلم



الباب الخامس: مناقشة أدلة الباطنية

تقوم عقيدة الباطنية على فكرة خصوصية آل البيت رضوان الله عليهم بأسرار الدين وعلومه الباطنة التي لا يستطيع العامة أن يصلوا إليها، وحين يعرضون أدلتهم تراهم يغالون في شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه الوصي على الدين وبالتالي الأحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وسنناقش أفكار القوم بعون الله تعالى وتوفيقه، ونبحث عن الخصوصية بشكل عام وهل هي حكر على علي بن أبي طالب ثم الحسن والحسين وحدهم، أم أن عطاء الله يتعدد، ومواهبه كثيرة نال منها الصحابة القدر الكبير، وسنبين ذلك بتوفيق الله تعالى فيما يلي:

الفصل الأول: علي بن أبي طالب وعلم الباطن

لا شك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من أبرز أصحاب رسول الله شأنا، فهو ابن عمه وزوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وأبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله ﷺ وقد وردت الأحاديث الصحيحة في مناقب علي ومنها قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ ﴿أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي﴾.[1] وكذا قوله يوم غدير خم[2] ﴿يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه﴾[3] وفي رواية زيد بن أرقم قال: كنا بالجحفة فخرج رسول الله إلينا ظهرا وهو آخذ بعضد علي رضي الله عنه، فقال: يأيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه﴾.[4]

---

١ أخرجه البخاري في المناقب حديث ٣٤٣٠، وفي المغازي حديث ٤٠٦٤، ومسلم في الفضائل ٤٤١٨، ٤٤١٩، ٤٤٢٠، ٤٤٢١، والترمذي في المناقب ٢٩٢٥، ٣٦٥٨، ٣٦٦٤، وابن ماجة في سننه حديث ١١٢، ١١٨، وأحمد في مسنده حديث ١٤٢٧، ١٤٠٨، ١٤٢٣، ١٣٨٤، ١٤٦٥، ١٥٢٢، ١٤٥٠، ١٤٩٨، ١٥١٤

٢ غدير خم، موضع بئر ماء قريب من رابغ وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة حيث ميقات الإحرام لأهل مصر ومن مر به

٣ أخرجه أحمد في مسنده

٤ أخرجه أحمد في مسند زيد بن أرقم حديث ١٨٤٧٦ وأخرجه الترمذي في المناقب حديث ٣٦٤٦، وقال: حديث حسن غريب

كما ورد في مناقب علي رضي الله عنه حديثا يدل على عظم شأنه ورفعة قدره، فقد قال رسول الله ﷺ يوم خيبر ﴿لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، (وفي رواية فتطاولنا لها) فلما كان الغد دعا عليا، وهو أرمد فتفل في عينه وأعطاه الراية (وفي رواية ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ﴾.[1]

والناظر إلى هذه المناقب عليه أن يدرك أن هناك الكثير من المناقب لعلي ولغيره من الصحابة، وليس معنى ذكر فضيلة من فضائل أحد الصحابة أنه أعلى شأنا من غيره، وليس فيما ورد في السنة أي إشارة إلى اختصاص علي بالعلم الباطن، ونناقش فيما يلي ما يستدل به القوم على ادعائهم.

أولا: علي والصحيفة

ترجع نشأة فكرة اختصاص علي بن أبي طالب بالعلم الباطني إلى اليهودي عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء لعنه الله حيث وضع نظرية حاجة الدين إلى وصي يعين بالوحي، وأن وصي هذه الأمة علي بن أبي طالب، وهذا موضوع سنتعرض له بالتفصيل في الكتاب الثالث من هذه السلسلة بتوفيق الله تعالى، وقد جاهر الشيعة والباطنية بهذه العقيدة، بل وجعلوها محور دينهم، ولم يتوقفوا عند ذلك بل راحوا يلعنون أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما، بينما توافقهم الصوفية في فهمهم هذا دون أن يسبوا الشيخين، وبالرغم من غلوهم في علي رضي الله عنه، إلا أن مشايخ الصوفية لا يعلنون تفضيل علي على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، بينما هم عمليا يرون التصوف أرقي من الشريعة، والصوفية أو الفقراء كما يحلو لهم أن يسموا أنفسهم، أعظم قدرا وجاها من علماء الشريعة أو علماء الرسوم كما يسمونهم، ومن الملاحظ أن سندهم في الطريق يمر خلال سلسلة من المشايخ حتى تصل إلى النبي ﷺ عن طريق علي بن أبي طالب، ولم تظهر دعوى اختصاص آل البيت بالعلم الباطني بعد وفاة علي بن أبي طالب، وإنما ظهر هذا الفهم في حياة علي رضي الله عنه نفسه بل رآه بعينه، حيث نشأ مع أحداث الفتنة كما سنبين تفصيلا في كتابنا التالي، لذلك سارع كثير من التابعين منهم: أبي جحيفة وقيس بن عبادة والأشتر إلى أمير المؤمنين علي

---

١ حديث بريدة بن الحصين رواه النسائي في السير من سننه الكبرى على ما في تحفة الأشراف ٩٢:٢، وحديث سعد بن أبي وقاص أخرجه أحمد في مسنده حديث ١٥٢٢، ومسلم ٤٤٢٠، والترمذي في المناقب ٣٦٥٨، وابن ماجة في المقدمة ١١٨

رضي الله عنه يسألونه عن هذه الفرية وما أصلها، وما هو العلم الذي خصه به النبي ﷺ؟

ولا شك أن إجابة علي بنفسه قطعت دابر المغالين، ونفت أي فهم يخالف ما صرح به في هذا الشأن، فقد روي البخاري عن أبي جحيفة قال: "قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ (وفي رواية): هل عندكم شيء من الوحي؟

وفي رواية): هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟

(وقال مرة): هل عندكم شيء ما ليس عند الناس؟

(وفي رواية): هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟

فقال: لا والذي فتق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه؟

(وفي رواية ثانية): ما عندنا إلا ما في القرآن،

(وفي رواية ثالثة): لا إلا كتاب الله، أو فهما يعطيه الله رجلا في القرآن،

(وفي رواية رابعة): أو فهم أعطيه رجل مسلم، إلا أن يُعْطِى الله ﷻ عبدا فهما في كتابه، أو ما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: فيها العقل، وفِكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر".[1] وفي رواية أخرى عن قيس بن عبادة قال انطلقت أنا والأشتر إلى علي رضي الله عنه، فقلنا: هل عهد إليك نبي الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس عامة؟ قال: "لا إلا ما كان في كتابي هذا، فأخرج كتابا من قراب (أي جراب) سيفه، فإذا فيه: المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يُقْتَلُ مؤمن بكافر، ولا ذو عهد بعهده، من أحدث حدثا فعلى نفسه، أو آوى مُحْدِثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"

(وفي رواية أخرى) قال: وإذا فيها: إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم المدينة، حرم ما بين حرتيها وحماها كله، لا يُختلى خلاها، ولا يُنفّر صيدها، ولا تُلتقط لُقْطتها، إلا لمن أشا،

---

١ أخرجه الحميدي في مسنده حديث ٤٠، وأحمد في مسنده ١:٧٩ حديث ٥٩٩، وفي ١:٨١، ١:١٠٠، ١:١١٩، ١:١٢٦، ٢:٣٣٢، والدارمي في سننه حديث ٢٣٦١، أخرجه البخاري في ثمان مواضع في صحيحه: في كتاب الحج حديث ١٧٣٧، وفي الجهاد والسير ٢٨٢٠، وفي الجزية والموادعة ٢٩٣٦، ٢٩٤٣، وفي الفرائض ٦٢٥٨، والديات ٦٣٩٤، ٦٤٠٤، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة ٦٧٥٦ ترقيم العالمية، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج ١٣٧٠، وأبي داود في المناسك ٢٠٣٤، ٢٠٣٥، وفي الديات ٤٥٣٠، والترمذي في الديات ١٤١٢، وفي الولاء والهبة ٢١٢٧، والنسائي في القسامة ٤٧٤٤، وابن ماجة في سننه في كتاب الديات ٢٦٥٨

بها، ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره، ولا يحمل فيها السلاح لقتال، قال: وإذا فيها: "المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده".[1]

---

١ أخرجه أحمد في مسنده ١٢٢:١ حديث ٩٩٣، وأبو داود ٤٥٣٠، والنسائي ١٩:٨، وأخرج الرواية الأخرى أحمد ١١٩:١، ٩٥٩، وعبدالله بن أحمد في زوائده ١٢٢:١، ٩٩١، والنسائي ٢٠:٨، ٢٤

ثانيا: علي يرد دعاوى الباطنية

ينفي علي بن أبي طالب رضي الله عنه مزاعم شيعته باختصاصه بعلم باطني دون الصحابة، وكم كان قوله دقيقا فليس الأمر علما مغايرا لما عليه الناس إنما هو فهم في دين الله ﷻ وهذا هو نفس الوصف القرآني في قصة داود وسليمان عليهما السلام وحكمهما في قضية الغنم والحرث، حيث أصاب سليمان في حكمه، وبهذا أخبرنا ربنا ﷻ: ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾.[1] يقول القرطبي ففهمناها سليمان أي فهمناه القضية والحكومة،.. وحملوا قوله: ﴿ففهمناها سليمان﴾ على أنه فضيلة له على داود، وفضيلته راجعة إلى داود، والوالد تسره زيادة ولده عليه".[2] فالأمر لا يعدو أن يكون قد دون في صحيفة بعض الأحكام التي سمعها - هو وغيره من الصحابة - من النبي ﷺ وقد قرأ عليّ بعض هذه الأحكام على من سأله، حتى يتأكد الناس إلى يوم القيامة من عدم وجود علم باطني يختزنه علي وَيُسِرُّهُ إلى بعض الناس، وحتى يكذب دعوى اختصاصه بشيء دون غيره، لذا فإن صحيفة علي بن أبي طالب دونها بعد وفاة رسول الله ﷺ. وإلا لقال علي أمرني النبي بكتابتها.

كما يحتج الباطنيون أيضا بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله".[3] ويشرح ابن حجر هذا الحديث وغيره فيقول: "حدثوا الناس بما يعرفون أي يفهمون، (وفي رواية ودعوا ما ينكرون) أي ما يشتبه عليهم فهمه،.. وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" رواه مسلم في المقدمة في باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة في (حديث) الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه: أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك

---

١ سورة الأنبياء آية ٧٩

٢ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٤٨

٣ انفرد به البخاري في كتاب العلم حديث رقم ١٢٤ ترقيم العالمية

أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم".[1]

ومن العجيب أن الصوفية حينما يريدون إثبات العلم الباطني يسوقون موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه للوحي، وحينما يذكرون سلسلة مشايخهم في الطريق فإن أغلبها ينتهي إلى علي بن أبي طالب وحده.

---

١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٨٢:١

الفصل الثاني: خصوصيات بعض الصحابة

أولا: مناقب عدد من الصحابة

إن المتتبع لأحاديث رسول الله ﷺ التي تتناول تميز بعض الصحابة في أمور الدين، فإننا لا نجد فيهم علي رضي الله عنه، وليس هذا انتقاصا من شأنه عن غيره من الصحابة، ولكن هذه سنة رسول الله ﷺ والتي نجد فيها ما يلي: عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: ﴿إني لا أدري ما (وفي رواية ما قدر) بقائي فيكم:

فاقتدوا بالذَين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه﴾.[1]

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أرحم أمتي بأمتي: أبو بكر، وأشدهم في أمر الله: عمر، وأصدقهم حياء: عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، وأفرضهم (أي أعلمهم بعلم الفرائض وهو المواريث): زيد بن ثابت، وأقرؤهم (وفي رواية لكتاب الله): أُبَيّ بن كعب﴾.[2]

ثانيا: أبو عبيدة أمين الأمة

وللحديث السابق بقية تخصص أبو عبيدة بن الجراح بمرتبة سامية من بين أصحاب رسول الله ﷺ. ألا وهي الأمانة، وما خشيت السموات والأرض والجبال من الأمانة إلا لعظمها وخطورة أمرها، وهنيئا لأبي عبيدة بن الجراح أن يصفه رسول الله بأنه أمين هذه الأمة بما فيها أبو بكر وعمر وباقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والحديث يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح﴾.[3]

---

١ أخرجه الترمذي في المناقب ٣٥٩٥، ٣٥٩٦، ٣٧٣٥ وقال حديث حسن، وابن ماجة في المقدمة ٩٤

٢ أخرجه البخاري في المناقب ٣٤٦١، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٤١٩، والترمذي في المناقب ٣٧٢٣، ٣٧٢٤، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة في المقدمة ١٥١، ١٥٢، وأحمد في مسنده ٣:١٢٥، ١٣٣، ١٤٦، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٩، ٢١٢، ٢٤٥، ٢٨١، ٢٨٦

٣ أخرجه البخاري في المناقب ٣٤٦١، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٤١٩، والترمذي في المناقب ٣٧٢٣، ٣٧٢٤، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة في المقدمة ١٥١، ١٥٢، وأحمد في مسنده ٣:١٢٥، ١٣٣، ١٤٦، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٩، ٢١٢، ٢٤٥، ٢٨١، ٢٨٦

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لكل أمة أمين وأبو عبيدة أمين هذه الأمة﴾.[1]

ثالثا: عبدالله بن عمرو يدون الأحاديث

ومما هو ثابت تاريخيا أن رسول الله ﷺ نهى أصحابه أن يدونوا عنه السنة أو يكتبوا أحاديثه في حياته، خشية اختلاط كلامه مع كلام رب العالمين، ولم يأذن لأحد إلا عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، كما يروي عن نفسه حيث قال: ﴿قلت يا رسول الله: إني أسمع منك الشيء، فأكتبه، قال: نعم، قلت: في الرضا والغضب، قال: نعم، فإني لا أقول فيهما إلا حقا﴾.[2] وليس معنى هذا أن يري الناس عبدالله بن عمرو يقرأ ما دونه عن النبي ﷺ فيقولون هذا علم باطني اختص به عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

رابعا: أبو ذر وصدق اللهجة

يروي عبدالله بن عمرو بن العاص وأبو الدرداء رضي الله عنهما خصوصية لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه سمعاها وغيرهما من الصحابة من النبي ﷺ يقول فيها: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، من رجل أصدق لهجة (من ذي لهجة أصدق) من أبي ذر﴾.[3]

خامسا: لكل نبي حواري

يروى عن علي بن أبي طالب وجابر بن عبدالله أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: ﴿إن لكل نبي حواري، وحواري الزبير﴾.[4] وروى جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿الزبير ابن عمتي، وحواريي من أمتي﴾.[5]

سادسا: من يعادي عمار؟

كان بين عمار بن ياسر وخالد بن الوليد كلام (اختلاف في أمر) فشكاه عمار إلى رسول

---

١ حديث أنس أخرجه أحمد في مسنده ١١٩٤٩

٢ حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وغيرهما

٣ أخرجه أحمد في مسنده حديث عبدالله بن عمرو رقم ٦٦٤١، وحديث أبي الدرداء رقم ٢١٧٨٣

٤ حديث علي بن أبي طالب رواه أحمد في مسنده ٦٨٢، ٦٨٣، وحديث جابر بن عبدالله أخرجه أحمد أيضا في مسنده ١٣٩٦٦

٥ حديث جابر بن عبدالله أخرجه أحمد في مسنده ١٣٩٦٥

الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ﴿إنه من يعاد عمارا يعاده الله ﷻ ومن يبغضه يبغضه الله ﷻ ومن يسبه يسبه الله ﷻ ﴾.[1]

سابعا: شهادة خيثمة

ابتاع النبي ﷺ فرسا من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبي ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الإعرابي يساومون بالفرس، لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، حتى زاد بعضهم الإعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه، وإلا بعته، فقام النبي ﷺ فقال: أوليس قد ابتعته منك؟ قال الأعرابي: لا والله ما بعتك.

فقال النبي ﷺ : بلى قد ابتعته منك، فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي، وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أني بعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقا، حتى جاء خزيمة، فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أني بعتك، قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة، شهادة رجلين ﴾.[2]

فلو كانت دعاوى الشيعة والصوفية صحيحة، فلم خلت هذه الأحاديث من الإشارة إلى اختصاص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالعلم الباطني أو الأسرار التي لا يعلمها غيره. وكيف يحدد الرسول خصوصيات أصحابه، أبو عبيدة أمين الأمة، والزبير حواري النبي، ولا أحد يدون أحاديث رسول الله ﷺ في حياته سوى عبدالله بن عمرو، وأصدق الناس لهجة أبا ذر، وأقرؤهم أُبي، وعلى الصحابة أن يهتدوا بهدي عمار، ويتبعوا أبا بكر وعمر، وأكثرهم علما بالفرائض زيد بن ثابت، وأعلمهم بالفقه والحلال والحرام معاذ بن جبل، وأكثرهم حياء ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

والسؤال الذي يطرح نفسه أين اختصاص علي بن أبي طالب بعلم الباطن أو التصوف بين هؤلاء؟ وأين حجة هؤلاء المغالين في علي رضي الله عنه؟ والجواب أن دعواهم كذب وافتراء على الله ورسوله ﷺ. وإذا قالوا: إن رسول الله ﷺ لم يكن ليخصص عليا بشكل

---

١ أخرجه أحمد في مسنده ١٦٣٨٠

٢ حديث خز . ،خرجه أحمد في مسنده ٢١٣٧٦

علني وهو ابن عمه، حتى لا يزداد تحفظ العرب - بقبليتهم المعروفة - على دعوته، نقول: إن هذه الدعوى ينقضها تخصيص الزبير أنه حواري الأمة، وفي الحديث :﴿الزبير ابن عمتي، وحواريي من أمتي﴾

وقبل أن ننهي هذا الفصل ينبغي التنبيه عن حديث انتشر بين الصوفية، وهو في حقيقته حديث موضوع يزعمون فيه أن رسول الله ﷺ اختص أبا بكر بعلم باطني، ولم يكن يعلمه عمر رضي الله عنه، فقد روى بعض الكذابين أخبارا يزعمون فيها اختصاص بعض الصحابة بأسرار لا يعلمها غيرهم، ومن ذلك ما يروى عن عمر أنه قال: "كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان وكنت بينهما كالزنجي".[1]

---

١ يقول ابن تيمية رحمه الله: هذا من أظهر الأكاذيب المختلقة لم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من كتب أهل العلم، وهو من أظهر الكذب، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة حديث ١٧ بصفحة ٣٣٥

الفصل الثالث

حذيفة
وعلم النفاق

١- اهتمام حذيفة بمعرفة الفتن
٢- حذيفة يكشف السر
٣- النفاق والمنافقين
* القرآن يفضح النفاق
* السنة تحدد علامات المنافقين



الفصل الثالث: حذيفة وعلم النفاق

أولا: اهتمام حذيفة بمعرفة الفتن

اشتهر بين الناس وصف حذيفة بن اليمان أنه صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلمه غيره، فقد قَدِمَ أبو الدرداء إلى الشام فجلس إلى إبراهيم بن علقمة وقال له: ممن أنت؟ قال: من الكوفة. قال: أو ليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوسادة والمطهرة، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان (يعني على لسان نبيه ﷺ) أو ليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلمه أحد غيره".[1] ويفسر العلماء سبب هذه تسمية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بهذا الاسم بعدة أمور منها:

١- أن النبي ﷺ أسر إليه عام تبوك بأسماء جماعة من المنافقين أرادوا أن يَحِلُّوا حِزَام ناقة النبي ﷺ بالليل ليسقط عن بعيره فيموت، وأنه أُوحي إليه بذلك، وكان حذيفة قريبا منه فأسر إليه أسمائهم، ولم يفضحهم النبي ﷺ لأنهم لم يُحَوِّلُوا نيتهم إلى فعل، حتى يخضعوا لحكم الشرع في معاقبتهم.

٢- أن حذيفة رضي الله عنه سمع يوما المنافقين في خلوة لهم يسبون رسول الله ﷺ فقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير: "أن المنافقين كانوا إذا خلوا سبُّوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين، فنقل حذيفة إلى رسول الله ﷺ بعض ذلك، فحلفوا ما قالوا شيئا، فنزلت هذه الآية: ﴿يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم، وهموا بما لم ينالوا﴾.[2]

٣- ولا ننسى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان شغوفا بالسؤال عن الفتن والشر مخافة أن يقع فيه، وقد أخبر عن نفسه فقال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني".[3] وبذلك تجمعت عنده حصيلة من المعلومات عن الفتن وأشراطها وعلاماتها.

---

١ أخرجه البخاري في مناقب عمار وحذيفة حديث ٣٤٥٩، ٣٤٦٠، وأحمد في مسنده ٤٤٩:٦ حديث رقم ٢٧٦٠٨، وقد أخرجه مسلم والترمذي دون ذكر عبارة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره

٢ سورة التوبة آية ٧٥

٣ متفق عليه أخرجه مسلم حديث ٣٤٣٤، والبخاري ٣٣٣٨، وابن ماجة ٣٩٦٩، وأحمد في مسنده ٣٨٦:٥ /٣٩٢ /٣٩٣

وقد اشتهر بين كثير من الناس أن عمر بن الخطاب لم يكن يصلي على أحد حتى يصلي عليه حذيفة رضي الله عنهما، ويروون أخبارا في ذلك منها: عن حميد بز هلال قال: أُتي عمر بن الخطاب برجل (مات) يُصلي عليه فدعا بوضوء ليصلي عليه، وعنده حذيفة فَمَرَزَهُ[1] مرزة شديدة، فقال عمر: اذهبوا فصلوا على صاحبكم (من غير أن يُخْبره)، فقال عمر: يا حذيفة! أمنهم أنا؟ قال: لا، قال: ففي عمالي أحد منهم؟ قال: رجل واحد، وكأنما دل عليه حتى نزعه من غير أن يُخْبِره".[2]

وعن زيد بن وهب قال: مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة، فقال له عمر: أمِنَ القوم هذا؟ قال: نعم، قال: بالله أمنهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به بعدك أحدا".[3]

فهذا ليس فيه شيء من علوم الباطن كما سنوضح تفصيلا، ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر،فحذيفة نفسه ينفي هذا الأمر ويشرح السر الذي ينسبونه إليه، كما أن علم النفاق ليس سرا، فإن الله قد ذكر في كتابه، كما أخبر النبي ﷺ في سنته صفات المنافقين وأخبارهم كما سنبينه فيما يلي:

---

١ فمرزه أي قرصه بأصابعه لئلا يصلي عليه

٢ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علي المتقي بن حسام الدين الهندي ٣٤٣:١٣ حديث ٣٦٩٦١ ورواه رستة في الإيمان

٣ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علي المتقي بن حسام الدين الهندي ٣٤٤:١٣ حديث ٣٦٩٦٢ ورواه رستة في الإيمان

ثانيا: حذيفة يكشف السر

يقول حذيفة رضي الله عنه: "لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغترف (ماءً)، فحدثتكم بكل ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل".[1] ربما يحاول الباطنية أن يستندوا على مثل هذا الخبر، ولكن حذيفة لا يترك لهم المجال حيث يروى ابن عساكر في الكتاب تحديد حذيفة للسر الذي يحمله حيث يقول: لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم؟

فنظر إليه شاب فقال: من يُصدِّقك إذا كَذَّبك ثلاثة أثلاثنا؟

فقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر، فقيل له: وما حملك على ذلك؟ فقال: إنه من اعترف بالشر، وقع في الخير".[2]

يحدد لنا حذيفة الأمر بوضوح فكثرة سؤاله عن الشر لم تذهب سدى، فقد أجابه الصادق المصدوق عن الشر وأحداثه والفتن ومواقعها، فإذا خاطب الناس بما يعرف ما تركه الظلمة والطغاة والجبارين،ولا أعوانهم ممن يستخدمون أساليب التصفية الجسدية - حسب المفهوم المعاصر للقتل - وما قصد حذيفة بهذه الإجابة أنه يعلم أسرار الربوبية التي لو أذاعها تنتفي النبوة، كما يزعم الصوفية، فلو فرضنا جدلا أن حذيفة كان يقصد أنه علم العلم الباطن الذي يخالف الشريعة، وأنه لو أذاعه لكَفَّره الناس، فإن إفشاءه لهذه الأسرار لا يقتله قبل أن يبلغ الماء إلى فمه، وإنما سيطبق عليه أحكام المرتد وبالتالي يحبس ويستتاب ويناظره أصحاب النبي ﷺ. أما أن يضمن حذيفة القتل الفوري حتى أن الماء الذي في يده لن يصل إلى فيه فليس له إلا معنى واحد وهو: أنه سيُقتل قبل أن يستكمل كلامه، لأنه سيزعزع سلطة الحاكم، ويكشف أعوان الظالم وهم لا يتأخرون عن إراقة دم صحابي جليل في سبيل العرش. وكثير من الحكام لا يحركون ساكنا إذا انتهكت حرمات الدين، أو ظهرت البدع والأهواء في المعتقدات والسلوك، والذي لا يختلف حوله اثنان، أن رد فعل الحاكم لحماية ملكه، أسرع مئات المرات من رد فعله لنصرة دين الله، والدليل على قولنا هذا هو مئات بل الآف المنحرفين عن الدين طوال تاريخ الإسلام، الذين حاولوا هدم كثير من مفاهيم الدين

---

١ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علي المتقي بن حسام الدين الهندي ٣٤٤:١٣ حديث ٣٦٩٦٩ ورواه يعقوب بن سفيان عن ابن عساكر

٢ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علي المتقي بن حسام الدين الهندي ٣٤٤:١٣ حديث ٣٦٩٦٨ ورواه ابن عساكر عن أبي البختري

البسيطة بأفكار ونظريات ما أنزل الله بها من سلطان، كالوصاية على الدين، والغلو في الأئمة والأقطاب والباب وعلم الدورة والتناسخ، والقول بالفناء والبقاء ووحدة الوجود والوجود المطلق والحقيقة المحمدية، أمثال: البسطامي وابن عربي والحكيم الترمذي وابن سبعين والجيلي وغيرهم حتى الحلاج قتله الناس بعد أن استفحل أمره وحبسوه وأقاموا عليه الحجة وما قتله أحد قبل أن يبلغ ما في يده إلى فمه. ومن لا يوافقنا على استنتاجنا هذا فليبحث في تاريخ الإسلام عن رجل نطق بمعاني باطنية أو أفكار كفرية لأول مرة، فقتل من فوره قبل أن يشرب وهو على شاطئ النهر. والله تعالى أعلم.

ويزداد الأمر وضوحا حينما يقرر حذيفة بن اليمان رضي الله أن ما عنده من علم، لم يتلقاه سرا عن النبي ﷺ بل هو علم عام قاله رسول الله ﷺ في خطبة عامة قال فيها:

﴿قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه﴾.[1]

---

١ رواه أحمد في مسنده ٢٢٧٧٠، ٢٢٨٩٦

ثالثا: النفاق والمنافقون

١- القرآن يفضح النفاق

واجه القرآن المدني مشكلة النفاق من يومه الأول، فمن المعروف أن سورة البقرة هي أول ما نزل في المدينة المنورة، ويقول مجاهد: "نزلت أربع آيات من سورة البقرة في المؤمنين، واثنتان في نعت الكافرين، وثلاث عشر آية في المنافقين"،[١] تبدأ بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ [٢] الآية. وقد تتابع نزول القرآن الكريم في المدينة المنورة وآياته تزداد كشفا لأحوال المنافقين، وتصف أساليبهم حتى يجنب المؤمنون شرهم، ويأخذوا منهم حِذرهم، ومنها الآيات:

* أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالصبر على أذى الكفار والمنافقين في أول الدعوة بقوله: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم﴾.[٣] فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأنزل الله سورة براءة، قال فيها: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾.[٤] وقال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ إلى قوله تعالى ﴿أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾.[٥] فلما رأى مَنْ بقي من المنافقين ما صار الأمر إليه من عز الإسلام، وقيام الرسول بجهاد الكفار والمنافقين كتموا حقدهم ونفاقهم في قلوبهم، فلم يكن يُسْمَع من أحد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء، وماتوا بغيظهم، حتى بقي منهم أناس بعد موت النبي ﷺ يعرفهم من بقي من الصحابة رضي الله عنهم.

* يقول الحق تبارك وتعالى في سورة محمد: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يُخْرِجَ الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول،

---

١ القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة البقرة ١٦٧:١، رواه ابن جريج عن مجاهد

٢ سورة البقرة الآية ٨ - ٢٠

٣ سورة الأحزاب آية ٤٨

٤ سورة التوبة آية ٧٣

٥ سورة الأحزاب آية ٦٠ - ٦١

والله يعلم أعمالكم﴾.[1] قال أنس رضي الله عنه: "فلم يَخْفَ منافق بعد هذه الآية على النبي ﷺ عرّفه الله ذلك بوحي أو علامة عَرَفها بتعريف الله إياه".

حتى إذا نزلت آخر سورة من القرآن وهي التي سميت بسورة "التوبة"، والتي فَصَّلَت شأن المنافقين، وأظهرته على أكمل وجه، ولذلك فقد تعددت تسميات هذه السورة حتى بلغت تسعة أسماء وكل اسم له دلالة تفيدنا في بحثنا هذا منها: سورة "التوبة"، وسورة "العذاب"، قاله حذيفة، وسورة "المُقَشقشة" قاله ابن عمر، وسورة "البَحوث"، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود، وسميت "الفاضحة"، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس، وسميت "المبعثرة"، لأنها بعثرت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد وابن إسحق، كما سميث "المثيرة"، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة، وسميت "الحافرة"، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج (وروي نحوه عن الحسن)[2] وغير ذلك من الأسماء.

لكن القرآن لم يذكر فلانا وفلانا من المنافقين بالاسم، فليس دور القرآن أن يكشف خبايا أفراد بعينهم، أو يعلن أسماء المنافقين على الناس، بل الأهم والأنفع والأبقى أن يضع أحوال المنافقين تحت المجهر، فيشرح لنا أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، وهذه أمور لن تتغير إلى يوم القيامة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولكن نزول سورة "براءة" عَرَّفت المؤمنين أن فلانا وفلانا من المنافقين الموصوفين في آيات هذه السورة الفاضحة، كان ذلك بمنزلة تعريفه ﷺ أن فلانا وفلانا من المؤمنين الموعودين بالجنة، فإخباره أن أبا بكر وعمر وغيرهما في الجنة، كإخباره أن أولئك منافقون. كما أن كثيرا من المنافقين كانوا معروفين بالاسم في عهد النبي ﷺ.

ويؤكد هذا الفهم ما رواه البكائي عن غزوة تبوك حين افتقد الناس الماء، يقول: قال ابن إسحق: "فلما أصبح الناس، يعني من يوم الحِجْر، ولا ماء معهم، دعا النبي ﷺ فأرسل الله سحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، فحدثني عاصم، قال: قلت لمحمود بن لبيد، هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟

قال: نعم والله، لقد أخبرني رجال من قومي، عن رجل من المنافقين، لما كان من أمر

---

١ سورة محمد آية ٣٠

٢ أبو الفرج بن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير ٣٨٩:٣

الحِجْر ما كان، دعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة، فأمطرت، قالوا: أقبلنا عليه (أي على الرجل المنافق الذي يعرفونه) نقول: ويحك، هل بعد هذا شيء؟ قال (أي المنافق): سحابة سائرة"[1].

٢- السنة تحدد علامات المنافقين

وكالعهد دائما تزيد السنة النبوية الأمر إيضاحا وبيانا، فقد بين النبي ﷺ آيات المنافقين وعلاماتهم في أحاديث متواترة منها:

﴿أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها﴾.[2] وفي رواية أخرى:

﴿آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف﴾.[3] وهذه العلامات لا تفارق المنافقين في أي زمان ومكان، فالمنافق لا تصدق حديثه، فالكذب أحب إلى قلبه من الصدق والصراحة، والخيانة أقرب إلى قلبه من الأمانة، وكأنه جُبل على الخيانة، ولهذا يقول الحكماء: "ما خان أمين قط، ولكن أئتمن خائن فخان، والوفاء بالعهد والالتزام بالمواثيق من خصال الإيمان، لا يستطيع قلب المنافق أن يتمسك بوعده، بل تراه يتحين الفرص ليفلت مما عاهد عليه الناس ورب الناس، كما أن المؤمن إذا خاصم تلطف مع خصمه، وبدأ بالتماس العذر، ثم يغلبه تسامح قلبه، وعفة نفسه، فلا تراه يكثر العتاب، وسريعا ما تصفو نفسه، ويسارع في العفو عما سلف، أما المنافق فغضبه يزداد مع الوقت وتدبيره ينحدر إلى أهوى الدركات، فخصامه لابد وأن يوصله إلى الفجور، وإذاعة الأسرار، وهتك الحرمات والأستار، فهو عنيف في ردود أفعاله، لا يهدأ إذا ذكره أحد بربه، أو ذكره أحد بأيام صفائه ووداده.

ومن سمات المنافق ما علمناه رسول الله ﷺ حيث يقول: ﴿من مات ولم يغز ولم يُحدث

---

١ نقلا عن المغازي للإمام الذهبي في غزوة تبوك.

٢ حديث عبدالله بن عمرو: متفق عليه أخرجه البخاري حديث ٢٩٤٢، ومسلم حديث ٨٨، وأبو داود حديث ٤٠٦٨، والترمذي في سننه ٢٥٥٦، والنسائي ٤٩٣٤، وأحمد في مسنده ٢: ١٨٩/ ١٩٨/ ٢٠٠

٣ حديث أبي هريرة: متفق عليه أخرجه البخاري حديث ٢٤٨٥، ومسلم حديث ٨٩، ٩٠، والترمذي في سننه ٢٥٥٥، والنسائي ٤٩٣٥، وأحمد في مسنده ٢: ١٣٥/ ٣٩٧

به نفسه مات على شعبة من نفاق ﴾.[1]

فالمنافق إذن تكشفه خصاله، وتفضحه أحداث الحياة اليومية، فالمرء بين قول يقوله، أو وعد يقطعه، أو خلاف يطرأ مع أصحابه، أو أمانة من قول أو عرض أو غير ذلك من صور الأمانات التي لا تعد ولا تحصى، ومن هنا عالج القرآن والسنة موضوع النفاق بأفضل صورة ممكنة، وبالتالي أصبحت معرفة أسماء المنافقين ليست سرا باطنيا كما يزعم الناس، وإنما فهما واضحا في نصوص الكتاب والسنة خاصة إذا كان صاحب هذا الفهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، الذي لم يشغله من أمر الدين شيء كما شغلته الفتن وأحداث الشر ومقدمات الملاحم وما يترتب عليها.

---

١ حديث أبو هريرة أخرجه مسلم حديث ٣٥٣٣، وأبو داود حديث ٢١٤١، والنسائي في سننه ٣٠٤٦

الفصل الرابع

النفاق مكشوف
في مجتمع المدينة

* عبدالله بن أُبي
* حرقوص بن زهير
* الجُلاس بن سويد منافق تائب
* زيد بن اللصيت
* وديعة بن ثابت
* تخلف المنافقين عن تبوك
* المنافقون يمنعون الزكاة
* مؤامرات المنافقين
* النبي يكشف المنافقين



الفصل الثالث: النفاق مكشوف في مجتمع المدينة

يعتقد كثير من الباطنية أن أمر النفاق كان سرا لا يعلمه سوى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهذا فهم غير صحيح، فإننا إذا تتبعنا كتب التاريخ والسيرة وكتب السنة، نجد المنافقين معروفين بالاسم، ولا يختلف أحد عليهم، وسنضرب أمثلة لتأكيد هذه الحقيقة فنقول - وبالله تعالى التوفيق - من المنافقين المشهورين:-

* عبدالله بن أُبي

يَعْرِف المسلمون في عهد النبي ﷺ أن عبدالله بن أبي هو رأس النفاق والمنافقين، حتى أنه عندما مات طمع ابنه عبدالله في حلم النبي ﷺ ورأفته فجاءه يرجوه أن يستغفر لأبيه فكان من أمرهما ما ترويه كتب السنة، يقول عبدالله: ﴿يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له، فأعطاه النبي ﷺ قميصه فقال: آذني أصلي عليه، فآذنه فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه، فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين، قال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة، فلن يغفر الله لهم﴾.[1] فصلى عليه فنزلت: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا، ولا تقم على قبره﴾.[2] وتثبت هذه الواقعة أن رأس النفاق معروف بين الناس، ولا يجد الفاروق عمر أي غضاضة أن يتهم الرجل بعد موته بالنفاق، وأمام ولده الذي لم ينفي التهمة عن أبيه، وإنما أراد أن يشفع له النبي ﷺ.

* حرقوص بن زهير

وروى جابر بن عبدالله وأبو سعيد الخدري أن ذا الخويصرة وهو حرقوص بن زهير أتى رسول الله ﷺ بالجِعِرَّانة مُنْصَرفَه من حنين، وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل لقد خِبتُ وخَسِرْتُ إن لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق، فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرءون

---

١ سورة التوبة آية ٨٠

٢ سورة التوبة آية ٨٤

القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية ﴾.[1] فذو الخويصرة يصفه الفاروق عمر بالنفاق في مجلس النبي ﷺ وبين أصحابه رضوان الله عليهم، فيؤكد النبي ﷺ ذلك، بل ويحذر أصحابه من أصحاب هذا الرجل وأنهم يخرجون من الدين ولا يعودون، وقد تحققت نبوءة النبي ﷺ فخرجت الخوارج وأفكار التكفير من نسل هذا المنافق وأصحابه.

* الجلاس بن سويد المنافق التائب

كان الجلاس بن سويد زوجا لأم عمير بن سعيد، وكان عمير بن سعيد غلاما في السنة التاسعة من الهجرة، حين عزم رسول الله ﷺ على الخروج لتبوك، وقد أزمع المنافقون على التخلف عن شهود هذه الغزوة، فسمع عمير يوما الجلاس يقول: إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير، فقال عمير للجلاس: والله إنك لأحب الناس إلي، وأحسنهم عندي يدا (أي معروفا)، وأعزهم علي أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها إلي رسول الله لأفضحنك، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني، ولأحداهما أيسر من الأخرى، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ يخبره بمقولة الجلاس، فاستدعى النبي ﷺ الجلاس وسأله عما قال، فأنكر الجلاس واتهم عميرا بالكذب، وما لبث أن نزل الوحي على رسول الله ﷺ بقول الله ﷻ: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم، وهموا بما لم ينالوا، وما نقموا إلا أن أغناهم الله رسوله من فضله، فإن يتوبوا يك خيرا لهم، وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة، وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾.[2]

ولما انتهى أمين الوحي جبريل عليه السلام من تبليغ هذه الآية تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ثم أخذ بأذن عمير بن سعد رضي الله عنه، وقال له: ﴿وفت ذمتك يا غلام، وصدقك ربك ﷺ. حينئذ أحس الجلاس بافتضاح أمره، فأقبل على رسول الله ﷺ قائلا: استتب لي ربي، فإني أتوب إلى الله، وأشهد أن عميرا صادق﴾. لقد سارع الجلاس إلى التوبة واعترف بذنبه، ولو كابر وجادل وأنكر ربما استمر على نفاقه إلى يوم القيامة، ولأصبح من أعلام النفاق في المجتمع المدني.

---

١ متفق عليه أخرجه مسلم ١٧٦١، والبخاري ٢٩٠٥، وابن ماجة ١٦٨، وأحمد ٣٣٢:٣

٢ سورة التوبة آية ٧٤

* زيد بن اللُّصيت

حدث في غزوة تبوك أن ضلت ناقة رسول الله ﷺ فخرج أصحابه في طلبها، ويروي لنا ابن إسحق بقية الأحداث كما يلي: وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال له عَمارة بن حزم، وكان عَقَبِيًّا (أي شهد بيعة العقبة) بدريا (أي شهد بدرا)، وكان في رَحْلِه زيد بن اللصيت القينقاعي وكان منافقا، فقال زيد، وهو في رحل عمارة: أليس يزعم محمد أنه نبي، يخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: إن رجلا قال كذا وكذا، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها (أي على الناقة)، وهي في هذا الوادي في شِعب كذا، وقد حبستها شجرة بزمامها. فذهبوا فجاءوا بها. فذهب عمارة إلى رحله فقال: والله عجبٌ من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا. فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي.

فأقبل عمارة على زيد يَجَأُ (أي يُمسك) في عنقه ويقول: أي عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر، اخرج أي عدو الله من رحلي. وزعم بعضهم أن زيدا تاب بعد ذلك.

* وديعة بن ثابت

قال تعالى: ﴿يحذر المنافقين أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، قل استهزءوا إن الله مُخرج ما تحذرون، ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون﴾.[1] نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، قال الطبري وغيره عن قتادة: بينما النبي ﷺ يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا: انظروا هذا يفتح قصور الشام، ويأخذ حصون بني الأصفر! فأطلعه الله سبحانه على ما في قلوبهم، وما يتحدثون به، فقال: احبسوا علي الركب، ثم أتاهم فقال: قلتم كذا وكذا فحلفوا: ما كنا إلا نخوض ونلعب. يقول ابن عمر رضي الله عنهما رأيت قائل هذه المقالة وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة النبي ﷺ يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب".[2]

ويروي لابن إسحاق قال: قد كان رهط منهم وديعة بن ثابت، ومُخَشِّن ابن حُمَيْر. يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم إلى بعض: أتحسبون جِلاد

---

١ سورة التوبة آية ٦٥

٢ القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٠٣٦

(أي قتال) بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟ والله لكأنا غدا مُقَرَّنين في الحبال (أي أسرى) إرجافا وترهيبا للمؤمنين، فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أني أُقَاضَى على أن يُضرب كل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: أدرك القوم فقد اخترقوا (بمعنى هلكوا وفي بعض النسخ احترقوا) فسلهم عما قالوا، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون، فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فنزلت الآية، وختمت بقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم، نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾.[1] فقال مخشن بن حمير: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عُفِي عنه في هذه الآية: "مخشن، فتسمى عبدالرحمن، فسأل الله أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر.

وعندما يروي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هذه الواقعة، ألا يدل ذلك على أنهم يعرفون من أخبر به النبي ﷺ. وهذا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يصرح باسم واحد من المنافقين، ويعلن أنه وديعة بن ثابت، فأين إذن اختصاص حذيفة بأسماء المنافقين!

* تخلف المنافقين عن تبوك

بعد أن ذكرنا بعض المنافقين المعروفين بأسمائهم، نعرض الآن جماعة معروفة في المجتمع حيث تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ في ساعة العسرة يوم تبوك، وقد وصفهم القرآن الكريم بالنفاق قال تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾

فهذا كعب بن مالك يروي حال المدينة المنورة عندما تخلف عن غزوة تبوك فيقول: "فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء".[2] وكان عددهم يقارب التسعين رجلا، وبهذا أخبر كعب بن مالك في حديث حيث يقول: "ثم جلس للناس (أي رسول الله ﷺ بعد عودته من تبوك) جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا". لا شك أن الناس يعرفون كل من تأخر عن الخروج مع رسول الله ﷺ فالأسواق تعرفهم والجيران يشاهدونهم وقد خلت المدينة من رجالها، ولا يظن أحد

---

١ سورة التوبة آية ٦٦

٢ متفق عليه أخرجه مسلم حديث ٤٩٧٣، والبخاري ٢٨٥٨، وأبو داود ٤٠٦٦، والترمذي ٣٠٢٧، والنسائي ٧٢٣، وأحمد ٣:٤٥٤، والدارمي في سننه ١٤٨٠ وكلمة مغموصا أي متهما بالنفاق.

أن معرفة أسمائهم نوع من الأسرار وعلم البواطن.

* المنافقون يمنعون الزكاة

يقول الحق سبحانه: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون﴾.[1]

يروي العلماء منهم القرطبي وابن الجوزي عن الضحاك وغيره أن هذه الآيات نزلت في نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، ومتعب بن قشير. وقد اتخذ الإسلام من نفقات المنافقين موقفا واضحا قال تعالى: ﴿قل انفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم، إنكم كنتم قوما فاسقين، وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾.[2] فالمنافقون يصلون مع المسلمين، وعلامة نفاقهم أنهم يؤدون الصلاة وهم كسالى، ولا ينفقون عادة، وإذا اضطرتهم الظروف إلى الإنفاق، تراهم يتصدقون وهم كارهون.

* مؤامرات المنافقين

لم تتوقف مؤامرات المنافقين على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ وقد أشار القرآن إلى مؤمراتهم بقوله: ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ فيروي ابن الجوزي في تفسيره أن المنافقين هموا بقتل النبي ﷺ رواه مجاهد عن ابن عباس قال: والذي هم رجل يقال له الأسود، وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلا، هموا بقتله ليلة العقبة.[3] فهذا حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يعرف من المنافقين رجلا اسمه الأسود، ويحدد لنا سبب نفاقه، كما أن مقاتل يحدد من المنافقين خمس عشر رجلا.

* النبي يكشف المنافقين

اضطر رسول الله ﷺ أن يرد على نشاط المنافقين المتزايد في مجتمع المدينة، يقول أبو مسعود الأنصاري: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿إن

---

١ سورة التوبة آية ٧٥ - ٧٧

٢ سورة التوبة آية ٥٣ - ٥٤

٣ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي ٣:٤٧١

فيكم منافقين، فمن سميت فليقم، ثم قال: قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، حتى سمى ستة وثلاثين رجلا، ثم قال: إن فيكم أو منكم، فاتقوا الله، قال: فمر عمر على رجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه، فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال: بُعْدًا لك سائر اليوم ﴾.[1]

* أم سلمة تعرف المنافقين

كيف يعتقد الناس أن معرفة أسماء المنافقين كانت سرا، وهي مذاعة على منبر رسول الله ﷺ ويسمعها أكثر الصحابة. ولكن ليس من الإنصاف أن نطالب كل الصحابة بتتبع أسماء المنافقين وحفظها، كما أن الزعم بأن معرفة أسماء المنافقين أحد العلوم الباطنة هو قول أجوف يخلو من الحقيقة، وعلى افتراض أنه من العلم الباطن كما يحلو للباطنية أن يروجوا بين أتباعهم، فهو من الباطن الموافق للظاهر المحقق والمطابق له. ويؤكد ما ذهبنا إليه حديث يَسأَلُ فيه عمر بن الخطاب سيدتنا أم سلمة رضوان الله عليهما، نفس سؤاله لحذيفة فقد روى مسروق قال: دخل عبدالرحمن على أم سلمة رضي الله عنها فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أموت أبدا، فخرج عبدالرحمن من عندها مذعورا، حتى دخل على عمر، فقال له: اسمع ما تقول أمك، فقام عمر حتى أتاها، فدخل عليها فسألها، ثم قال: أنشدك الله أَمِنْهُم أنا؟ فقالت: لا ولن أُبَرِّىء بعدك أحدا ﴾.[2] فلو كان علم النفاق خاص بحذيفة ما سأل عمر أم سلمة نفس سؤاله له، ولكن شدة خوف عمر من ربه ﷻ - هو المسئول عن الأمة بكاملها - وهذا دافع كاف جدا لعمر رضي الله عنه ليكرر سؤاله للآخرين. هو ما دعاه إلى الإطمئنان من أكابر الصحابة عن سلوكه وسياسته وأسلوب إدارته للدولة الإسلامية الوليدة، وكيف يرونه بعيونهم، ولا سيما وهو يحمل على كاهله هموم أمته ولا يفارق عقله مسئوليته أمام ربه عن أحوال رعيته. إن إحساس عمر بن الخطاب بالمسئولية، وإدراكه لعظمها، جعلته يرفض ترشيح الصحابة لولده عبدالله بن عمر البار التقي لخلافته في إدارة الدولة وإمارة المؤمنين، ألا يدفع خوف كهذا صاحبه إلى أن يتحرى ويكثر من السؤال، حتى يطمئن قلبه على سلامة قراراته، وصدق نيته فيها. رحمك الله ياأبا حفص ورضي عنك، فقد أتعبت كل من حكم الناس بعدك.

---

١ حديث أبو مسعود الأنصاري رواه أحمد في مسنده حديث ٢١٨٤٣

٢ رواه أبو الفرج بن الجوزي في مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ١٦٠

الفصل الرابع: أبو هريرة وجرابي العلم

يزعم الصوفية أن النبي ﷺ قال: ﴿إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى، فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه، فإن الله ﷻ لم يحقره إذ آتاه إياه﴾.[1] وإسناد الحديث ضعيف جدا، ورواه راو متهم بوضع الحديث.

وأما الحديث المأثور: "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله، فإذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغرة بالله"، وذكر شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري عن شيخه يحيى بن عمار أنه كان يقول: المراد بذلك أحاديث الصفات.

أما حديث أبي هريرة الذي يقول فيه: "حفظت من رسول الله ﷺ جرابين (أي من العلم): فأما أحدهما فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم".[2] فهو حديث صحيح، "ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء، بل ولا فيه من حقائق الدين خردلة وإنما كان في ذلك الجراب: الخبر بما سيكون من الملاحم والفتن، فالملاحم هي الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن ما يكون بين المسلمين، ولهذا قال عبدالله بن عمر: "لو أَخْبَرَكم أبو هريرة: أنكم تقتلون خليفتكم، وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة، وإظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك وأعوانهم لما فيه من الإخبار بتغير دولهم".

ويشرح ابن حجر هذا الحديث بقوله: "حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه (أبو هريرة) على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم، وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضهم، ولا يصرح بهم خوفا على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة. قال ابن المنير: جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم، حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرا وباطنا، وذلك الباطن إنما حاصله

---

١ رواه أبو عبدالرحمن السلمي في الأربعين في التصوف من حديث إبي هريرة بإسناد ضعيف، والسلمي متهم بوضع الأحاديث للصوفية، ذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء في كتاب العلم ٣٥ وصرح الحافظ العراقي بتضعيفه عند تخريج أحاديث الإحياء، وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢: ٢٦٢ حديث رقم ٨٧٠، وقال عنه: حديث ضعيف جدا، وأشار بضعفه المنذري في الترغيب ١:٦٢

٢ انفرد به البخاري في كتاب العلم حديث ١١٧

الإنحلال من الدين.

ويستطرد ابن حجر قائلا: "وإنما أراد أبو هريرة بقوله قطع هذا البلعوم، أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، وتضليله لسعيهم.. وقال غيره: يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور (الذي إذا بثه) ما يتعلق بأشراط الساعة، وتغيير الأحوال، والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به".[1]

ومن ذلك أيضا ما أخرجه مسلم في صحيحه عن قيس بن عباد قال: قلنا لعمار بن ياسر: أرأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فإن الرأي يخطئ ويصيب، أو عهدا عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال: ﴿ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة﴾.[2]

وقد خلط كثير من الصوفية والباطنية حين فهموا مجموعة من الأحاديث والأخبار التي تنهى المرء أن يحدث بكل ما سمع، وبين الإشارة إلى غوامض الأشياء وعلوم الباطن، فكل ما روي في هذا الشأن: ما انفرد به البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله".[3] ويعلق عليه ابن حجر العسقلاني في شرحه فتح الباري فيقول: "وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة. فقد أنكر الحسن تحديث أنس بن مالك للحجاج بقصة العرنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء، بتأويله الواهي. وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم".[4]

كحديث أبي هريرة الذي يرفعه إلى النبي ﷺ الذي يقول فيه: ﴿كفى بالمرء كذبا أن يُحَدِّث بكل ما سمع﴾.[5] وكذا ما ورد عن عمر بن الخطاب وابن عمر رضي الله عنهما الذي يقولان فيه: "بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع".[6] وأيضا قول ابن مسعود

---

١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٧٤:١

٢ أخرجه مسلم في صحيحه حديث ٤٩٨٣، ٤٩٨٤، ٤٩٨٥، وأحمد في مسنده ٥: ٣٩٠

٣ انفرد به البخاري في باب من خص بالعلم قوم كراهية أن لا يفهموا حديث ١٢٤

٤ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٨٢:١

٥ أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المقدمة حديث ٦، وأبو داود في الأدب حديث ٤٣٤٠

٦ أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المقدمة

رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".[1]

وقد ذكر مسلم في نفس الباب ما يخصص المعني المراد هو خشية الكذب فينقل عن الإمام مالك أنه قال لابن وهب: "أعلم أنه ليس يَسْلَمُ رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع".

يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم: "وأما معنى الحديث والآثار التي في الباب ففيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق: أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثما، والله أعلم".[2] انتهى شرح النووي.

---

١ أخرجه مسلم في المقدمة في باب النهي عن الحديث بكل ما سمع

٢ صحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١:٧٥



ملخص الباب الخامس

١- لا أساس لدعاوي الباطنية باختصاص علي بن أبي طالب بعلم الباطن. وقد أثبتنا بالأخبار الصحيحة اختصاص عدد كبير من أصحاب رسول الله بأنواع من العلوم والفضائل تدل على علو شأن الصحابة الذين تخرجوا من مدرسة النبي ﷺ.

٢- علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة ينفون عن أنفسهم دعاوى الباطنية.

٣- صحيفة علي بن أبي طالب لا تتضمن علوما باطنية، وإنما هي محاولة لتدوين بعض ما سمعه علي عن رسول الله ﷺ بعد وفاته.

٤- صحيفة علي تماثل ما دونه عبدالله بن عمرو بن العاص بإذن رسول الله ﷺ.

٥- كذب دعوى اختصاص حذيفة بسر النفاق دون غيره من الصحابه، والأمر لا يتعدى إنشغال حذيفة أكثر من غيره بمعرفة الفتن وأحوالها، وأن ما يعرفه حذيفة يشاركه فيه كثير من الصحابة، وكل منهم يعرف ما نما إلى علمه من أحداث لها طرف مع النفاق.

٦- أمر النفاق والمنافقين مكشوف في مجتمع المدينة المنورة سواء على مستوى الأفراد بأعيانهم وأسمائهم، أو بتحديد صفاتهم وتصرفاتهم، الكتاب والسنة كشفهم، وأعمالهم بين الصحابة جعلتهم معروفين حتى اضطر رسول الله ﷺ يوما أن يحددهم على المنبر وينادي عليهم فيقفوا في المسجد يراهم الناس حتى يأمن الإسلام جانبهم.

٧- جرابي العلم الذي أشار إليهما أبو هريرة يحتويان أخبار الفتن التي ستظهر للناس، وليس فيهما علم باطني آخر، أو تأويل باطني يناقض ظاهر القرآن والسنة، ولا يوجد دليل أو برهان مع من يزعم هذه الأباطيل.

٨- من الخطأ أن يتبع الناس شيخا يظنونه وليا لمجرد أنه يصلي أو يفعل الصالحات، ولا ينبغي للمشايخ أن يتصدروا الناس ويلقنوهم العهود، ولا يجوز أن نُسلم لهم ونسمع لهم ونطيع في كل ما يقولون بلا سند من عقل أو نقل، إنما الغرض من اتباع الصالحين أن يدلوا أتباعهم على سنة رسول الله ﷺ. أما أن نتبعهم لنكون بهم جماعة أو طريقا صوفيا أو منهجا باطنيا، فهذا هو الضلال المبين.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب السادس

تقسيم الدين عند الباطنية

١- نظرية التأويل الباطني

٢- الشريعة والحقيقة عند الباطنية

٣- الشريعة عند الإسماعيلية

٤- الشريعة عند الدروز

٥- الشريعة عند العلويين

٦- التقسيم الصوفي لمراحل السلوك



الباب السادس: تقسيم الدين عند الباطنية

لقد مرق الباطنية بعقيدتهم حول الإمامة والإلهيات والنبوة من دين الإسلام، وأي محاولة لحسابهم على الإسلام إنما يقوم بها رجل حسن النية يجامل الناس على حساب الإسلام يريد أن يجمع بين المشرقين، أو رجل لا يعلم فهو معذور بجهله، وإليهما نسوق تحذير علماء الأمة من خطورة هذه الفرق،

ومنهم أبو الفرج بن الجوزي الذي يقول: "الباطنيون قوم عجزوا عن مقاومة الإسلام علنا، فقالوا سبيلنا أن ننتحل الإسلام، ونظهر الحزن على ما جرى لآل البيت، وذلك ليتمكنوا من شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة، فإذا هان أولئك عندهم أمكن استدراجهم عن الدين، فإن بقي منهم معتصم بالكتاب والسنة أوهموه أن تلك النصوص لها ظواهر وبواطن، وأن المتوقف عند ظواهرها من أهل العامة، وأهل الخاصة هم الذين يفهمون بواطن الآيات والأحاديث، وبذلك يمنعونهم من الالتزام بظاهر النصوص، فيعطلوا الأحكام والعمل بالدين.

أولا: نظرية التأويل الباطني

تقوم عقيدة الباطنية على نظرية التأويل الباطني، فبدونها لا يستطيعون أن يروجوا بضاعتهم المنقولة عن أسلافهم من الفلاسفة، وسنوضح دعائم ملتهم لنرى كيف أصبحت الطهارة الركن الثاني، من أركان عقيدتهم، ومرادهم ليس الطهارة الظاهرة التى نعرفها من اغتسال ووضوء وإنما هم يقصدون الطهارة الباطنة، والطهارة عندهم هي تصديق خرافاتهم، ومن أنكر مبادئهم وأفكارهم يصبح غير طاهر، وبالتالى لا يصح له إيمان. ويقول أحد دعاتهم: "يمكننا أن نعتبر التأويل ونظرية المثل والممثول المدماك الذي ترتكز عليه أسس العقائد الباطنية الإسماعيلية، فهو بمثابة الشريان الحيوي الذي يمد الأفكار الفلسفية العقلانية التعليمية بالتجدد والتطور نحو الأكمل والأمثل، ويفتح مغاليق النفس العاقلة إلى دنيا زاخرة بالمعرفة وكوامن الفلسفة الباطنية بالحكم والمنطق والبيان".[1]

ويقرر مصطفى غالب في موضع آخر من كتابه عقيدة النصيرية: "لو ترجمنا المصطلحات والرموز العقائدية النصيرية لوجدنا بأن الغاية الرئيسية التي ترمي إليها هي: أن لكل عمل وكل قول تأويلا خاصا لا يعرفه إلا المشايخ الذين تعلموه عن الأئمة، وهذا التأويل الباطني هو الذي يفرقهم عن إخوانهم الشيعة، لغلو النصيرية في تأويلاتهم بسبب

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٩٢-٩٣

إسباغ مناقب خاصة، وصفات قدسية عالية على الإمام علي بن أبي طالب (ع)، هذا بالإضافة إلى الغموض الشديد الذي يشوب الأصول والأحكام النصيرية، مما يحملنا على التروي والحذر والانتباه الشديد للمعنى المقصود من وراء الرموز والمصطلحات والكرامات والمعجزات التي بنوا عليها عقيدتهم ومصطلحاتهم".[1]

يتلخص قول داعي الإسماعيلية الباطنية فيما يلي:-

١- إقراره بالغلو في علي بن أبي طالب.

٢- الأئمة أصل الفهم الباطني.

٣- لا ينتقل العلم الباطني إلى الناس إلا من خلال التلقي عن علي بن أبي طالب وآل بيته من بعده.

٤- التأويل الباطني يشمل كل قول وكل علم، فمخالفة الباطن للظاهر ليست محدودة، وإنما هو تباين عام وشامل.

٥- إقراره بأن الإيمان بعقيدة الباطنية هو الطهارة الباطنية.

٦- لا يخفى من كلامه الإعتراف بالعلاقة الوثيقة بين عقيدة الباطنية والفلسفة.

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٧٤

ثانيا: الشريعة والحقيقة عند الباطنية

يشرح داعي الإسماعيلية الإختلاف بين التأويل والتفسير بقوله: "والتأويل حسب المفهوم الإسماعيلي يختلف تمام الاختلاف عن التفسير كما يفهمه عامة الفرق الإسلامية الأخرى، لأن التأويل يقصد به باطن المعنى أو رموزه أو إشاراته أو الجوهر الخفي وراء الكلمة التي لا تدل عليه، لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن المذهب الإسماعيلي يخص الناطق (النبي ﷺ) بالتفسير الظاهر، ويعطي حق التأويل الباطني للإمام، لأن الناطق يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، أما الإمام تتجسد فيه الحقيقة والتأويل والفلسفة الباطنية باعتبار أن القرآن أنزل على محمد ﷺ بلفظه ومعناه الظاهر للناس، فهو إذا صاحب التنزيل للقرآن، أما أسرار القرآن التأويلية الباطنية، وإظهار معاني الرموز والإشارات فقد خص به علي والأئمة من بعده إلى يوم الدين".[1]

وهنا يجدر الإشارة إلى تطابق هذه النصوص مع أفكار من سبقهم من الباطنيين كفيلون اليهودي، وأوريجانوس النصراني، وإذا قارنا بين أقوال باطنية اليوم وباطنية الأمس فإننا نجد أن: الناطق (أي النبي ﷺ) يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، أما الإمام فتتجسد فيه الحقيقة والتأويل والفلسفة، وهذا يطابق قول يوسف دره حداد في كتابه صوفية المسيحية حيث يقول ردا على اليهود الذين يظنون الحقيقة في الشريعة: "إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة".[2]

والإسماعيلية بهذا المفهوم يُقسمون العلم إلى: ظاهر يعرفه النبي ﷺ وليس له أن يعرف شيئا من التأويل، لأنه خاص بالإمام وحده، وباطن هو معجزة الأئمة وليس للنبي حظ منه، لذا يخاطب دعاة الباطنية أتباعهم قائلين: "ومن معجزات وغرائب القرآن أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره، ومعنى في باطنه، فجعل ﷺ ظاهره معجزة رسوله، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله ﷺ جدهم، ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته".[3]

ولم يكتف الإسماعيليون بتطبيق نظرية التأويل الباطني على القرآن الكريم، وإنما أوهموا

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٩٣

٢ إنجيل يوحنا ١٧:١

٣ أساس التأويل للنعمان ١٤

أتباعهم أن للكون أيضا ظاهر وباطن، وأن الظاهر يدل على الباطن، كجسم الإنسان الذى هو يظهر منه الجسد، ويبطنه النفس ، وكذلك الكون فهو جسماني ظاهر، يماثل العالم الروحاني الباطن، وسموا هذا التطبيق نظرية المَثَل والممثول، وبموجب هذه النظرية والتأويل الباطني يقولون أن الله ﷻ جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالإنسان، فيجب إذن أن يستدل بما في الطبيعة، وبما على وجه الأرض على فهم حقيقة الدين، فالموجودات مَثَل وحقائق الدين هي الممثول، والإنسان مَثَل، والخالق هو الممثول".[1]

وسيكون لنا في الكتاب الثالث من هذه السلسلة دراسة تفصيلية نرى من خلالها مدى التطابق بين بضاعة الإسماعيلية وبين آراء الفيلسوف هرميس، وزيتون الرواقي، ونظرية العالم الكبير والعالم الصغير، وأفكار جماعة القبالة اليهودية، وآدم الأرضي وآدم السماوي، وهم بذلك يتبعون سنن اليهود والنصارى، ومن كان قبلهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وما تركوا جحر ضب إلا دخلوه وراءهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾.[2]

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١٠٠

٢ سورة التوبة آية ٣٠

ثالثا: الشريعة عند الإسماعيلية

نعرض فيما يلي بعض تأويلات الإسماعيلية عن الشريعة، ونريد أن نسترجع من الباب الأول الفصل الثاني، ما سبق أن ذكرناه عن فكر الباطنية الجدد الذين يحاولون إعادة بعث أفكارهم تحت اسم جماعة الوارثين، وسيجد القارئ الكريم أن هناك تطابقا تاما بين أفكار باطنية الأمس وباطنية اليوم.

إن تطبيق نظريات التأويل الباطني، وأن لكل ظاهر باطنا، يُخرِج الشريعة عن مقاصدها ويجعلها معطلة، وكل ما هناك مجموعة من الرموز التى تطلب من أتباعها طهارة الباطن، وتزكية النفوس، ولا يوجد أي معيار نرجع إليه لقياس صحة هذه التأويلات، فطالما الأمر منسوب لأحد الأئمة، فما على الأتباع إلا السمع والطاعة، ولنضرب بعض الأمثلة والتي نريد من القارئ الكريم أن يرجع إلى الباب الأول الفصل الثاني حتى يقارن بينها وبين مزاعم جماعة الباطنية الجدد الذين يسمون أنفسهم الوارثين، وكيف أن تأويلاتهم تتطابق مع تأويلات الإسماعيلية كما يظهر من تتبع الأمثلة التالية عن بعض المصطلحات الشرعية وأحكام الشريعة وتأويلاتها الباطنية عند الإسماعيلية:

الباب : علي

الطوفان : طوفان العلم أُغرق به المتمسكون بالشبهة

الفُلك : الحرز الذي يحصن به من استجاب لدعوتهم

نار إبراهيم : غضب النمرود

ذبح إسحق : أخذ العهد عليه.[1]

عصا موسى : حجته[2]

الحلال : الواجب إظهاره وإعلانه

الحرام : الواجب ستره وكتمانه

الربا : الرغبة في الإكثار وطلب الحكام وإفشاء الأسرار

المسكر الحرام : ما يصرف العقل عن التوجه إلى طلب معرفة الإمام

الجنابة : إفشاء السر

---

١ يقولون إسحاق الذبيح كما تدعي اليهود وليس إسماعيل كما ثبت ذلك من الكتاب والسنة

٢ تلبيس إبليس لإبي الفرج بن الجوزي ١٢٥

الغسل : تجديد العهد على من أفشى السر

الزنا : إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه العهد

الصيام : الإمساك عن كشف السر

الصلاة : الداعي إلى دار السلام بصلة الأبوة في الأديان إلى الإمام

الزكاة : إيصال الحكمة إلى المستحق

الحج : القصد إلى صحبة الإمام

الكعبة : النبي

الإحرام : الخروج من مذهب الأضداد

والمصلي يستقبل الكعبة بجسمه الترابي، وروحه تتجه إلى الإمام، ولذلك يقول المؤيد:

أبيت من الأحجار أعظم حرمة   أم المصطفى الهادي الذي نصب البيتا

فالحج في الظاهر هو القصد لأشرف البقاع، وفي الباطن والتأويل قصد الإمام، ولذا يعتقدون أن العبادات تنتفي إذا عدم الإمام، وتراهم يقولون: "إن ولاية الإمام حسب المفهوم الإسماعيلي ركن من أركان الدين، ودعامة من دعائمه، بل هو الإيمان بالحقيقة، والإمامة هي المحور الذي تدور عليه الفرائض التكليفية، فلا يصح وجودها إلا بوجوده، والإمامة تستمر بالنص مدى الدهر، لأن الكون لا يستطيع البقاء لحظة دون إمام، فلو فقد ساعة واحدة لماد الكون وتبدد".[1]

وتزعم الإسماعيلية أن من يفهم بواطن هذه التكاليف وعرف أسرارها، انحط عنه أعباء القيام بها، وأولئك هم المرادون بقوله تعالى: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾.[2] وقد انتقل هذا المفهوم إلى الصوفية فنرى بعض المشايخ يشيع بين أتباعه أنه قد تحقق، وبالتالى فقد سقطت عنه التكاليف!

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١٠٠

٢ سورة الأعراف آية ١٥٧

رابعا: الشريعة عند الدروز

تتميز عقيدة الدروز بالسرية التامة، حتى أن أصول العقيدة مكتوبة في كتب لا يطلع عليها أحد، لذلك هناك نقص كبير في المعلومات المتاحة حول عقيدة القوم، لذا فإننا ننقل عن الدكتور مصطفى الشكعة من كتابه القيم إسلام بلا مذاهب أن: "الشريعة الدرزية مأخوذة من القرآن ومن ستة عشر كتابا خطيا لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها، كما أنها تأخذ تعاليمها من الفلسفة اليونانية، وبخاصة الأفلاطونية القديمة، والمسيحية والأسلام والبوذية والفرعونية القديمة، ويعتبرون إخوان الصفا من الدروز لتشابه الأفكار بينهما.

ويلخص الدكتور الشكعة لقاءاته مع بعض علماء الدروز تلخيصا وافيا ننقله عنه لعموم الفائدة، ويتلخص ما سمعه عن عقيدة الدروز فيما يلي:

١- يؤمنون بشهادة التوحيد وينطقون "بلا إله إلا الله محمد رسول الله"، وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود لهم المقام الأسمى بين الصحابة جميعا باستثناء علي بن أبي طالب بطبيعة الحال.

٢- محمد ﷺ له مكانة محدودة عندهم، وهو ليس إلا واسطة الرسالة فحسب، وللدروز خمسة أقطاب منذ القدم، خامسهم الحاكم بأمر الله الفاطمي.

٣- يتمتع أبي اليزيد البسطامي بمكانة عالية سامية عندهم.

٤- الصلاة تختلف عن صلاة المسلمين في عدد ركعاتها، ولها طريقة أخرى.

٥- الوضوء ليس ضروريا مادام المصلي نظيفا.

٦- الصوم معناه الامتناع عن الرفث، ويجوز الأكل والشرب فيه، ومدته عشرة أيام من ذي الحجة، وصوم رمضان مستحسن عن غيره.

٧- الزكاة معطلة، ولا حدود لها، والصدقات اختيارية.

٨- الحج لا يعتبر فرضا ويرون في ظاهر مناسكه وثنية.

٩- الحديث والسنة معطلان ولا يؤخذ بهما.

١٠- الطلاق مرة واحدة ولا رجعة فيه، والوصية مطلقة ولا يعتدون بالثلث (أي ليس لها حد الثلث كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ).

١١- التناسخ (أي تناسخ الأرواح) أمر مؤكد، وتبعا لذلك لا توجد عندهم حياة برزخية، فالأرواح تنتقل من الأموات رأسا إلى مواليد جدد.

١٢- العقيدة الدرزية عقيدة باطنية ولا يجوز لأحد الإطلاع علي الكتب الدرزية.[١]

يعتبر كتاب "مجموع الدرر والنوادر وكتاب النقط والدوائر" أهم كتاب من كتب العقيدة الدرزية، وينسبونه إلى حمزة بن علي، وقد قسم المؤلف كتابه هذا إلى مجموعة من النقط منها: نقطة النور، نقطة العبادات، نقطة العالم العلوي، ومجموعة من الدوائر لها نفس أسماء النقط مثل دائرة النور، ودائرة العبادات وهكذا،

ويربط المؤلف بين كل نقطة ودائرتها، ويصف مؤلف النقط والدوائر الإمام بأنه العقل الكلي، والجوهر الأزلي، والعنصر الأولي، والأصل الجلي، والجنس العلي، فيه بدأت الأنوار، ومنه برزت الجواهر، وعنه ظهرت العناصر، ومنه تفرعت الأصول، وبه تنوعت الأجناس، فهو صلوات الله عليه إرادة المبدع، وصفي الباري، وعالم مراده، وغاية مبدعاته، ومدبر مخلوقاته".[٢]

ويشرح صاحب النقط والدوائر في نقطة العبادات دعائم الإسلام الأربعة: الصلاة والزكاة والصوم والحج، ويقدم معنى كل منها في اللغة، وفي الظاهر (يعني عقيدة أهل السنة)، وفي الباطن (يعني عقيدة الباطنية)، ثم في الحقيقة (يعني من وجهة نظر عقيدة التوحيد)، وفي الفرائض (يعني التكليف الجديد) على هذا النحو:

الصلاة

في اللغة: معناها الصلة.

وفي الظاهر: معناها الركوع والسجود وإقامة شروطها الظاهرة.

وفي الباطن: معناها الاتصال بعهد علي بن أبي طالب.

وفي الحقيقة: معناها صلة قلوبنا وقلوبكم بتوحيد مولانا (أي الحاكم بأمر الله الفاطمي) جل ذكره في كل عصر وزمان

وفي الفرائض: صدق اللسان.

الزكاة

في اللغة: الطهارة والنمو والزيادة.

وفي الظاهر: زكاة الأموال.

---

١ إسلام بلا مذاهب مصطفى الشكعة ٣١٣ - ٣١٧

٢ النقط والدوائر نقلا عن إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ٢٩٠

وفي الباطن: ولاية علي بن أبي طالب.

وفي الحقيقة: تزكية القلوب بالتوحيد (أي توحيد الحاكم بأمر الله الفاطمي).

وفي الفرائض: حفظ الإخوان.

الصوم

في اللغة: معناها الصمت.

وفي الظاهر: معناها ترك الأكل والشرب والجماع وتعمد القيء.

وفي الباطن: ترك المفاتحة لغير الإخوان.

وفي الحقيقة: صيانة القلوب بالتوحيد (أي توحيد الحاكم بأمر الله الفاطمي).

وفي الفرائض: ترك العدم والبهتان.

الحج

في اللغة: معناها القصد.

وفي الظاهر: معناها المجيء إلى مكة والوقوف بعرفات وإقامة شروطه.

وفي الباطن: معناها أن البيت يدل على الناطق (يعني سيدنا محمد)، والحجر يدل على الأساس (أي علي بن أبي طالب).

وفي الحقيقة: البيت هو توحيد مولانا (أي الحاكم بأمر الله الفاطمي) جل ذكره موضع السكنى والمأوى الذي يطلب المعبود فيه.

وفي الفرائض: البراءة من الأبالسة والطغيان.

الإسلام والباطنية

وهنا يجدر بنا أن نتأمل قليلا في نسبة الباطنية عامة والدروز خاصة إلى الإسلام، فالقوم نطقوا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وبالتالي هم مسلمون، ولكنهم بدلوا كل شيء في الدين:

ففي العقيدة جعلوا مع الله شريكا هو الحاكم بأمر الله، الذي خلعوا عليه ثوب الألوهية وراحوا يعبدونه من دون الله، كما أنكروا الإيمان باليوم الآخر، فعقيدتهم التناسخ، وهم يعتقدون في العودة إلى الدنيا بعد الموت، وينكرون الثواب والعقاب والجنة والنار، ونحن لا نتأول كلامهم ولكنهم يصرحون بذلك ولا ينكرونه، كما أنهم يعطلون الحديث والسنة.

وفي الشريعة أنكروا أركان الإسلام، فالطهارة لا تجب، والصلاة غير صلاتنا، والزكاة

ليست فرضا، والحج وثنية. وفي الأحوال الشخصية: الطلاق مرة واحدة، وقواعد الميراث مختلفة عما يعرفه أهل السنة. فأي مسلم مهما كانت سذاجته لا يطمئن قلبه إلى اعتبار القوم من المسلمين، ورضي الله تبارك وتعالى عن أبي بكر الذي رأى أن قتال مانعي الزكاة فرض لازم، فكيف به رضي الله عنه لو عايش الباطنية القدامى والمعاصرين.

خامسا: الشريعة عند العلويين

"ومن جملة ما كتب أحد كبار أئمة العلويين وهو: الأمير/ حسن المكزون السنجاري المتوفي سنة ٦٣٨ هـ، رسالة أسماها "تزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس" بناها على مقدمة وسبعة أبواب هي:

الباب الأول: في معرفة العبادة وبواطنها وأقسامها

الباب الثاني: في معرفة باطن الإسلام وأقسامه ومستقر الإيمان ومستودعه.

الباب الثالث: في بواطن الصلاة ولوازمها ومعرفة أشخاصها

الباب الرابع: في معرفة بواطن الصيام ولوازمه ومعرفة أشخاصه.

الباب الخامس: في معرفة الزكاة ولوازمها وأقسامها

الباب السادس: في معرفة باطن الحج ولوازمه وأقسامه.

الباب السابع: في معرفة الجهاد ولوازمه وأقسامه.

والمسألة التي تدعو إلى التساؤل هنا هو أن الأمير المكزون في معرض ذكره بواطن الصلاة والصيام والحج، جعل لكل فريضة أشخاصا، أي أن لكل صلاة شخصا أو أشخاصا ترتبط هذه الصلاة أو تلك به أو بهم بشكل أو بآخر، ونفس الشيء ينسحب على الصيام والحج، ومصدر الخطر أن بعض من كتبوا عن العقيدة العلوية قد ذكروا ارتباط الفرائض التي ذكرت بأشخاص بعينهم ممن يحتلون مكانة في نطاق الرتب العلوية وحددوا أسمائهم،..

ويشرح المؤلف المعرفة الحقيقية عند العلويين بقوله:

"هي شجرة ذات أصل ثابت وفرع باسق، لا تنال ثمرتها إلا برفع أيدي السؤال إلى فروعها الزكية: فأصلها الأزل، وفرعها الأبد، وثمرها السرمد، وهذه الرتب الثلاث هي التي عبر عنها أهل التوحيد ب "المعني" و "الحجاب" و "الباب"، وقد عبر عنها الحكماء ب "الباري" و "العقل" و "النفس"، وهي التي تعرف بمعرفتها سائر الأشياء.

و "المعنى" من هذه الرتب الثلاث هو الحق الأول الذي ابتدع "الحجاب" الأول، و "الحجاب الأول" هو الذي خلق "الباب"، و "الباب" هو الذي اختص "الأيتام" بقدرة المشيئة الظاهرة فيه، وكذلك ظهرت "المقامات الخمس" من العالم النوراني، رتبة رتبة، وعن الرتب الأخيرة تكونت سائر الموجودات مما دونهم.. ثم يبين المكزون ما يرمي إليه بقوله: "وإنما

ذكرت ذلك ليعرف العبد الوسائط التي بينه وبين باريه،..".[1]

ويتسم أسلوب دعوة الباطنية بالتدرج، فالمريد يتلقاها مرحلة بعد أخرى، وكلما استجاب إلى قدر من هذه المفاهيم أعطوه المزيد، وهم بذلك لا يعطون المريد هذا الزخم من المفاهيم المنحرفة مرة واحدة، ومن وصل إلى مرتبة الدعوة عندهم يكون قد نال حظا ومقاما عند الناس، ومكانة بين الأتباع تجعله وإن عرف الحق، لا يستطيع أن يرجع إليه، ويساعدهم على نشر هذه المفاهيم أنهم يرسون في قلوب أتباعهم خطورة الإعتراض، فمن أنكر عند الباب رُدَّ إلى الحجاب، وقد سارت الصوفية على درب الإسماعيلية في مبدأ التدرج مع المريد، وترسيخ فكرة خطورة الإعتراض، ويقولون من يعترض ينطرد.

---

١ إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ٣٦٢

الفصل السادس

التقسيم الصوفي
لمراحل السلوك

١- الشريعة

٢- الطريقة

٣- الحقيقة

٤- السلوك الصوفي



الفصل السادس: التقسيم الصوفي لمراحل السلوك

يُقَسِّمُ الصوفية مراحل السلوك إلى الله ﷻ: إلى شريعة، وطريقة، وحقيقة، ويروون حديثا موضوعا أن رسول الله ﷺ قال: "الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي". ولأهمية هذا التقسيم فقد أصبح شعارا للتصوف ترفعه مجلة التصوف الإسلامي التي يصدرها المجلس الصوفي الأعلى بمصر، ولبيان المقصود من هذا التقسيم ومراحله المختلفة نرجع إلى كتب القوم والتي جاء فيها:

أولا: الشريعة

يقول الصوفية أن الشريعة هي ما جاء به سيدنا محمد ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل شأنه، وهي ما أشار إليها الحديث الشريف: "أتيتكم بشريعة بيضاء نقية"، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، يتمسك بها أولوا الألباب، فحاصلها لك متاعك ولي متاعي، وهي لعامة المسلمين تبين الحلال من الحرام، وبها تقام حدود الله، فالشريعة قيام بما أمر به وبَصَّر، ولها حدود من تعداها أقيمت عليه الحدود.

وقالوا: الشريعة لإصلاح الظواهر بثلاثة أمور: بالتوبة والتقوى والاستقامة.

وإصلاح الظواهر باجتناب النواهي وامتثال الأوامر، فالشريعة عمل العباد، وهي لأهل البداية، ويسمى علماؤها بعلماء الرسوم، والشريعة: الأمر بالعبودية بشرط التزامها، ويقول بعض الصوفية أن الشريعة: هي معرفة السلوك إلى الله تعالى.

والمريد في هذه المرحلة يفهم من معاني لا إله إلا الله أنها: لا معبود إلا الله.

وخلاصة قولهم في الشريعة: أن تعبده.

ثانيا: الطريقة

الطريقة هي: قصده تعالى بالعلم والعمل، وقيل: هي الأخذ بالتقوى، وما يقربك من المولى من قطع المنازل والمقامات، والتي قُسمت إلى سبع مراتب هي: التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا.

فالطريقة لإصلاح الضمائر والقلوب بثلاثة أمور هي: الإخلاص والصدق والطمأنينة، وإصلاح الضمائر بالتخلية عن الرذائل والتحلية بأنواع الفضائل.

والطريقة: لها صدق وجهد معهود، فمن تعداها حرم الورود، فالطريقة عمل العبودية وهي لأهل الوسط. ويقول بعض الصوفية أن الطريق: سلوك الشريعة، وهي لها حدود: كون

الصلاة ركعتين أو ثلاثة أو أربعة، وكونها فرضا أو نفلا.

والطريقة: هي السير بالسيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات. والطريقة: طريق موصل إلى الله، كما أن الشريعة طريق موصل إلى الجنة، وهي أخص من الشريعة لاشتمالها على أحكام الشريعة من الأعمال الصالحة البدنية، والإنتهاء عن المحارم والمكاره العامة، وعلى أحكام خاصة من الأعمال القلبية والرياضات والعقائد المختصة بالسالكين إلى الله تعالى.

ويجب على السالك أن يجتاز مقامات الطريقة بالتدرج والترتيب حتى ينال غايته التي هي الوصول إلى الحقيقة، أي الفناء في الحق، والمريد في هذه المرحلة يفهم من معاني لا إله إلا الله أنها: لا مقصود إلا الله.

وخلاصة قولهم في الطريقة: أن تقصده.

ثالثا: الحقيقة

الحقيقة: هي الوصول إلى المقصود بالسر والروح، وتلقي أنوار التجلي ومشاهدة الربوبية. والحقيقة: جاءت بتعريف الحق، وهي شهود لما قضى وقَدَّر وأخفى وأظهر.

والحقيقة: لها شهود باطن في ظاهر هذا الوجود، وخارج عن طور التفرق المعدود.[1]

والحقيقة: أن يشهد العبد ربه بنور يودعه الله في سويداء قلبه.

والحقيقة لإصلاح السرائر بثلاثة أمور: بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة، وقالوا الحقيقة: مشاهدة الربوبية بالقلب، ويقال: هو سر معنوي لا حد له ولا وجه له، ومن اتخاذهما صدقا لا مفهوما. والمريد في هذه المرحلة يفهم من معاني لا إله إلا الله أنها: لا موجود إلا الله.

وخلاصة قولهم في الحقيقة: أن تشهده.[2]

---

١ تشير هذه الأقوال إلى عقيدة وحدة الوجود التي سنفرد لها بابا منفصلا في الكتاب الرابع من هذه السلسلة بتوفيق الله تعالى

٢ هذه التعريفات جمعناها وأوجزناها من كتب الرسالة القشيرية صفحة ٧٢، وحكم ابن عطاء الله السكندري صفحة ١١، والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة صفحة ٢٤، واصطلاحات الصوفية للقاشاني صفحة ٦٥، ومعجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم حفني ص ١٦٨

رابعا: السلوك الصوفي

يشرح القشيري في رسالته كيف يرتقى السالك من مقامات الشريعة إلى فتوحات الحقيقة، فيقول: "فالسلوك إلى الله بهذا التقسيم يبدأ في المقام الأول بالشريعة التي هي لإصلاح الظواهر، ثم بالطريقة لإصلاح الضمائر، ثم بالحقيقة لإصلاح السرائر، ولا يصح الانتقال إلى مقام حتى يحقق الصوفي ما قبله، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته، فلا ينتقل إلى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة، وترتاض جوارحه معها بأن يحقق التوبة بشروطها، ويحقق التقوى بأركانها، ويحقق الإستقامة بأقسامها، وهي متابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، فإذا تزكى وتنور بالشريعة انتقل من عمل الشريعة الظاهرة إلى عمل الطريقة الباطنة، وهي التصفية من أوصاف البشرية، فإذا تطهر الصوفي من أوصاف البشرية تحلى بأوصاف الروحانية، وهي الأدب مع الله في تجلياته التي هي مظاهره، فحين ترتاح الجوارح من التعب فما بقي إلا حسن الأدب".[1]

ويروي صلاح القوصي أحد خلفاء الطريقة الخلوتية العيونية في كتابه الإسلام الطبعة الأولى حديثا موضوعا عن النبي ﷺ: "الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي"، بينما يشرح تقسيمه للدين فيقول: "والدين ينقسم إلى ثلاث مراحل:

الأولى هي: معرفة الحدود والأوامر والنواهي والحلال والحرام، وهي ما تسمى بالشريعة

والثانية هي: الطريقة أي الأسلوب العملي لتطبيق الشريعة، وما يستلزمه هذا التطبيق من آداب وأحكام قلبية وروحية ومعالجة للنفس الأمارة بالسوء حتى تتخلص من أمراضها المعنوية فترق وتشف بنور الله.

والثالثة هي: الحقيقة أو الثمرة المرجوة من الالتزام بالشريعة والسير بالطريقة والإخلاص لله سبحانه، فهي معرفة الله سبحانه وتعالى، كل على قدر ما هيأ الله له قلبه وروحه، فالقلوب أوعية والعطاء مواهب".[2]

---

١ الرسالة القشيرية ٢٠ - ٢٥ ، قوت القلوب في معاملة المحبوب لإبي طالب المكي ١:٦٩ ، ٧١ ، وكتاب الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق د. إبراهيم مدكور ٢:١٣٧

٢ غلاف ومقدمة كتاب الإسلام الطبعة الأولى والثانية لصلاح القوصي



ملخص الباب السادس

١- أصل الباطنية الغلو في علي بن أبي طالب.

٢- الفكر الباطني لا أصل له في الدين، وإنما هو نتاج مؤامرة واضحة المعالم على الإسلام، تهدف إلى تعطيل القرآن وإنكار السنة. والباطنية يعترفون أنهم كونوا اعتقاداتهم بمزج الدين بالفلسفة العقلانية التعليمية، واعتمدوا أفكارا ونظريات وضعوها من عند أنفسهم، حتى خرجوا من دائرة الإسلام إلى عقيدة توليفية فاسدة.

٣- تشابه الفكر الباطني عند الباطنية والشيعة. وأيضا تطابق عقيدتهم مع عقيدة النصارى، إلا أن النصارى خصصوا مع الله إلها واحدا أو اثنين (عيسى والروح القدس) ثم قالوا الثلاثة إلها واحدا، بينما الباطنيون جعلوا مرتبة المسيح يتوارثها الأئمة، بل غالوا في أئمتهم عن مكانة المسيح عند النصارى.

٤- لا يمكن ضبط علوم الباطنية، فاللفظ في القرآن له دلالة تخالف المعنى المتعارف عليه عند اللسان العربي، وبالتالي تجد أنه من اليسير مناقشة من ينكر وجود الله تعالى عن أن تناقش باطنيا، فمجادلة المنكر بالقرآن أو بالعقل توصل إلى نتيجة، أما الباطني فإن ناقشته بالقرآن قال لك له معنى آخر باطني، فأنى تصل معه إلى نتيجة.

٥- يخالف الفكر الصوفي أفكار الباطنية في تمسكه بمحبة الخلفاء الراشدين، مع الغلو في محبة علي بن أبي طالب وآل البيت.

٦- بعض كلام الصوفية له أصل في الدين خاصة عندما يتحدثون عن دقائق النفس ومراحل تهذيبها، والزهد والرقائق، ولكن هذا القدر لا يكفي، حتى لو قام المخلصون من مشايخ الطرق الصوفية بتنقية هذا الجزء من الفكر الصوفي مما علق به، إلا أن المشكلة الحقيقية في الفكر الصوفي المعاصر هي في جنوحه الشديد إلى ذلك التيار الباطني وتبنيه لنظريات فلاسفة الإسلام الذين ساروا على درب من سبقهم في عقائد وحدة الوجود، وغير ذلك من الأمور التي تكاد تخرج التصوف من حظيرة الإسلام، بالإضافة إلى ذكرهم بالأسماء السريانية، واستخدامهم لعلوم الجفر والأوفاق والعدوان في الدعاء، وما إلى ذلك من علوم الباطنية.



الباب السابع

مراحل
الدين الإسلامي

١- الوحي يعلمنا مراحل الدين

٢- الإسلام

٣- الإيمان

٤- الإحسان

٥- حقيقة مراحل الدين



الباب السابع: مراحل الدين الإسلامي

تلقى أصحاب رسول الله ﷺ الرسالة الخاتمة تامة كاملة، بيضاء نقية لا لبس فيها ولا غموض، خاطبت العرب رعاة الغنم فجعلتهم رعاة الأمم، وشيد الإسلام دعائم التوحيد في قلوبهم، وهانت عليهم أنفسهم وأموالهم في سبيل نشر هذا النور، فطبقوا تعاليمه على أنفسهم فسمت عقولهم واستنارت قلوبهم فنطقوا بالحكمة، وأقاموا دولة الإسلام على أقوى دعائم من العدالة والمساواة والحرية، فدان لهم ملك الدنيا، وخضعت لهم الإمبراطوريات، واتسعت رقعة التوحيد حتى أضاءت ما بين المشرق والمغرب. وقد تميزت عقيدة الإسلام بالوضوح والبساطة، فالإله واحد لا شريك له وهو رب كل شيء وخالقه ومليكه، اصطفى من بني البشر أنبياء ومرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اجتباهم من أطيب الناس معدنا وأزكاهم نسبا وعنصرا، ونزههم عن الفواحش واللمم، وجعلهم للبشرية قدوة ومثلا، فكانوا أعرف الناس بربهم وأقربهم إليه، أطلق الله تبارك وتعالى ألسنتهم ببيان رسالات ربهم ومخاطبة أقوامهم بلسانهم، فلا تجد نبيا ادعى لنفسه فهما خاصا أرقى من رسالته المكلف بإبلاغها لقومه، فما كتموا عنهم من الوحي شيئا سواء أكان نصا في رسالة ربهم وما قصروا عن بيان المراد من كل لفظة أوحيت إليهم، ولذلك يخاطبنا الحق تبارك وتعالى قائلا: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [1]

وقد منَّ الله ﷻ على البشرية بأن بعث فيها نبيا خاتما، ورسولا كريما هو محمد عبد الله ورسوله ﷺ بعثه للعالمين رحمة يقول تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [2] وقد حدد القرآن الكريم مهمة الرسالة في أمرين هما: البلاغ والبيان، يقول تعالى: ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ [3] وقوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [4].

فالبلاغ عن الله هو أصل النبوة ومنبع ضيائها، كما يمتد نورها إلى بيان هذا البلاغ وشرح المراد منه لذلك خص الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بجوامع الكلم حتى يكون بيانه أشفى

---

١ سورة إبراهيم آية ٤

٢ سورة الأنبياء آية ١٠٧

٣ سورة النحل آية ٣٥

٤ سورة النحل آية ٤٤

بيان، يقول تعالى: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا﴾ [1] فالمؤمن الحقيقي هو من شهد أن رسول الله ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة على أكمل صور الأداء، وبهذا شهد أصحابه الأطهار سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يوم الحج في عرفات حين طفق الحبيب المصطفى ﷺ يودع أصحابه في خطبته المشهورة بخطبة الوداع، وقد استشهدهم على تبليغه لرسالة ربه فقالوا: نعم بلغت يارسول الله فقال: اللهم فاشهد.

وما قَسّم رسول الله ﷺ الدين إلى ظاهر وباطن، ولا ابتدع الصحابة والتابعين أو تابعي التابعين تقسيما للدين إلى ظاهر وباطن، كما يفهم كثير من الناس اليوم، بل هم يفهمون هذا الدين على أنه أعمال للجوارح من طاعات للأوامر واجتناب للنواهي، وأيضا أعمال للقلوب من نية خالصة، وصدق وتوكل وإخلاص واخبات وخوف وخشية ووجل وصبر وشكر وحسن للظن وطمع ورجاء في وجه الله.

فأعمال الجوارح والقلب لا ينفصلان، فطاعة بالجوارح مع غفلة القلب نقص وقصور، وطاعة الجوارح مع إنكار القلب نفاق ورياء، أما طاعة الجوارح مع إخبات القلب فهذا كمال الطاعة، وإخبات القلب الذي هو ملك الجسد ينعكس على رعيته فتلين الجوارح في القيام لله بما أمر، أما من يزعم أنه يترك الصلاة لأن قلبه ساجد في كل لحظة أو أن روحه تصلي في الكعبة فهذا من تلاعب الشياطين، وإن زعم فاعلها أنه من المكرمين.

---

١ سورة مريم آية ٩٧

الفصل الأول: الوحي يعلمنا مراحل الدين

أولا: جبريل وأمر الدين

حتى نتبين هدى الإسلام في ارتباط أعمال الجوارح والقلوب في كل مراحل السلوك، تعالوا بنا نبحث في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن الفهم الصحيح لحقيقة هذا الدين.

يشير القرآن في آيات كثيرة إلى مقامات: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وحتى لا نمر على هذه الآيات دون أن ننتبه إلى مراحل الدين، فقد جاء أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ على مرأى ومسمع من جمع من أصحابه رضوان الله عليهم، وجذب أنظارهم بكونه: عابر سبيل، شديد بياض الوجه، ناصع بياض الثوب ليس عليه أثر للسفر، ولعلها من المرات القليلة جدا التي ظهر فيها جبريل عليه السلام بهذا الأسلوب، وقد تكون المرة الوحيدة، ولكنا لا نجزم بذلك والله أعلم، وما ذاك إلا لعظم الأمر وأهمية الرسالة التى أراد أن يعلمها لأصحاب رسول الله ﷺ ألا وهي حقيقة هذا الدين.

فقد صح عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ﴿بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لايُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد:

* أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال:

* أخبرني عن الإيمان؟ قال: الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال:

* فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال:

* فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم بها من السائل، قال:

* فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تَلِدَ الأمةُ رَبَّتَهَا، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا، ثم قال لي رسول الله ﷺ:

ياعمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ﴾.[1]

إن أمر هذا الدين واضح جلي، فأمين الوحي جبريل عليه السلام ينزل ويشاهده الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ثم يسأل ويصدق على الإجابة النبوية، حتى لا يدع مجالا للناس أن يقولوا على الله بغير علم.

تعليق هام:

إن من اللطائف التي لا تخفى في هذا الحديث سؤال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دون غيره من الصحابة قائلا: أتدري من السائل؟ وكان رد عمر مؤكدا حقيقة هامة للغاية: الله ورسوله أعلم، برغم كون عمر من المحدثين الذي وافقه الوحي في مواطن عديدة، إلا أنه لا يعرف جبريل عليه السلام، ولو أن الوحي الذي يأتي عمر هو من جنس ما يوحى به إلى النبي ﷺ لعرف عمر جبريل عليه السلام.

---

١ متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ٤٨، وفي خلق أفعال العباد حديث عمر بن الخطاب، ورواه مسلم في صحيحه حديث ٨، ٩، ١٠، ٤٦٩٥، وأحمد في مسنده ١٩١، ٢:٤٢٦ ٣٦٧، ٣٦٨، وأبو داود ٤٦٩٥، وابن ماجة ٦٣، ٦٤، ٤٠٤٤، والترمذي ٢٦١٠، والنسائي ٤٩٩٠، ٤٤٩١، وابن خزيمة في صحيحه ٢٥٠٤، ٢٢٤٤، ورواه أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن عباس ١:٣١٨ (٢٩٢٦)، ٤:١٦٤

ثانيا: أقوال العلماء عن الإسلام والإيمان

١- يرى الإمام البغوي الشافعي رحمه الله في هذا الحديث أن الإسلام اسم لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسم لما بطن من الإعتقاد.

٢- يقول الزهري: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، واحتج بقوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾.[١]

٣- ذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾[٢].

٤- قال الخطابي: كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا.

من هذه الأمثلة من الأقوال نرى أن مفهوم الإسلام والإيمان يعبر عنه بصور مختلفة وحتى نستطيع أن نفهم المراد من الإسلام والإيمان والإحسان يجب أن ننظر بعمق أكثر في الكتاب والسنة لنتبين حكمة التقسيم الإلهي لهذا الدين.

---

١ سورة الحجرات آية ١٤

٢ سورة الذاريات آية ٣٥، ٣٦

الفصل الثاني: الإسلام

الإسلام هو دين الله، أرسل به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو المنهاج الذي ارتضاه جل وعلا لهداية البشرية منذ خلق آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما أنه سبحانه وتعالى لن يقبل دينا أو عبادة من أحد إلا الإسلام قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.[1]

أولا: الإسلام لغة:

والإسلام كلمة عامة جامعة لمعان كثيرة نتعرف عليها من خلال ما تعطيه الكلمة من معان في اللغة العربية:

*الإسلام والسلامة يراد بهما البراءة والعافية، ولهذا كانت كلمة سلام عليكم دليل على علاقة المسالمة وأنه لا حرب هنالك.

* السلم هو: الصلح، والتسالم أى التصالح، والمسالمة: المصالحة.

* الاستسلام هو: الإذعان والإنقياد والأخذ قهرا، وإسلام النفس عجزا، والتسليم هو بذل الرضا بالحكم.

ثانيا: الإسلام شرعا:

أما المراد من الإسلام في الشريعة فهو:

* إظهار الخضوع والانقياد والالتزام بما أتى به النبي ﷺ ويقال فلان مسلم فيه قولان أحدهما: المستسلم لأمر الله، والثاني: هو المخلص لله العبادة من قولهم سلم الشيء لفلان أى خلص وسلم له الشيء.

* الإسلام بمعنى الخضوع والإنقياد هو المراد من قوله تعالى واصفا حال الذبيح إسماعيل عليه السلام بين يدي أبيه الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾.[2]

* الإسلام بمعنى السلامة هو المقصود من إجابة رسول الله ﷺ لسؤال الرجل حيث يقول ما يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ﴿يارسول الله أي الإسلام

---

١ سورة آل عمران آية ٨٥

٢ سورة الصافات آية ١٠٣

أفضل؟، قال من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾.[1] قال الأزهري في بيان المراد من الإسلام في هذا الحديث هو: السلامة حتى يسلم المؤمنون بوائقه.

ثالثا: أمة الإسلام

يشرح البغدادي في كتابه: "الفَرْقُ بين الفِرَقْ" "المراد من مصطلح "أمة الإسلام" ومن يدخل فيها، واختلاف الناس حول ذلك فيقول: اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام، فزعم أبو القاسم الكعبي في مقالاته أن قول القائل: "أمة الإسلام" تقع على كل مقر بنبوة محمد ﷺ وأن كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان.

وزعم قوم أن "أمة الإسلام" يدخل فيها: كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة.

وزعمت الكرامية مجسمة خراسان أن "أمة الإسلام": تجمع كل من أقر بشهادتي الإسلام لفظا، وقالوا كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مؤمن حقا، وهو من أهل ملة الإسلام، سواء كان مخلصا فيه أو منافقا، مضمرا للكفر والزندقة فيه، ولهذا زعموا أن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين حقا، وكان إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل والأنبياء والملائكة مع اعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين.

وهذا القول مع قول أبي القاسم الكعبي في تفسير "أمة الإسلام" يتفق مع قول العيسوية من يهود أصبهان، فإنهم يُقرون بنبوة نبينا محمد ﷺ وبأن كل ما جاء به حق، ولكنهم زعموا أنه بعث إلى العرب لا إلى بني إسرائيل، وقالوا أيضا: محمد رسول الله. ولا يُعَدُّون منفرق الإسلام.

وحكي عن جماعة موشكانيه اليهودية أن زعيمهم موشكان قال: إن محمدا رسول الله إلى العرب، وإلى سائر الناس ما خلا اليهود، وأنه قال: إن القرآن حق، وكل ما جاء به من الأذان والإقامة والصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج الكعبة وكل ذلك حق، غير أ

---

١ متفق عليه رواه البخاري في الإيمان حديث ٩، ومسلم في كتاب الإيمان ٥٧، وأحمد في مسنده ١:٨٧، وأخرجه النسائي في الإيمان ٤٩٠٩، ٤٩١٠، وأحمد في مسنده ٢:١٥٩، ١٦٣، ١٨٧، والدارمي في الرقائق ٢٦٠٠، وأبو داود في الجهاد ٢١٢٢، والترمذي في كتاب الإيمان ٢٥٥١ من حديث أبي هريرة، وقال: حديث صحيح غريب حسن، وروي عن جابر بن عبدالله في مسلم حديث ٥٨، والدارمي ٢٥٩٦، وأحمد ٣:٣٧٢، وروي عن أبي موسى الأشعري في البخاري ١٠، ومسلم ٥٩، والترمذي ٢٥٥٢، والنسائي ٤٩١٣

مشروع للمسلمين دون اليهود.

وربما فعل ذلك بعض الموشكانيه، وقد أقروا بشهادتي أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأقروا بأن دينه حق، ومع ذلك ليسوا من أمة الإسلام، لقولهم بأن شريعة الإسلام لا تُلزمهم.

والصحيح عندنا أن "أمة الإسلام" تجمع: المقرين بحدوث العالَم، وتوحيد صانعه، وقِدَمِهِ، وصفاته وعدله وحكمته، ونفي التشبيه عنه، وبنبوة محمد ﷺ ورسالته إلى الناس كافة، وتأييد شريعته، وأن كل ما جاء به حق (من كتاب وسنة)، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة، وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها، فكل من أقر بذلك كله، ولم يَشُبْهُ ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد.[1]

ولبيان هذا المعني نقول: إن حد الإسلام الذى يدخل المرء به زمرة المسلمين هو القيام بأوامر الدين وبناء أركانه، فقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله﴾.[2]

ويقول رسول الله ﷺ: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم بحقها، وحسابهم على الله، ثم قرأ إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾.[3]

---

١ الفرق بين الفرق للبغدادي ١٣

٢ حديث متواتر: رواه كل من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، عبدالله بن عمر وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأوس بن أوس، وجرير بن عبدالله، وجابر بن عبدالله، ومعاذ بن جبل، وسهل بن سعد وطارق بن أشيم، وأخرجه البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد بن حنبل، والدارمي وابن خزيمة والطبراني في الأوسط والكبير.

٣ الآية من سورة الغاشية آية ٢٢، والحديث متواتر ومتفق عليه أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٧٢٧، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، والنسائي في الجهاد ٣٠٣٩، ٣٠٤٠ من حديث جابر وأبي هريرة

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾.[1]

يدخل المسلم روضة الإسلام بقوله: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وبالتالي تحميه شهادة التوحيد، وتعصم ماله ودمه، ويصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وربما يكون إقراره بالشهادتين لغرض في نفسه أو لعلّة في هواه، أو حتى فرارا من القتل في المعركة، وإقرار العبد بشهادة التوحيد تقتضي الإيمان بالخالق الأزلي الذي أوجد الكون وأحدثه من العدم، وأن يقر بتوحيد الألوهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وأن الله يصطفي رسلا من خلقه آخرهم محمد ﷺ. أرسله ربه بالهدى ودين الحق فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، فكانت شريعته أكمل الشرائع، وسبيله أتم السبل الموصلة إلى الله وسعادة الدنيا والآخرة، فإذا أقام المرء أركان الدين والتزم تعاليمه من: صلاة، وزكاة، وصيام، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، فقد دخل في زمرة هذا الدين، وعصم نفسه وماله، وأصبح له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وهذه الأركان علامات يراها الناس يعرفون بها انتماء العبد لدين الله.

ونخلص من هذا أن الإسلام ليس فقط نطق بالشهادتين ثم نكوص الناس عن الدين وتعطيل أحكامه، وإلحاد في أسماء الله تعالى، وابتداع لشركاء مع الله من أولياء، واستعانة بالجن والإستغاثة بغير الله، فهذا وإن عصم دمه وماله من الحاكم، إلا أنه عند ربه لم يدخل روضة الإسلام ولم يذق حلاوة الإيمان.

---

١ سورة التوبة آية ٥

رابعا: حقيقة الإسلام

إن حقيقة الإسلام أن يحسن إسلام العبد، فيمتلئ قلبه بأنوار الطاعات، وبالتالي ينتقل إلى مرحلة آداء الأركان وقلبه مصدق مقر بصحة الإسلام، فيتذوق العبد حلاوة الإيمان.

وهذا المعنى يقرره حديث سيدنا رسول الله ﷺ حيث يقول: ﴿الإسلام علانية، والإيمان في القلب، ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول التقوى ها هنا﴾.[1] وليس معنى هذا الحديث أن الإسلام ظاهر والإيمان باطن فالمسلم الذي يظهر الخضوع والقبول لما أتى به رسول الله ﷺ وذلك بالقيام بأركان الإسلام الخمس والتي بها يحقن دمه، إما أن يصاحب هذا الإظهار إعتقاد وتصديق بالقلب فذلك المسلم الحق الذي عَبّرَت جوارحه عن إسلامه وامتلأ قلبه بالتصديق وهو الإيمان، أما من أظهر الإنقياد والخضوع لما أتى به سيدنا محمد ﷺ وقلبه مكذب وفؤاده خال من التقوى، فذلك المنافق الذي يظهر غير ما بطن، ولهذا لما ادَّعت الأعراب التصديق والإيمان كشفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[2] ثم جاء في أواخر ما نزل من القرآن في سورة براءه قوله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا﴾[3]. وكذا قوله ﷻ: ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون من أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾[4] ومعنى قوله تعالى: ﴿لا تعلمهم﴾ لأنهم يظهرون الإسلام ويحضرون الجمع والجماعات، ولكن الله تبارك وتعالى وحده هو الذي يعلم أنهم ينقادون للإسلام ظاهرا ويبطنون العداء له وعدم التصديق به، ولذلك نفى عنهم الإيمان الذي هو التصديق.

ولذلك فالإسلام الحقيقي اسم جامع لانقياد العبد بجوارحه وقلبه فعن عمرو بن عبسه رضى الله عنه قال: ﴿قال رجل يارسول الله: ما الإسلام؟ قال: أن يسلم قلبك لله ﷻ وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت (وفي رواية قال: وما الإيمان؟

---

١ حديث أنس بن مالك أخرجه أحمد في مسنده ١٣٥:٣ حديث رقم ١١٩٧٣، وقال: حديث حسن، ورواه كذلك البزار وأبو يعلى وابن أبي شيبة في مصنفه

٢ سورة الحجرات آية ١٤

٣ سورة التوبة آية ٩٧

٤ سورة التوبة آية ١٠١

قال: الصبر والسماحة)، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة، قال: فما الهجرة؟ قال: تهجر السوء، قال فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد، قال: وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأريق دمه قال رسول الله ﷺ : ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبرورة أو عمرة ﴾.[1]

فمن دخل الإسلام وهو مصدق به من أول يوم، فإسلامه هو الإسلام الحق الذي يبدأ بإسلام القلب، وانقياده وإقراره لله ﷻ بما تقتضيه كمالات الربوبية، ثم القيام بأركان الإسلام والمسارعة في تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، حتى ينعكس ذلك على تصرفات المسلم في مجتمعه فيسلم الناس من لسانه ويده، فإذا وصل إلى هذه المرتبة يكون قد قطع مرحلة الإيمان الذي هو بمعنى التصديق ووصل إلى الإيمان بمعنى أداء الأمانة، لذلك فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: ﴿والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال غشمه وظلمه ﴾.[2] فالإسلام الحقيقي إذن ينتفي عمن لم يطابق قلبه لسانه بعد، ولا شك أن هذا التوافق بين إيمان القلب وانقياد الجوارح يستغرق من العبد مراحل متعددة، ولا يتم في لحظة واحدة إلا لمن أراد الله له الكرامة والإختصاص، ولهذا أوجز رسول الله ﷺ الإسلام عندما سأله سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: ﴿قلت يارسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك (وفي رواية: بعدك)، قال: قل آمنت بالله ثم استقم ﴾.[3]

فالإسلام كما نفهمه من هذه الأحاديث والآيات القرآنية هو انقياد وخضوع لما أمر به الله ﷻ في كتابه وسنة رسوله ﷺ انقيادا ظاهرا على الجوارح وتصديقا وإقرارا بالقلب، ولذلك خاطب الله ﷻ الخليل إبراهيم ﷺ بقوله: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾.[4] ويقول ﷻ عن الحواريين: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي

---

١ رواه الطبراني وأحمد في مسنده ورجاله ثقات، وهو حديث جامع لفرائض الدين ومكارم الأخلاق

٢ رواه أحمد في مسنده ١:٨٥

٣ حديث سفيان بن عبدالله الثقفي رواه أحمد في مسنده ٤:٣٨٤، ٣:٤١٣ وقال حديث حسن صحيح، ورواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٥٢، وابن ماجة في سننه ٣٩٦٢، الترمذي في سننه ٢٣٣٤

٤ سورة البقرة آية ١٣١

قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون﴾.[1] وفي سورة آل عمران يقول سبحانه: ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾.[2]

وهذا الوحي للحواريين كان بعد اسلامهم لله، وإقرارهم بنبوة عيسى عليه السلام، لذلك فالوحي هنا يطالبهم بالوصول إلى مقام الإيمان، وذلك قوله سبحانه: ﴿أن آمنوا بي وبرسولي﴾ وخاطبنا سبحانه بقوله ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.[3]

فالأمر للخليل عليه السلام بالإسلام هو توجيه إلهي بتمام الإسلام وكماله، كما أن الحواريين الذين هم أصحاب نبي الله عيسى عليه السلام قالوا آمنا وأشهدوا الله على إسلامهم، وخطاب الحق تبارك وتعالى للمؤمنين أن يتقوا الله حق تقاته أي تمام التقوى وأن يستمروا على تمام الإنقياد بالجوارح والقلب حتى لقاءه سبحانه.

وستظهر مراحل الدين جلية وبصورة أوضح عندما نتحدث عن الإيمان ثم الإحسان.

---

١ سورة المائدة آية ١١١

٢ سورة آل عمران آية ٥٢

٣ سورة آل عمران آية ١٠٢

الفصل الثالث: الإيمان

أولا: الإيمان لغة

الإيمان ضد الكفر وهو بمعنى التصديق وضده التكذيب، ويقال: آمن به قوم وكذب به آخرون، ويقول اللحياني: الإيمان هو الثقة، ورجل أمنة تقال للذي يصدق بكل ما يسمع ولا يكذب بشيء ويطمئن إلى كل أحد، والأمن ضد الخوف والآمن هو المستجير ليأمن على نفسه، والأمانة ضد الخيانة.

ثانيا: الإيمان شرعا

يعرف الإيمان في الاصطلاح أنه التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، والأصل في الإيمان التصديق وحمل الأمانة التي كلف الله بها الإنس والجن، فمن صدَّق بقلبه كما صدق بلسانه وانقاد بجوارحه لأوامر ربه فقد أدى الأمانة فهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق، والأمانة اسم جامع للطاعات والعبادات والودائع والثقة والأمان، وإلى هذه المعاني أشار الحديث الشريف الي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿الإيمان أمانة، ولا دين لمن لا أمانة له﴾. وفي رواية أخرى ﴿لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له﴾.[1]

ثالثا: حقيقة الإيمان

قد يفهم بعض الناس أسئلة جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان أن الإيمان تصديق نظري واعتقاد قلبي فقط، وهذا فهم ناقص يحتاج أن تستكمل جوانبه بالرجوع إلى باقي الآيات والأحاديث، فلا يعقل أن يقال: أن العاصي يصدق بعذاب القبر ولا يخافه، فحقيقة التصديق أن يصدق الإنسان بعذاب القبر ويخافه، فينعكس ذلك على سلوكه فلا يعمل ما يوجب العذاب فيسعى لنيل أسباب الرحمة، وإلا فلو صدق الإنسان بأنه يعذب في قبره، ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلا لم يسموه مؤمنا، لذلك كان الإيمان هو قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان. كما ورد بذلك الخبر الصحيح.

وتقرر الآيات المباركات حقيقة الإيمان في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله

---

١ حديث أنس بن مالك أخرجه أحمد في مسنده أحديث ١١٩٧٥، ١٢١٥٧، ١٢٧٨٧، ١٣٢٢٥ ٢٥٤:٢ / ٦٢٦، ١٣٥:٣ / ٢١٠ / ٢٥١، وعبد بن حميد في مسنده ١١٩٨

ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[1]

فالإيمان إذن إقرار وتصديق وثقة لا يشوبها إرتياب ولا شك، ثم جهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله ﷺ أما من يعتقد أن الإيمان قول فقط فها هي الآية القرآنية تنقض هذا الفهم ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾.[2] كما أن رسول الله ﷺ نفى الإيمان عن مرتكب الكبائر حال معصيته، فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد﴾.[3] إذن فليس الإيمان تصديق قلبي فقط ولكنه مرتبط بالطاعات ويزداد بكثرتها ويقل بنقصانها، وفي حديث لأنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿قال النبي ﷺ المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاهر من هجر السوء﴾.[4]

وفي حديث شريف يرويه فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: ﴿قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاهر من هجر الخطايا والذنوب﴾.[5]

ويؤكد هذ المعنى قول النبي ﷺ: ﴿يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته﴾.[6] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، و لا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا

---

١ سورة الحجرات آية ١٥

٢ سورة البقرة آية ١٥

٣ أخرجه البخاري ١٩٧:٨، ٢٠٣:٨، والنسائي ٦٣:٨، وأحمد في مسنده ٥٩١٠ من حديث ابن عباس، ورواه مسلم في صحيحه ٤٥:٢

٤ حديث أنس بن مالك انفرد به أحمد في مسنده حديث ١٢١٠٣

٥ حديث فضالة بن عبيد أخرجه أحمد في مسنده حديث ٢٢٨٣٣، ٢٢٨٤٠، ٢٢٨٤٢،٢٢٨٢٦، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن حديث ٣٩٢٤

٦ حديث أبي برزة الأسلمي أخرجه أحمد في مسنده ١٩٢٧٧

يأمن جاره بوائقه ﴾.[1]

فالإسلام أن يكون المسلم مصدقا بقلبه ومانعا ضرره عن المسلمين، أما المؤمن هو من يمتد خيره لغيره حتى يسع مجتمعه كله، وهذا المعنى تراه واضحا في الكتاب والسنه، يقول تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾.[2] وفي الحديث الشريف ﴿من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ﴾.[3]

والتصديق هو أول منازل الإيمان، ولكنه لا يوجب للعبد إستكمال جميع مقامات الإيمان، فالإيمان اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى، ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال ﴿الإيمان بضع وسبعون (أو بضع وستون) شعبة فأفضلها قول لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان ﴾.[4]

ويطلق لفظ المؤمن على من حاز أي شعبة من هذه الشعب بشرط أن يكون معها قول لا إله الا الله، ولهذا وردت مئات الأحاديث النبوية التي تقرر هذه الشعب وتحددها، كما جاءت الأحاديث الشريفة بأوصاف المؤمنين ومتى يشعر العبد بدخول حب الإيمان في قلبه، ومتى يعلم أنه مؤمن ومنها ما يرويه أبو رزين العقيلي واسمه لقيط بن عامر رضى الله عنه قال: ﴿أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ قال أما مررت بأرض من أرضك مجدبة، ثم مررت بها مخصبة؟ قال: نعم، قال: كذلك النشور، قال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله،

---

١ حديث أنس بن مالك أخرجه أحمد في مسنده ٣:١٩٨

٢ سورة الأنفال آية ٢ - ٤

٣ حديث أبي سعيد الخدري رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٧٠، وأبي داود في الصلاة والملاحم ٩٦٣، ٣٧٧٧، والترمذي في الفتن ٢٠٨٩، والنسائي في الإيمان ٤٩٢٢، وابن ماجة في الصلاة ١٢٦٥، وأحمد ٣:١٠، ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٩٢

٤ حديث أبي هريرة، متفق عليه أخرجه البخاري في الإيمان حديث ٨، رواه مسلم في الإيمان حديث ٥١، وأبي داود ٤٠٥٦، والترمذي ٢٥٣٩، والنسائي ٤٩١٨، وابن ماجة في المقدمة ٥٦، وأحمد في مسنده ٢:٣٧٩، والبيهقي في شعب الإيمان صفحة ١٦

وأن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما، وأن تحرق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله ﷻ. فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ، قلت يارسول الله: وكيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟ قال: ما من أمتي (أو هذه الأمة) عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله ﷻ جازيه بها خيرا، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة، واستغفر الله ﷻ منها ويعلم أنه لا يغفر إلا هو، إلا هو مؤمن ﴾.[1]

يوضح هذا الحديث الفرق بين قول: "لا إله إلا الله" التي تعصم قائلها من القتل وتدخله روضة الإسلام، وبين شهادة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله"، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، والفرق هنا هو حال القلب الذي أحب الله ورسوله، حتى تكون النار أحب إليه من أن يعود إلى الشرك، ثم يرى إخوانه المؤمنين جماعة واحدة، يحبهم جميعا، دون نسب أو دنيا فهذه علامات تميز الإيمان عن الإسلام.

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ﴾.[2] ومن آكد علامات الإيمان ما أخبرنا به ﷺ: ﴿آية الإيمان حب الأنصار ﴾[3]. وكذا قوله ﷺ: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ﴾.[4] ويقول النبي ﷺ: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو لجاره ما يحب لنفسه ﴾.[5] وليس معنى لايؤمن أحدكم في هذه الأحاديث نفي الإيمان جملة أو نفي الإيمان الذي هو بمعنى التصديق بالله وملائكته

---

١ رواه أحمد في مسنده من حديث لقيط بن عامر ١١:٤، المسند الجامع حديث ١١٢٨٨

٢ حديث أنس بن مالك متفق عليه أخرجه البخاري حديث ١٥، ورواه مسلم في الإيمان حديث ٦٠، والترمذي ٢٥٤٨، والنسائي ٤٩٠١، وأحمد في مسنده ١٠٣:٣

٣ رواه البخاري ومسلم والترمذي

٤ حديث أنس متفق عليه أخرجه البخاري حديث ١٤، ومسلم ٦٢، والنسائي ٤٩٢٧، وابن ماجة في المقدمة ٦٦، وأحمد في مسنده ١٧٧:٣، والدارمي في الرقائق ٢٦٢٤

٥ حديث أنس أخرجه البخاري في الإيمان حديث ١٢، ومسلم ٦٤، والترمذي ٢٤٣٩، والنسائي ٤٩٣٠، وابن ماجة ٦٥ وأحمد ١٧٦:٣، والدارمي في الرقائق ٢٣٦٣

وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإنما المراد من هذه الأحاديث هو نفي الإيمان الكامل عمن هذه صفته وبالتالي هي دعوة للمؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، حتى يستكملوا شعب الإيمان المتعددة.

وهذا التصديق يعبر عنه الصحابي الجليل الحارث بن مالك الأنصاري حين سأله النبي ﷺ فقال: ﴿يا حارث كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا، قال: انظر ما تقول إن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟

قال: عزفت عن الدنيا نفسي، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتصايحون فيها، قال: يا حارث عرفت فالزم﴾.[1]

ونلاحظ أن حقيقة إيمان الحارث التي وافقه عليها رسول الله ﷺ ليس فيها علما باطنيا، أو سرا لو كشفه الحارث لبطلت النبوة والشريعة، وإنما تتضمن تصديقا حقيقيا بحقائق الإيمان بالغيب، فكأنه يرى الجنة وكأنه يرى النار، ونؤكد على لفظة كأنه التي كررها الحارث ووافقه عليها سيد البشر من الأولين والآخرين.

ومن هذا السرد السريع نرى الإيمان ليس إقرارا قلبيا باطنيا فقط وإنما هو التصديق القلبي الموافق للإنقياد لأوامر الله عز وجل، فالإيمان إذن هو اسم جامع لأعمال الجوارح الظاهره وأعمال القلب الباطنة، كما هو الحال في الإسلام كما سبق بيانه، وإنما يمتاز الإيمان عن الإسلام بزيادة أعمال البر والقيام بالنوافل والإخبات لله وحده، وكأن الدين تتدرج مراتبه وتتسامى منازله بدءا من الدخول في الإسلام، وحتى يصل العبد إلى مقامات الإحسان التي هي رأس الأمر وذروة سنامه.

---

١ حديث الحارث بن مالك الأنصاري رواه الطبراني

الفصل الرابع: الإحسان

أولا: الإحسان لغة

الإحسان ضد الإساءة ولا يلتقيان، وأصل الإحسان: الإتيان بكل حسن، والحُسن ضد القُبح ونقيضه، وحسنت الشيء تحسينا أي زينته، ورجل محسن أي كثير الخيرات وسابق بأعمال البر وجامع للحسنات، وهو يحسن الشيء أي يتقنه فيؤديه على أحسن وجه، ويقال فلان يستحسن الشيء أي يعده حسنا، وامرأة حسناء أي جميلة كثيرة المحاسن.[1]

ثانيا: الإحسان شرعا

الإحسان في الإصطلاح: هو اسم جامع لأحسن الأعمال قولا وفعلا.

قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾.[2] وكذا قوله ﴿إنا نراك من المحسنين﴾.[3] لأن يوسف عليه السلام كان ينصر الضعيف ويعين المظلوم ويطعم الجائع ويعود المريض، وأهل الإحسان لا يقابلون السيئة بمثلها، وإنما يعملون بقوله سبحانه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾.[4] كما أنهم يسارعون في الخيرات، ويتنافسون فيها، كما أنهم دائمي الإنابة إلى الله، وكذا قوله: ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾.[5] لذلك أحب الله جل جلاله أهل هذا المقام فقال عز من قائل: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾.[6] كما أن الصفح خلق أهل الإحسان لذا أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ قائلا: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾.[7] والله تبارك وتعالى يأمرنا بقوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾.[8] والعدل هو مقام إعطاء كل ذي حق حقه، أما الإحسان فهو مقام الفضل والبذل والإيثار والعطاء.

---

١ لسان العرب

٢ سورة البقرة آية ٨٣

٣ سورة يوسف آية ٣٦، ٧٧

٤ سورة المؤمنون آية ٩٦

٥ سورة الرعد آية ٢٢، وسورة القصص آية ٥٤

٦ سورة البقرة آية ١٩٥

٧ سورة المائدة آية ١٣

٨ سورة النحل آية ٩٠

ثالثا: حقيقة الإحسان

أصل الإحسان وحقيقته الصدق والإخلاص وهما شرطان للإيمان والإسلام معا، وذلك أن من انقاد ظاهره بالطاعات وقلبه بالإخبات لابد أن تصدر عبادته عن نوز الإخلاص ولما أجاب من أوتي جوامع الكلم صلوات الله وسلامه عليه عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، علمنا أن الإحسان أن تعبد الله وهنا نرى الإشارة واضحة في صياغة رسول الله ﷺ للعبادة بصيغة المضارع المستمر أن تعبد، فالعبد إذن لايتوقف عن العبادة والإنقياد والخضوع لله وحده، فالعبادة مُلازِمة له مُلازَمة الأنفاس لصدره، والدقات لقلبه، واستمرارها لازم للعبد، ولا تسقط العبادة عن العبد مهما ارتقى مقامه، والإحسان يضيف إلى صاحبه اليقين بأن العليم الحكيم مطلع على خائنة الأعين وماتخفى الصدور، فطاعته معروضة على من لا تخفى عليه خافية، فترى العبد يحسن طاعته ويخلص فيها ويستكمل جوانب النقص فيها، ويتحرى إتباع سيد المرسلين ﷺ ويطهر نفسه من الرياء وحب الجاه والسمعة والمنزلة عند الناس، ومع هذا يخشى رد طاعته عليه لذنب إقترفه أو غفلة اعترته أو ذلة نابته، ثم يتذلل لمولاه راجيا قبول طاعته على تقصيره فيها لأنها لا تكافيء نعم الله ولا تعادل مزيد إحسانه، فالعبد يتقلب بين الخوف والرجاء، وهما جناحي السلامة اللذان تطير بهما الطاعات إلى الله، والمؤمن إلى الجنة ورضوان الله عز وجل، فمن وصل إلى مقام مراقبة الله في حركاته وسكناته أحسن عمله حتى يرتقي إلى مقام كأنه يرى الله سبحانه وتعالى، وبعض الناس يسمون هذا المقام بمقام المشاهدة مع أن نص الحديث ينفي المشاهدة فحرف الكاف في كلمة كأنك تنفي الرؤية وتفتح باب القرب للقاصدين لأقصى درجات الوصول حتى كأنهم يرونه سبحانه، فالله جل جلاله لا تدركه الأبصار ولا تنتهي إليه الأفهام ولا يحيط الخلق جميعا بشيء من علمه إلا بما شاء، فرؤية الله لا تكون لأحد في الدنيا، وإنما نسأل الله ﷻ أن نكون ممن ينظرون إلى وجهه الكريم مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين بجوده وكرمه، وذلك قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزياده﴾.[1] فالحسنى الجنة والزيادة الرؤية، ورب قائل يقول: نحن نقصد بالمشاهدة شهود القلب لأنوار الحق، وهذا المعنى أيضا يخالف المراد من الحديث، فالقلب لايسكن فيه إلا نور الإيمان بالله، ونور طاعته لا نور ذاته سبحانه وتعالى.

---

١ سورة يونس آية ٢٦

ولما كان الإحسان هو تحسين الإنقياد على الجوارح وفي القلوب، وقد علم بالضرورة أن غاية الحسن هو هدي سيدنا رسول الله ﷺ لذلك كان الإحسان والإتباع يختلف عن التقليد الذي هو السير وراء الرجال سواء أكان شيخا لطريقة أو أميرا لجماعة أو أي قدوة يقلده الناس في كل ما يفعل، فربما قلد السالك من يراه قدوته في أمر يظن أنه من هدي رسول الله ﷺ ولكن الأمر لا يعدو مجرد تقليد توارثه قدوته عن مشايخه وأسلافه، وليس لهذا الفعل أصل في دين الله، ولهذا حذر العلماء من التقليد وأمروا بالإتباع في دين الله.

وأما مقام الإحسان فهو لمن اتبع، والإتباع ليس سيرا وراء الرجال ولكنه سيرا وراء الدليل وصحة الإسناد ونسبته الحديث لرسول الله ﷺ. فهذا الإتباع من أعظم صور الجهاد وهو أيضا غاية الحسن وقمة التحسين، يقول تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم﴾.[١] وهذه الآية قررت حقيقة واضحة أن الإتباع مرتبط فقط بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فهم أكثر العالمين علما وفهما عن رسول الله ﷺ فمن استقام وسلك السبيل الذي درج عليه الصحابة رضوان الله عليهم، فقد دخل في قوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم﴾.[٢]

وقد عَلَّمَنَا رسول الله ﷺ أن مقام الإحسان يشمل جميع الطاعات وسائر الأعمال، فقد ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته﴾.[٣] فمن ارتقى إلى هذا المقام فقد نال من الله غاية الكرامة والإحسان، يقول تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.[٤]

---

١ سورة التوبة آية ١٠٠

٢ سورة التوبة آية ١٠٠

٣ حديث شداد بن أوس أخرجه البخاري ٣٦١٥، وأبو داود ٢٤٣٢، والترمذي ١٣٢٩، والنسائي ٤٣٢٩، ٤٣٣٥، ٤٣٣٦، ٤٣٣٧، ٤٣٣٨، وابن ماجة في سننه ٣١٦١، والدارمي ١٨٨٨، وأحمد في مسنده ٤:١٢٣ / ١٢٤ / ١٢٥

٤ سورة الرحمن آية ٦٠

الفصل الخامس: حقيقة مراحل الدين

تلقى أصحاب رسول الله ﷺ هذا الدين كاملا واضحا جليا، وفهموه الفهم الصحيح، وأدركوا أنه أعمال بالجوارح على نهج رسول الله ﷺ وانقياد للقلوب وإخلاص لله وحده، فكانت دائرة اهتمامهم الأولى تلقي القرآن الكريم بلاغا عن رب العالمين، وفهم البيان الموضح لهذا البلاغ، والتطبيق العملي المتمثل في سنة سيد المرسلين ﷺ فأقام الصحابة أركان الإسلام من طاعات وعبادات، وذاقوا حلاوة الإيمان بعد أن تخلقوا بأخلاق الإسلام، فخشعت جوارحهم بعد أن أخبتت قلوبهم، فلم ينفصل الإسلام لحظة واحدة عندهم إلى ظاهر وباطن، فمن اعتاد المساجد شهدوا له بالإيمان ووكلوا سريرته لمولاه، ثم قام فيهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه معلما لهم مراتب الإيمان، فتسابقت هممهم وسارعت أفئدتهم قبل جوارحهم الي التحلي بشعب الإيمان المختلفة، ومنها أعمال يُرى أثرها على النفس والأسرة والجار والحي ثم المجتمع الإسلامي كله، فلما ذاقوا حلاوة هذه المقامات وحلقت أفئدتهم في هذه الآفاق الإيمانية السامية، استعذبوا البذل بالأموال والأنفس في سبيل الله، وصاروا يترقبون الفرصة ليُرى كل منهم ربه ﷻ ما يرضيه، حتى أصبح الوالد يقترع على الجهاد في سبيل الله مع ولده، فإذا جاءت القرعة من نصيب الولد راح الوالد يرجو ولده ويستعطفه أن يتنازل له حتى يجاهد بدلا عنه مع رسول الله ﷺ فيقول الولد لأبيه فداك نفسي ومالي، أما الجهاد فلا أتنازل عنه.

ثم سمت أخلاقيات الصحابة وسلوكياتهم ورقت قلوبهم وعلت هممهم حتى وصلوا إلى مقام الإحسان، فكانوا فرسانا بالنهار رهبانا بالليل، لم تشغلهم الدنيا عن العبادة والطاعة، ولم يتركوا الدنيا ويعتزلوها في الصوامع أو على قمم الجبال، بل تيقنوا أن هذا الدين يفتح جميع طاقات الإبداع الإنساني، ويسمو بصاحبه إلى أعلى القمم، فترى أحاديثهم وأقوالهم تتضاءل إلى جوارها حكمة الحكماء وسفسطة الفلاسفة، وإذا رأيت عبادتهم وقيامهم لله بما أوجب تتصاغر في عينيك عبادة الرهبان والكهان في خلواتهم، وإذا اطلعت على سعيهم في الدنيا تدرك أنهم ملكوا نواصيها واستحوذوا على أسرارها فأذعنت الدنيا لهم صاغرة، وفتحت لهم كنوزها وخيراتها، ولما جاءتهم الدنيا راغمة أنفقوها في سبيل الله ﷻ. ترى جيوشهم مع قلة عددهم وعدتهم تواجه أقوى الإمبراطوريات، وأعتى الممالك، يحسبهم الجاهل لقمة سهلة لأعداء الله، فإذا أطلعك الله على إخلاصهم ورغبتهم في الشهادة، علمت لم قهروا الجيوش الجرارة، حتى ذهبت ريحها واندثر خبرها، فأصبحت كأن لم تكن.

لما رأى الكافر عدلهم وفقههم، ثاب إلى فطرته ورجع إلى الإسلام طائعا مختارا.

وما تحقق لهم ذلك إلا بفهمهم الصحيح لحقائق هذا الدين، وما شغلهم لحظة واحدة تقسيم الدين أو العلم إلى ظاهر وباطن، وما تصوروا أن يكون خلفهم بهذه العقلية المريضة، التي تجعل للقرآن باطنا محجوب عنهم، أما حقيقة الدين عندهم فهي ببساطة شديدة:

إخلاص العمل لله تعالى، وصدق متابعة رسول الله ﷺ. وأن أعمال الناس في ظاهرها، يقابلها نور أو ظلمات في قلوبهم، فالطاعات لها نور، ينشرح له القلب فيزداد إقباله على ربه، والمعاصي لها ظلمات، تقذف في قلب مقترفها، فيزداد قلبه ظلمة على ظلمة، وبالتالي يزداد بعدا من ربه، وهذا الفهم تلقوه واضحا صريحا عن رسول الله ﷺ حيث يقول:

﴿إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتت في قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر صقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فذاك الرين الذي ذكره الله تعالى: ﴿كلا: بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.[1] كما أخرج البيهقي في سننه أن رسول الله ﷺ قال: ﷺإن للقلوب صدأ كصدأ النحاس، وجلاؤها الاستغفار ﷺ.[2]

فالاستغفار يجلو القلب ويزيل عنه الصدأ والرين، وبالتالي يصقله ويعيد إليه ضياء الفطرة، وكلما أطاع العبد ربه ازداد ضياء قلبه، وصدق القائل

إذا سكن الغدير على صفاء	وجُنب أن يحركه النسيم
ترى فيه السماء بلا امتراء	كذاك الشمس تبدو والنحوم
كذا قلوب أرباب التجلي	يرى عند صفوها الله العظيم

لذلك كان ظاهر طاعات المسلم له باطن يحققه ويصدقه ويوافقه، وهو نور يلقى في قلب المخلص المتبع لله ورسوله ﷺ.

فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن سواء قصد بعمله غير ربه، سواء رياء أو سمعة أو وجه عمله لغير الله، فقد حبط عمله وهو لا يشعر، وربما يحسبه الناس صالحا وهو عند الله من الخاسرين.

---

١ سورة المطففين آية ١٤، والحديث حديث أبا هريرة رضي الله عنه رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحيه، والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط مسلم، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢:٤٦٩

٢ حديث أنس بن مالك رواه البيهقي في سننه، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢:٤٦٩

أما من ادعى علما باطنا يخالف العلم الظاهر فهو كافر منافق، لأنه يهدم دينه من حيث لا يدري ولا يحتسب، بل يجب أن يكون باطن دين المسلم محققا لظاهره ويصدقه ويوافقه، وظاهر أحوال المسلم يوافق باطنه ويصدقه ويحققه، فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان، فلابد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان، فباطن العلم الباطن من الإنسان، وهو من أعمال القلوب، وظاهر العلم للظاهر من الإنسان وهي أعمال الجوارح.

وكما أن أفهام الناس تتفاوت ومداركهم تتباين، كذلك إدراك الناس في دينهم، فالأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، يفهم دينة ببساطة شديدة وفطرة نقية. والعالم المتبحر في أمر دينه، أطلعه الله تعالى على علوم ومدارك سامية، إلا أن الدين عند هذين الرجلين دين واحد، لا يناقض فهم الثاني ضعف عقل الأول، ولم يفهم السلف الصالح أن علوم الخاصة منهم تناقض علوم العامة منهم، حتى أنهم يخافون أن يخرجوه إلى الناس حتى لا يقتلوهم.



ملخص الباب السابع

١- أمر هذا الدين واضح، ومراحله حددها الوحي أمام الصحابة بجلاء تام وهي الإسلام والإيمان والإحسان

٢- الإسلام مراحل أوله النطق بالشهادتين، وآخره تسليم الوجه لله تعالى.

٣- الإسلام له ظاهر وباطن ليس كما بالمعنى الذي يزعمه الباطنيون، وإنما له أعمال ظاهرة وأخرى باطنة، ويجتاز المسلم مراحله إذا أتى بإخبات الجوارح، وإخلاص القلب، ومتابعة النبي ﷺ.

٤- الإيمان له ظاهر وباطن، وأعمال ظاهرة تجرى على الجوارح، وأخرى باطنة هي من أعمال القلب من خوف ورجاء وحسن ظن بالله والتوكل عليه والإنابة إليه، وكذلك الإحسان، وعلى قدر التقرب بالنوافل يكون القرب من الله تعالى.

٥- كل طاعة لله جل شأنه لها ما يقابلها من نور يُلقى في قلب العبد، فيزداد له إنشراحا وإقبالا على الله، وكل معصية في الظاهر لها في قلب العبد أثر، وإلقاء للظلمة فيه، وإذا زادت معصية العبد، إزداد الرين وكثر الصدأ حتى يختم الله على قلبه.

٦- أن أعمال القلوب لا تبدأ في مرحلة الإيمان أو الإحسان فقط، وإنما هي ملازمة للمسلم في كل أمر من الأمور، فالصلاة لها ظاهر لابد من الحفاظ عليه، ولها ثمرة مرجوة في القلب لايمكن أن ينالها إلا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وباقي مفردات الإيمان.

٧- باب التوبة مفتوح أمام العبد ما لم يغرغر، ومن تاب وأصلح يبدل الله سيئاته حسنات، ويعود قلبه إلى الصفاء ويعود إليه النور والضياء، ولا يحجبه عن الوصول إلى الجنة ورضوان الله شيء.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاتمة

الحمد لله المتفضل على عباده بنعمة الإسلام، واختص أحبابه بمقام الإحسان، وهيأ لهم العروج إلى مقامات القرب، حتى وصلوا إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذى تلقى عن ربه أشرف رسالة، وأوحى إليه أسمى كتبه، وخصه بالحكمة وجوامع الكلم، فكان أصدق من تحدث عن ربه، وأوثق من بلغ رسالته، وأعظم من بيّن لقومه مراد ربه، فصلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وعلى صحابته الأبرار، من المهاجرين والأنصار، وعلينا معهم ومن تبعهم بإحسان إلى أن يرث الأرض ومن عليها الواحد القهار. أما بعد:

فنحمد الله أن وفقنا سبحانه إلى تناول قضية الباطنية والفكر الباطني، فقد ناقشنا في الكتاب الأول من هذه السلسلة أساس قضية الباطنية التي يبنون عليها دعائم عقيدتهم، وهو موضوع لقاء موسى والخضر عليهما السلام، وأثبتنا فيه أن الخضر نبي من أنبياء الله تعالى، وأنه توفي في زمن موسى عليه السلام، ولا صحة للقول بتعميره حتى اليوم، وأن اللقاء بينهما يضم مواعظ وعبرات كثيره، ولا يتضمن تلك الشطحات الباطنية ولا الأفكار الصوفية التي يستنبطونها من هذا اللقاء.

ثم شرعنا بتوفيق الله تعالى في كتابنا هذا في مناقشة موضوع تقسيم العلم والدين إلى ظاهر وباطن، وتعرضنا لمفاهيم الفرق الباطنية، وآرائهم حول هذا الموضوع، وظهر لنا كيف بعدت الباطنية عن جوهر الدين وبساطته الشديدة، وزادت الأمر تعقيدا، ليس بهدف تعقيد الدين، بل كان هدفهم عكس ذلك تماما، فمراد القوم حل عرى الإسلام وإخراج أهله منه، فالأفكار الباطنية تجعل من أركان الإسلام: الصلاة والزكاة والحج معاني باطنية ورموز غايتها التوجه إلى الإمام، وقلنا أن تعدد علوم الباطن عند الصوفية والباطنية، فتحت أبواب: السريانية، وعلم الحروف والجفر والأوفاق، وجعلت في الدين أسرارا من أذاعها سيبطل النبوة والرسالة، ثم استطردنا في مناقشة أدلة الباطنية سواء: القائلين باختصاص علي بالعلم الباطن، وقياسهم على ما يشتهر بين الناس عن اختصاص حذيفة بعلم النفاق، لذلك فقد أفردنا باب كاملا لمناقشة هذا الموضوع، وخلصنا فيه إلى أن خصوصية بعض الصحابة لم تكن في معرفة علوم لا يعرفها غيرهم، بل في صفاتهم الشخصية التي أهلتهم لينالوا خصائص محددة:

فأبو بكر أرحم الأمة بها، لما حباه الله تعالى بالرحمة واللطف واللين، وعمر أشدهم في دين الله، فهو القوي الأمين الذي لا يتأخر عن نصرة الحق وأهله، وأبو عبيدة أمين الأمة

وأبو ذر أصدقها لهجة، والزبير حواري الرسول، وعبدالله بن مسعود صادق الحديث، ولو صدقت مزاعم الباطنية لوصلنا بطريق التواتر عن رسول الله ما يخصص ذلك ويحدده، كيف يكون الأمر ولا يوجد خبر واحد يشير إلى ذلك.

ثم أفردنا فصلا خاصا لمناقشة الأقوال التي يفهم منها الباطنية بأسلوبهم أنها من أدلتهم، ومنها موضوع حذيفة واختصاصه بعلم النفاق، وجرابي أبي هريرة، وقلنا أن الحق غير ما يطلبون، ويدل على غير ما يستدلون، فحديث ما يكون من الفتن إلى قيام الساعة هو علمٌ أذاعه رسول الله على الملأ حفظه من الصحابة من حفظه، ونسيه من نسيه، ونظرا لاهتمام حذيفة بهذا العلم منذ إسلامه فقد ظل محتفظا بكل ما سمعه من الرسول الكريم، وأن قضية المنافقين وأسمائهم لم تكن سرا في المدينة المنورة، بل لقد فضح القرآن والسنة وتصرفات المنافقين أنفسهم فضحتهم في المجتمع المدني، وبالتالي تنتفي قضية سر النفاق والمنافقين واختصاص حذيفة بهذا الأمر دون غيره من الصحابة.

كما ناقشنا مزاعم القائلين بذكر الله تعالى بأسماء باللغة السريانية، وتتبعنا أوراد الصوفية من كتبهم، وناقشنا أقوال مشايخ الصوفية مما سطروه في كتبهم، كما كان لمؤلف هذا الكتاب مناقشات مع العديد من المشايخ، لذا فقد آثرت أن أجمعها في مناقشة واحدة، تلخيصا للموضوع، وتأكيدا على أن مشايخ الصوفية الذين يلقنون المريدين هذه الأوراد ليس عندهم دليل ولا برهان على ما يروجونه، كل ما هنالك ثقة في شيخهم، جعلتهم يأخذون عنه أي شيء يقوله ويعتبرونه دينا يعبدون الله به، وهم بذلك كالأحبار الذين شرعوا للناس ما لم ينزل الله تعالى، فاتبعوهم، وقد قرر رسول الله أنهم بذلك يعبدونهم من دون الله حيث حللوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم. وقد توصلنا إلى تحديد لمصدر هذه الأسماء، ومن أين أتت؟ وكيف تسربت إلى التصوف؟ وما هي علاقتها بالسحر واستجلاب الجن والاستعانة بهم؟ وهذا من أخطر الأمور وأعظم الكبائر، لأن علاقتها بالشرك وثيقة، وأثرها جلل على هدم التوحيد من قلب المريد.

كما بينا أن أمر هذا الدين واضح، ولا مجال لأحد أن يقسمه على هواه، فما ترك الله تبارك وتعالى هذا الأمر للناس يجتهدون فيه، أو تصرفهم أهواؤهم عن الأمر الواضح، لذلك أتى جبريل عليه السلام في صورة رجل يراه الصحابة بأعينهم ويسمعونه بآذانهم، فراح يعلمهم بأسلوب المستفهم، وهو في نفس الوقت يؤكد على صحة الإجابة، وبذلك شد آذانهم ولفت انتباههم، حتى علمهم أمور دينهم، فكيف يستسيغ العقل الحيود عما أنزله الله إلى تقسيمات أهوائية، وأفكار باطنية.

واستكمالا لهذه السلسلة سيكون بإذن الله تعالى كتابنا القادم تحت عنوان: تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية، نتناول فيه تاريخ ظهور الفرق الباطنية، ونوضح أفكارهم ونبين بتوفيق الله تعالى مدى الحيود فيها عن الحق، ثم يأتي الكتاب الرابع من هذه السلسلة ليتناول التصوف بشكل مفصل، ويربط بين أفكار الصوفية ومن أين استقوها؟ وسيكون عنوانه بحول الله تعالى: "عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة". نبحث فيه بمشيئة الله تعالى وتيسيره، فتوحات أقطاب الصوفية، التي يحلو لهم أن يسموها فتوحات لدنية، وسنرى من لدن من تلقى المشايخ هذه الفتوحات، ثم تبعهم الأتباع والمريدون.

ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ييسر لنا كل أمر عسير، وأن يجري الحق على ألسنتنا وأقلامنا حتى نساهم مساهمة متواضعة في توضيح سبيل الله والطريق إليه، إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القاهرة في : الجمعة ٥/٨/١٩٩٤م

الموافق ٢٧/ صفر/١٤١٥



مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم

٢- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر ابن جرير الطبري - دار المعرفة بيروت

٣- الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي - كتاب الشعب

٤- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر للطباعة والنشر

٥- تفسير غرائب القرآن للنيسابوري

٦- روح المعاني في تفسير القرآن للألوسي البغدادي - دار الفكر

٧- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي - المكتب الإسلامي

٨- التفسير الكبير للفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي

٩- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر

١٠- النهر الماد من البحر لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر

١١- مختصر تفسير ابن كثير للصابوني - دار القرآن الكريم

١٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي - المكتبة العلمية

١٣- برنامج صحيح البخاري تطوير الشركة العالمية

١٤- برنامج صحيح مسلم تطوير الشركة العالمية

١٥- برنامج سنن النسائي تطوير الشركة العالمية

١٦- برنامج سنن الترمذي تطوير الشركة العالمية

١٧- برنامج سنن أبي داود تطوير الشركة العالمية

١٨- برنامج صحيح ابن ماجة تطوير الشركة العالمية

١٩- برنامج موطأ مالك تطوير الشركة العالمية

٢٠- برنامج سنن الدارمي تطوير الشركة العالمية

٢١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - دار إحياء التراث العربي

٢٢- صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي

٢٣- صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي - دار الكتاب العربي

٢٤- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري - المكتبة السلفية المدينة المنورة

٢٥- عون المعبود بشرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية

٢٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل - دار إحياء التراث العربي

٢٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين الهندي - الرسالة.
٢٨- سنن الدارقطني - دار المحاسن للطباعة القاهرة
٢٩- صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور الأعظمي - المكتب الإسلامي
٣٠- الإيمان لابن منده - مؤسسة الرسالة
٣١- شعب الإيمان للبيهقي - دار الكتب العلمية
٣٢- المسند الجامع ترتيب بشار عواد معروف وآخرون - دار الجيل
٣٣- حلية الأولياء لأبي نعيم - مطبعة السعادة بالقاهرة
٣٤- الفرق بين الفرق لعبدالقاهر طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني - دار المعرفة
٣٥- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار عالم الكتب بالرياض
٣٦- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي - دار الكتب العلمية
٣٧- تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - مطبعة مدني
٣٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لأبن القيم - دار الكتب العلمية
٣٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية
٤٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية
٤١- مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية
٤٢- المنار المنيف لابن قيم الجوزية - دار المسلم مطبعة التقدم
٤٣- الأصول من الأصول لمحمد بن صالح العثيمين - مكتبة المعارف الرياض
٤٤- المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف - محمد بن علوي المالكي
٤٥- المغازي للذهبي - دار الكتب الإسلامية
٤٦- مقدمة ابن خلدون - دار الفكر
٤٧- دفاع عن السنة لمحمد محمد أبو شهبة - مجمع البحوث الإسلامية
٤٨- الجداول الجامعة في العلوم النافعة لجاسم بن محمد مهلهل وآخرون - دار الدعوة الكويت، ودار الوفاء مصر.
٤٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني - دار الكتب العلمية.
٥٠- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني - دار الكتب العلمية.
٥١- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري - دار الكتب العلمية
٥٢- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي - دار المعرفة

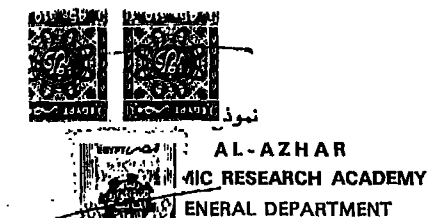
٥٣- المقاصد الحسنة للسخاوي - دار الكتاب العربي
٥٤- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني - دار الكتب العلمية
٥٥- الموضوعات الكبرى لأبي الفرج بن الجوزي
٥٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني - المكتب الإسلامي
٥٧- تمييز الطيب من الخبيث مما اشتهر على ألسنة الناس من الحديث للشيباني - دار الكتب العلمية
٥٨- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن عبدالخالق - دار الحرمين
٥٩- هذه هي الصوفية للشيخ عبدالرحمن الوكيل
٦٠- التصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ
٦١- الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق للدكتور إبراهيم مدكور - دار المعارف
٦٢- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني - د. عبدالرحمن بدوي
٦٣- الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري
٦٤- الفتوحات المكية محمد بن علي المعروف بابن عربي - دار الفكر
٦٥- فصوص الحكم لابن عربي - تحقيق د. أبو العلا عفيفي - دار الكتاب العربي
٦٦- النصوص في مصطلحات الصوفية لمحمد غازي عرابي - دار قتيبة
٦٧- معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبدالمنعم الحفني - دار المسيرة بيروت
٦٨- اصطلاحات الصوفية للقاشاني - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١
٦٩- عوارف المعارف للسهروردي - دار الكتاب العربي
٧٠- طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي - دار الكتاب النفيس
٧١- كشف المحجوب للهجويري - دار النهضة العربية
٧٢- طبقات الأولياء لابن الملقن - دار المعرفة
٧٣- الطبقات الكبرى للشعراني - مكتبة محمد علي صبيح
٧٤- اليواقيت والجواهر للشعراني - مكتبة مصطفي البابي الحلبي
٧٥- الإبريز لعبدالعزيز الدباغ
٧٦- في ملكوت الله مع أسماء الله الحسنى لعبدالمقصود سالم - شركة الشمرلي
٧٧- رسالة في الكلام على نشأة التصوف والصوفية وأعمالهم لمحمد توفيق البكري
٧٨- اللمع لأبي نصر السراج الطوسي - دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ببغداد
٧٩- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لأحمد ابن عجيبة - عالم الفكر

٨٠- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن محمد ابن عجيبة - عالم الفكر
٨١- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي - دار الشعب
٨٢- علم القلوب لأبي طالب المكي - مكتبة القاهرة
٨٣- قوت القلوب لأبي طالب المكي - المطبعة الميمنية
٨٤- الإسلام لصلاح الدين القوصي - الطبعة الأولى والثانية
٨٥- إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفي الشكعة - الدار المصرية اللبنانية
٨٦- الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبدالفتاح بركة
٨٧- ختم الأولياء للحكيم الترمذي - المطبعة الكاثوليكية ببيروت
٨٨- الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية لزكريا الأنصاري - مكتبة الآداب
٨٩- الفيوضات الربانية في المآثر القادرية - جمع إسماعيل القادري - مصطفي الحلبي
٩٠- مجموع أوراد البرهانية
٩١- ورد الطريقة الخلوتية العونية العيونية
٩٢- أوراد الطريقة القادرية الجيلانية
٩٣- جامع كرامات الأولياء ليوسف بن إسماعيل النبهاني - مصطفي الحلبي
٩٤- مجموع الأوراد الكبير
٩٥- ذكر ودعاء جمع عبدالله أحمد زينة
٩٦- كنوز الأسرار في الصلاة على النبي المختار
٩٧- الإجابة الربانية لورد النقشبدية
٩٨- الأنوار القدسية في شرح أسماء الله الحسنى وأسرارها الخفية لأحمد سعد العقاد
٩٩- منبع أصول الحكمة للبوني - مكتبة ومطبعة عباس عبدالسلام بن شقرون
١٠٠- شمس المعارف الكبرى للبوني - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني
١٠١- السر المَظْرُوفُ فِيْ عِلْمِ بَسْطِ الحروف للشيخ محمد الشافعي الخلوتي
١٠٢- ينابيع المودة
١٠٣- الأصول من الكافي للكليني - دار الصعب ودار التعاون
١٠٤- إلزام الناصب لليزيدي الحائري
١٠٥- الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب - دار الأندلس
١٠٦- أساس التأويل للنعمان
١٠٧- الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني دار الكتاب العربي

١٠٨- الشيعة والتصحيح للعلامة الدكتور موسى الموسوي عام ١٩٨٧ طبعة لوس أنجيلوس
١٠٩- رسالة الإسلام: القرآن تفسير أم تأويل - يحيى كامل قنديل
١١٠- بحث عن أسباب ظهور جماعة التكفير والهجرة - د. محمد حسان وآخرين
١١١- خطبة بعنوان إن الدين لواقع بخط اليد
١١٢- الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي في كتابه ختم الأولياء لمحمد سلامة
١١٣- إنجيل يوحنا
١١٤- لسان العرب لابن منظور
١١٥- فصول من فقه العربية للدكتور رمضان عبدالتواب - مكتبة الخانجي بالقاهرة.
١١٦- الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - دار الفكر المعاصر

فهرس كتاب ظاهر الدين وباطنه

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهــــر
مجمـع البحــوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحــوث والتــاليف والترجمــة

AL-AZHAR
MIC RESEARCH ACADEMY
ENERAL DEPARTMENT
earch, Writting & Translation

السـيد / مجمود.. عيـوض المراكـــــــبى .

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : موسـسـسى..و. الخفسو .... تاليفكم ....

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

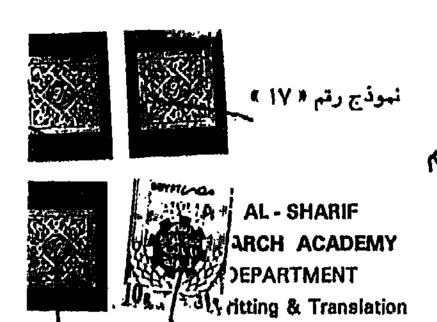
مع التـاكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والاحاديث النبـوية الشريفـة . وتصحيح الاخطاء الاملائية و النحوية و اللغوية وقواعد التنقيط .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مدير عـام
ادارة البحوث والتـاليف والترجمـة
١٩٩٥/١٢/٢١
(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

تحريرا فى ٨ / ٨ / ١٤١٦ هـ
الموافق ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـــع البحـــوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحـــوث والتاليف والترجمـــة

السيد / الاستاذ / محمود عوض البراكبي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـــ وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : .. ظاهر الدين وباطنه
.... من .. تاليفكم ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

والله الموفق ،،،

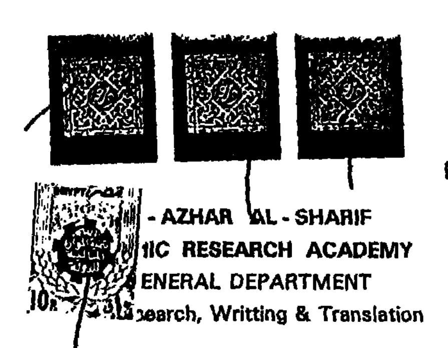
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ٨ / ٥ / ١٤١٦ هـ
الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٩٥

مبروك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهــــر الشريف
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العـــامة
للبحـــوث والتأليف والترجمـــة

- AZHAR AL - SHARIF
IIC RESEARCH ACADEMY
ENERAL DEPARTMENT
search, Writting & Translation

السـيد / الاستاذ /. محمود. عوض المراكـبي

السـلام عليـكم ورحمـة اللــه وبركاته ــ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : تسرب الفكر الباطـنى الى الشرائع السماوية ـ من.. تاليفكم.........................

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللــه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللــه وبركاته ،،،

ممدوح ماهر
مـدير عـام
ادارة البحوث والتـاليف والترجمـة

تحريرا فى ٨ / ٥ / ١٤١٦ هـ
الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٩٥ م

٩٥/١٠/٢

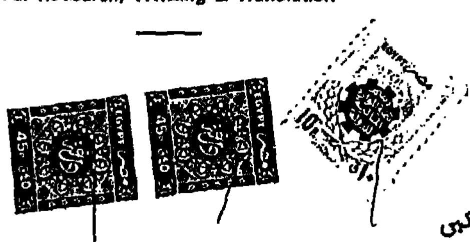
مبروك/ ..

نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمــع البحـوث الاســلامية
الادارة العـــامة
للبحـــوث والتأليف والترجمـــة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation



الســـيد / محمود . عوض . محمود . المراكبي

الســلام عليـكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ــ وبعــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : عقائد الصوفية في ضوء الكتاب و السنة .. تاليفكم ....

نفيد بأن الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـــه ونشره على نفقتــكم الخــاصة .

مع التــاكيد على ضرورة العنــاية التامة بكتــابة الآيات القــرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبــع .

واللـــه المــــوفق ،،،

والســـلام عليـكم ورحمـــة اللــه وبركاته ،،،

مـــدير عـــام
ادارة البحوث والتـــأليف والترجمـــة

تحريرا في ٢٧/ ٦ / ١٤١٦ هـ
الموافق ١٩/ ١١/ ١٩٩٥

٩٥/١١/١٩

رقم الإيداع : ٧٤٢٧ / ١٩٩٦ م

الترقيم الدولي
I . S . B . N . 977 - 19 - 1027 - 2



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ تلفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ تلفاكس : ٤٠١٧٠٥٣



الكتاب في سطور

■ هو الثاني من سلسلة الظاهر والباطن ويتناول دعائم الفكر الباطني، ويجيب على العديد من الأسئلة منها: هل العلم مقسم إلى ظاهر وباطن؟، أم السلوك له ظاهر وباطن؟ ، أم الدين ككل مقسم إلى ظاهر وباطن؟، ويعرّف الكتاب العلم الباطني عند الشيعة والباطنية والصوفية، ويعرض صور العلم الباطني مثل علم الجفر، والأسماء السريانية التي ابتكرتها الشيعة، وسارت الصوفية على آثارها حتى تفشت في أوراد الطرق الصوفية المعاصرة، ويناقش الصوفية في الأسماء وفتوحاتها، ثم يعرض حقيقتها في ضوء الكتاب والسنة.

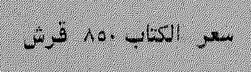
■ يتناول الكتاب مفهوم الظاهر والباطن عند السلف من القرآن والسنة، ثم يقسم العلم، ويعرّف الحكمة، ويفند أدلة الباطنية عن: اختصاص علي بن أبي طالب بعلم الباطن، وحذيفة بن اليمان بعلم النفاق، وأبو هريرة وجرابي العلم.

■ كما يتناول نظرية التأويل الباطني وتقسيم الباطنية للدين إلى شريعة وحقيقة، وعقيدة الإسماعيلية والدروز والعلويين عن الظاهر والباطن، ودور الباطن في مراحل السلوك عند الصوفية، ثم يقرر الكتاب مراحل الدين كما حددها الوحي وتقسيمه إلى إسلام وإيمان وإحسان ثم يشرح حقيقة مراحل الدين الإسلامي.

سلسلة الظاهر والباطن

تتكون حلقات هذه السلسلة من أربعة كتب كلا منها قائم بذاته ويعالج موضوعا مستقلا يقوم عليه الكتاب التالي: وهذه الكتب هي:

١- موسى والخضر علمي الظاهر والباطن.
٢- ظاهر الدين وباطنه.
٣- تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية.
٤- عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة.



سعر الكتاب ٨٥٠ قرش

